مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغـــــداد

ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ ـ كانون الاول ١٩٨٧ م

مجلة المجمع العلمي العراقي





الجزء الرابع ـ المجلد الثامن والثلاثون

بغـــــداد

ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ ـ كانون الاول ١٩٨٧ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .
- المقالات لا ترد الى أصحابها نشرت او لم تنشر .

العنوان : الوزيرية / بريد الاعظمية ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العـراق

مُسوِّغات تجديد كتابة التاريخ

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع

تجري في الازمنة الحديثة لاعادة كتابة التاريخ دعوات ومحاولات فردية وجماعية ورسمية في عدد غير قليل من اقطار العالم ، وخاصة في البلاد العربية ؛ وقد اثمرت الجهود التي بذلت في هذا المضمار عدداً كبيراً من الابحاث عن طبيعة الدراسات التاريخية ونطاقها واساليبها ، وكذلك في تقديم صور جديدة منوعة لكتابة التاريخ .

ازدياد تقدير اهمية التاريخ :

ولعل من اهم دوافع هذه المحاولات هو الادراك المتزايد باهمية دراسة التاريخ في البناء الثقافي والتوجيه القومي والاخلاقي للامة ؛ وقد تجلى هذا الادراك في الغرب منذ بداية القرن التاسع عشر حين جعل التاريخ احد المواضيع الالزامية في مناهج دراسات المدارس الرسمية في فرنسا وانكلترا وامريكا ، ثم تتابعت الدول الاخرى في وضعه ، وتلا ذلك اهتمام الجامعات بدراسته وتعيين اساتذة مختصين لهذا الغرض . واعقب ذلك انشاء اقسام خاصة للدراسات التاريخية فانشئ قسم التاريخ في كل من جامعتي اكسفورد وكيبرج سنة ١٩٠٠ وفي جامعة لندن سنة ١٩٢٠ .

ومما برّر قيام هذه المحاولات الثغرات الكثيرة في الكتب التاريخية التي كانت متداولة ، وتزايد المعلومات الجديدة المكتشفة ، والتطورات الواسعة التي حدثت في دراسة كثير من فروع العلوم الانسانية وثبتت حقائق جديدة عن سلوك الانسان وتطور المجتمع . وتطور النظرة الى نطاق التاريخ ، وتزايد

امكانيات الدولة في انماء دراسته ، واهتمام كثير من الامم في الافادة منه لتثبيت بعض ارائها في تمجيد الامة ، او تبرير بعض مؤسساتها ، او الانتقاص من الامم الاخرى المعادية لها .

تطـور مفهـوم « التاريخ » ونطاق بحثه

ولعل من اول المسوغات المقبولة في اعادة كتابة التاريخ هو تطور مفهوم التاريخ ونطاق بحثه ، فتعبير «التاريخ» له معان متعددة تؤثر في تحديد بحثه ، فالكلمة قد تعني « الزمان » اطلاقا ، فتقول « تاريخ ميلاد فلان » اي زمن ميلاده ، وبهذا المعنى اطلقت كلمة « تاريخ» على كل دراسة للماضي ، ومنها تاريخ الارض ، وتاريخ الكيمياء ، وتاريخ الفلسفة الخ ، وبهذا المعنى اطلقت كلمة « التاريخ » في العربية على عدد كبير من الكتب التي تبحث في رجال الحديث ، او مايسمى علم الرجال وعني اكثرها بتحديد سن ولادتهم ووفياتهم .

واطلق تعبير « التاريخ » (١) على الحوادث البارزة التي مرت بالانسانية او بأمة او مجتمع محدود ، مرتبة تبعا لتسلسلها الزمني ؛ ولما كانت الحوادث السياسية منذ اقدم الازمنة هي ابرز الحوادث الظاهرية ، لذلك كان يطلق على الكتب التي تبحث هذه الحوادث « التاريخ » وهذا واضح في اكثر المؤلفات العربية في هذا الموضوع ، حيث اختصت بمتابعة ذكر هـذه الحوادث ، مع اضافات احياناً لبعض حوادث اخرى كشواذ الأحوال الطبيعية من مجاعات واوبئة وزلازل وحتى احياناً ولادة بعض المخلوقات الشاذة في تركيبها الجسدي .

---

(١) استعمل العـرب لوصف حـوادث الماضي عدة تعابير منها الحكايات ، والاخبار ، والسير ، والتاريخ . فاما الحكايات فقد اطلقت في الغالب على حوادث محدودة قد لا يكون لها واقع تاريخي ؛ واما الاخبار فالغالب ان الكتب التي لها هذا العنوان تسرد حكايات لا تراعي في ترتيب عرضها التعاقب الزمني . فهي اشبه بالامالي ، سوى ان مادتها تدور حول من تتحدث عنه ؛ اما « السير » فتطلق في الغالب على اعمال من تتحدث عنه ، وهي تراعي الى حد كبير التعاقب الزمني في ترتيب مادتها ، والغالب انها تتحدث عن الاعمال السياسية والحربية .

غير انه حدث في الازمنة الاخيرة تطور واسع في مفهوم نطاق التاريخ (٢) ، صيغت له تعريفات قد تختلف في الفاظها ولكنها تتفق بانها « دراسة نشاطات الانسان الذي يعيش في المجتمع بمختلف جوانبها ، ومرتبة حسب الزمن » وبذلك اتسع مفهوم التاريخ واصبح المطلوب من الباحثين فيه الا يقتصروا على بحث النشاط السياسي وحوادثه البارزة ، وانما تمتد ابحاثهم الى مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والمعاشية والفنية والفكرية ، سواء كانت بارزة للعيان او عاملة بهدوء ، وبهذا اصبح نطاق التاريخ واسعا ، ولكنه ظل مقيدا بالزمن مراعيا في ترتيب ابحاثه التعاقب الزمني

تمييز المصادر الاصلية عن المقتبسات

ورافق هذا تطور في نوع المصادر التي تستقى منها المعلومات وفي الحكم على هذه المصادر . فقد كانت اغلب المصادر في التاريخ العربي خاصة كتابات دبجها افراد معنيون بتتبع الاخبار ، ممن لهم اعمال وحرف متنوعة ، وان كان اغلبهم من « المثقفين » المعنيين بالمعرفة ، وغالبيتهم المطلقة ممن لم يسهموا بالحوادث . وربما لم يتصلوا بالمسهمين بها ، وانما يعتمدون في ذلك على السماع فيدونون ما يرونه صحيحا ، وهو صحيح بهيكله العام ولكنه قد لا يكون دقيقا او شاملا في تفاصيله ، وما دام الكاتب يكتب تعبيرا عن معرفته . فهو يستعمل اسلوبه الخاص والمفردات اللغوية كما يفهمها ، وقد تكون مما هو سائد الاستعمال في زمنه ، او مما له مفهوم خاص في ذهنه مما قد يجعل

---

(٢) الفت كتب كثيرة في دراسة التطورات الحديثة في الكتابة التاريخية وجمع في كتابه « منوعات التاريخ » (بالانكليزية) مقتطفات لعدد كبير من اشهر هذه الكتابات في الغرب ، ومن الكتب المهمة في هذا الميدان « التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر » لكوج و « فكرة التاريخ » لكولنجوود ، و « تاريخ الكتابة التاريخية » لبارز و « الاتجاهات الحديثة للدراسات التاريخية » لباراكلوو « علم التاريخ عند المسلمين لفرانز روزنثال ، والكتب الاربعة الاخيرة مترجمة الى العربية .

تعابيره غير دقيقة . ومما يزيد الامر تعقيدا ان كثيرا من المتأخرين ينقلون عن احداث الماضي ما قاله القريبون منها ويحافظون على تعابير مصادرهم الاصلية حتى وان كانت غير دقيقة او مخالفة لما يسود عند هؤلاء المتأخرين . ويجدر ان نشير هنا الى ان لجوء المتأخرين الى ان النقل عن الاقدمين لم يرافقه التزام بالاشارة الى المصادر التي نقلوا عنها ، وفي العربية كتب كثيرة نقلت فصولا باكملها ، او كتابا باكمله من كتاب سبقه ، مع اشارات عارضة احيانا الى مصدرهم ، او اغفال تام لذكره احيانا ؛ وقد يسّر تزايد معرفتنا بالكتب ومحتواها معرفة مصادر معلومات كثير من الكتب الضخمة . وهي اذا جمعت تكون مقدارا كبيرا اكتفي منه بذكر ما نقله ابن الاثير وابن خلدون عن الطبري في حوادث القرون الثلاثة الاولى للاسلام . ونقل عريب بن سعيد كتابه « صلة تاريخ الطبري » الجزء الخاص بالمقتدر من كتاب الاوراق للصولي بعد حذف ما فيه من شعر ، وما نقله المقريزي في كتابه «اتعاظ الحنفا» من المسبحي من المعلومات عن حوادث السنوات ٣١٤ — ٣١٨ هـ .

وقد اشار بعض القدماء الى اعتماد بعض المؤلفين على كتب ممن سبقهم ونقلهم لها جملة او بكثرة دون الاشارة الى مصادرهم ، وسمى بعض علماء الحديث ذلك « سلخا » .

وعنى كثير من المؤلفين العرب في القرون الاربعة الاولى خاصة بذكر المصادر التي اعتمدوا عليها ، وذكروا اسماء من رووا عنهم دون ذكر اسماء كتبهم ، ولهذا الذكر فائدة كبيرة في متابعة اصول المعلومات . غير انه لا يكفي لمعرفة شكل الكتاب الاصلي . فقد يكون الاقتباس مقتطفات راقت للمقتبس ولا تستوعب كل الكتاب ، وقد يترك ما نراه اليوم اهم . او قد لاتوضع مسلسلة وفق ترتيب المؤلف الاصلي ، فهي مذكورة بمنظور الناقل المتأخر وليس بصورتها الاصلية ؛ يضاف الى ذلك ان من عنى بذكر مصادره كان يذكر اسم الراوي وليس الكتاب الذي نقل عنه ، وهذا واضح من كتب

مشهورة عنيت بذكر مسانيدها كتاريخ الطبري ، وانساب الاشراف للبلاذري ، والاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، وحلية الاولياء لابي نعيم . ووفاء الوفا للسمهودي وخاصة في ما نقله عن ابن زبالة والزبير بن بكار ومحمد بن الحسن . (٣)

وقد يسرت بعض الابحاث النقدية في المصادر تمييز الاصول عن النقول واذكر من ذلك المقدمات التي وضعها في تحليل المصادر كل من بارتولد في كتابه « تركستان في العهود الاسلامية » وكلود كاهين في كتابه « سوريا في عهد الحروب الصليبية الاولى » وليفي برفنسال في كتــابه تاريخ العرب في الاندلس . وحسن ابراهيم حسن في كتابه «الفاطميون في مصر» وبوزورث في كتابه « الغزنويون » وجب في مقاله « مصادر دراسة سيرة صلاح الدين » وكذلك الاشارات الغنية التي وضعها روزنثال في كتابة علم التاريخ عند المسلمين عن المقتبسات من كثير من كتب التاريخ .

الوثائــق

والمصدر الاساسي في دراسة التاريخ هي « الوثائق » ونقصد بها الكتب الصادرة من الساطات السياسية والادارية الحاكمة ومدوناتها الرسمية ؛ والواقع ان معظم الحكومات منذ القديم عنيت بتدوين اعمالها وما تصدره من اوامر ، وكانت تكتب ذلك على مواد مختلفة منها الاحجار والواح المعادن ، والجلود والادم . كما استعملت بعض البلاد . وخاصة مصر والمغرب ، اوراق البردي والقراطيس . وعندما انتشــر استعمال الورق في اواسط القرن الثــاني الهجري . عمد الخلفاء المسلمون الى اختيار اجود انواع الورق لتدوين وثائقهم(٤) ، وحرصوا على الحفاظ على نسخ مما يصدرون في دواوين منظمة ، والفت في

---

(٣) انظر بحث الدكتور جواد علي « موارد تاريخ الطبري » وبحثنا « مصادر دراســة تاريخ المدينــة والحجاز » المنشورين في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٤) انظر تفاصيل اوفى في كتاب « تاريخ العلم » لسارتون وكتابنا « دراسات في تاريخ الحركة الفكرية في صدر الاسلام » .

قواعد ونظم كتابة هذه الوثائق كتب وصلنا عدد منها ومن اشهرها « أدب الكاتب » للصولي و « البرهان في علوم البيان » لابن وهب ، و« مواد البيان » لعلي بن خلف و« التثقيف » و « التعريف بالمصطلح الشريف » لابن فضل الله العمري و « صبح الاعشى » للقلقشندي .

غير انه تواجهنا صعوبة وتقضي علينا ان نقلل من اهمية الوثائق : فاولا ان الغالبية المطلقة للوثائق الصـادرة في العصور القديمة والوسيطة قد اندثرت ولم يعد لها اثر الا عند من نقل كل او بعض مضمونها ، ومثل هذا النقل غير مأمون بدقته . والامثلة على ذلك في التاريخ الاسلامي كثيرة ، اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر معاهدة الرسول (ص) للنجرانيين ، التي نقلها عدد من الرواة باختلاف الالفاظ . وكتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى واليه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن فقـد رواه كل من ابي يوسف وابن سعد وابو عبيد القاسم بن سـلام بصيغة تختلف بترتيب فقراتها وضبط بعض الفاظها . وكتاب تعيين الرشيد ولديه الامين والمأمون ولبين العهد . فقد رواه الطبري والازرقي بصيغ مختلفة .

يسر تزايد المادة التي اصبحت في متناولنـا تدقيق كثير من النصوص وضبط الفاظها وتحديد تاريخها ، وهذا يكوّن مبررا لاعادة الكتابة بما يؤمن الافادة من هذه المستجد .

ان الكتب المدونة هي المعتمد الاوسع والاهم في دراسة التاريخ . واول ما ينبغي عمله هو ضبط قراءتها(٥)وفهم مفرداتها بالصورة التي ارادها المؤلف

(٥) نشرت في العربية عدة كتب عن اصول ضبط النص في الكتب العربية من ابرزها « اصـول نقد النصـوص ونشر الكتب » لبرجشتراسر ، و « تحقيـق النصـوص ونشـرها » لعبـد السـلام هارون ، « قواعـد طبـع وترجمـة النصـوص العربيـة » لبلاشبروسوفاجية (بالفرنسية) و « منهج تحقيق النصوص ونشرها » للدكتور نورى حمودى والدكتور سامي مكي .

ثم نقد مادتها،وكل من هذه الامور تتطلب جهودا غير قليلة قد تستلزم اعادة النظر في تصويبها ، ومرجع ذلك طبيعة الخط العربي واللغة العربية .

فاما الخط العربي فانه يتكون من حروف متشابهة الاشكال . تتمايز بمدى امتداد او ميل اطرافها . ويمكن اجمال اشكالها بالمجموعات التالية :

(١) ب ت ث د ذ ر ز س ش ل ن

(٢) ج ح خ ع غ

(٣) ص ض ط ظ

(٤) ف ق م

(٥) منفردات أ ه و

ويزداد تعقيد قراءتها عندما لا يعتني الكاتب بخطه ولا يبرز الامالات ولكن حتى في هذه الحالة يبقى التشابه مصدرا للاشتباه وعدم الدقة .

وقد عولج بعض هذا الامر بالتنقيط الذي نفتقد الوثائق اللازمة للبت في تاريخ نشأته . علما بان اقدم بردية عربية اكتشفت ترجع الى سنة ٢٢ ه ، وفي حروفها تنقيط (٦) مما يدل على قدم التنقيط .

غير ان كافة ما وصلنا من المدونات على الحجر او الخشب او المعادن او القماش . وخاصة ما كتب بخطوط مزخرفة . خالية من التنقيط ، الامر الذي يجعل قراءة كثير منها تقوم على الحدس والتخمين وليس على الجزم الثابت ، ويتطلب اعادة تدقيقها باستمرار للتثبيت مما تدل عليه الكلمات .

---

(٦) بردية رينر رقم ٥٥٨ المحفوظة فى فينيا . وعن تفاصيل اوفى عن اشكال كتابة الحروف في اوراق البردى انظر كتاب « من عالم البرديات العربية » للاستاذ جروهمان .

لاتقتصر مشكلة الخط على الخط العربي وحده، وانما تمتد الى خطوط معظم اللغات الاخرى ، ففي السريانية مثلا ٢٢ حرفا ، بعضها يقرأ بشكلين يقررها سياق الكلام ، وكثيرا ما يتطلب ان يفرض القارىء فكره فيختار صوتا دون اخر ، ويقرر قراءة دون اخرى ، وفي هذا اشكال غير يسير وخاصة عند قراءة نصوص فيها كلمة مفردة او فيها اسماء اعلام غير مألوفة .

وتزداد هذه الصعوبات في قراءة النصوص المكتوبة بخطوط بطل استعمالها وبلغات توقف تداولها كالمسمارية والبهلوية والتي كتبت في اولهما نصوص بالسومرية والاكادية والبابلية عبر قرون طويلة ، وكذلك البهلوية التي كانت احدى الخطوط التي كتبت فيها الفارسية القديمة .

تطـور الدراســات اللغوية : معاني المفردات

والمكوِّن الاساس للغة هي مفردات الالفاظ والكلمات التي بدون معرفة معانيها بالوجه الذي قصده الكاتب لا يمكن معرفة محتوى المدونات المكتوبة بشكل سليم .

والمعرفة السليمة لمعاني الكلمات التي في المدونات المكتوبة بالعربية يواجهها عدد من القضايا التي ينبغي اخذها بنظر الاعتبار ، اذ لاريب في ان اللغة العربية السليمة اي الفصحى التي تثبتت معظم مفرداتها بنص القرآن الكريم والشعر الفصيح ، ثم استقرت في المعاجم المعتمدة . وكل هذه المصادر الاساسية تظهر ان عددا غير قليل من الكلمات تختلف معانيها باختلاف حركات حروفها ، فكلمة « عين » تعني العضو المعروف ، و « عين » تعني الذهب وهو المعدن المعروف .

والكلمات رموز لمعاني يقررها الاستعمال ، وادقها ما ساد معناه المفرد عند الجميع . غير انه كثيرا من الكلمات كان لكل منها عدة معان ، او تطورت مدلولاتها مع احتفاظها برسمها . وفي القرآن الكريم امثلة غير قليلة على ذلك ، اذكر منها كلمة « امة التي وردت في القرآن الكريم في اربع وستين موضعا يدل سياق

ماذكرت فيه على تعدد وتنوع معانيها ، فقد وردت في القرآن الكريم بمعنى « صنف» الحيوان « ما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم »(٧) ، وذكرت بمعنى التقاليد السائدة « انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون » (٨) . وورد في اية ان ابراهيم كان امة (٩) وانه «كان الناس امة واحدة » (١٠) . واطلقت في اية اخرى على جماعة من المسلمين يجمعها واجب موحد » ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١١) . كما اطلقت على جماعات لها سمات معينة جاءتها رسل ، وان الرسول (ص) ارسل الى امة ، وان المسلمين امة،وهذا المعنى الاخير هو الذي عم استعماله فيما بعد فاصبح يقال « الامة الاسلامية » حصرا ولا يقال « الامة المسيحية » ، ثم تطور معنى الامة في الازمنة الحديثة فاصبح يستعمل بمعنى محدد يختلف عن المعاني السابقة . (١٢)

ومن الكلمات التي وردت في القرآن الكريم بعدة معان ، ثم استقرت بعد الاسلام بمعنى محدد . كلمة « سلطان » . فقد وردت في واحد وثلاثين اية منها ثلاثة عشر اية بمعنى الدليل او البرهان واقترنت بكلمة « مبين » . ومنها عشرة ايات وردت بمعنى عام . وثمانية بمعنى صاحب السلطة ، غير

---

(٧) الانعام . الاية ٣٨ .

(٨) الزخرف : الاية ٢٢ ، ٢٣ .

(٩) النحل : الاية ١٢ .

(١٠) البقرة : الاية ٢١٣ . يونس : الاية ١٩ .

(١١) ال عمران : الاية ١٠٤ .

(١٢) يونس : الاية ٤٧ ، النحل : الاية ٣٦ ، المؤمنون : الاية ٣٤ ، غافر : الاية ٥ ، وعن تحليلات واستنباطات اوسع انظر « مفهوم الامة بين الدين والتاريخ » للدكتور ناصيف نصار ، و « الامة والجماعة والسلطة لرضوان السيد ص ٣٥ فما بعد .

انها استقرت بعد الاسلام على معنى واحد هو صاحب السلطة . وبهذا المعنى تردد ذكرها في كتب الفقه الاولى (١٣) .

وذكرت « الفتنة » بصيغة الاسم في اربعة وثلاثين موضعا ، وبصيغة الفعل في اثنين وعشرين موضعا . بعضها بمعنى الانحراف عن الحياة السوية ولكن اكثرها بمعنى اجبار الانسان على ترك دينه . ثم اقتصر استعمالها بعد الاسلام على الاضطرابات السياسية الجائحة ، وحلت في وصف المسلم الذي يترك دينه كلمة « مرتد » وهي قرآنية ايضا .

ومن هذا القبيل كلمة « امير » التي لم ترد في القرآن الكريم بهذه الصيغة. وانما جاء ذكر « الامر » بمعنى الشأن ، و « امر » كما تردد في الاحاديث فعل « امّره » اي جعله على الجيش ، غير ان كلمة « امير » اصبحت في صدر الاسلام تطلق على قائد الجيش الكبير او على ولاة الامصار الرئيسة .

ان التعابير التي ذكرناها اعلاه واشرنا الى ورودها في القرآن الكريم . وتطور مفاهيمها بعد الاسلام هي بعض ما يتصل بالسياسة التي اشغلت حيزا ملحوظا في كتابة التاريخ باعتبارها معبرة عن كثير من القوى المحركة للحكام والجماهير . وذكر القرآن الكريم عددا غير قليل من التعابير المتصلة بها وتابع العرب استعمالها واسبغوا على كثير منها مفاهيم جديدة منوّعة .

ويمتد تطور مفاهيم المفردات الى ما يتصل بالادارة والنظم المالية . ونورد على ذلك بعض الامثلة عن تطور مفاهيم عدد من هذه المفردات واختلافها عن مفاهيمنا المعاصرة فمن الامثلة على ذلك كلمة « عامل » . فقد وردت في القرآن الكريم بصيغة الفعل في ٣٦٠ موضعا . وبصيغة الاسم «عَمَل» في ٨١ موضعا وبصيغة عامل في

(١٣) انظر عن دلالاتها السياسية والادارية كتابنا « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » . الفصل الرابع .

١٣ موضعا وكلها مقترنة بالسلوك والتصرف الا في آية واحدة بمعنى منصب اداري مسؤول « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » (١٤) . ثم اصبحت تطلق بعد ذلك ايضا على المسؤول عن انواع معينة من الاعمال الاداري كولاية السوق . والخراج ، وادارة المدن ؛ اما اليوم فان التعبير يطلق على من يعمل باجر دون ان تسري عليه احكام قوانين الوظائف .

ومن هذا القبيل كلمة « وظيفة » التي لم ترد في القرآن الكريم، وكانت تطلق في صدر الاسلام على الضريبة المالية الثابتة التي توضع اجمالا على مدينة او جماعة او ارض . وتتميز عن الخراج الذي يتنوع تبعا للمنتوج ، اما اليوم فتطلق حصرا على العمل الحكومي الذي يؤدى وفق شروط معينة .

ومن ذلك كلمة « الخراج » التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة بمعنى عام « ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير » (١٥) . ثم اصبحت تطلق على ما وضعه المسلمون على اهل البلاد والمفتوحة، ثم خصت بما يفرض على الاراضي الزراعية في البلاد المفتوحة التي لم يتقرر عليها نوع اخر من الضرائب (١٦) . وكانت تطلق في المدينة . وربما في الحجاز عموما على مايدفعه العبد المأذون لسيده مقابل الاذن له بالعمل .

وقد تستعمل الكلمة الواحدة بمعنيين مختلفين في مكانين مختلفين فكلمة « حائط » وردت في القرآن الكريم بمعنى الجدار ، وبهذا المعنى استعملت في في معظم ارجاء العالم الاسلامي ، الا انها كانت تطلق في المدينة على المكان المزروع بالاشجار (١٧) . اي مانسميه في العراق البستان .

---

(١٤) التوبة : الاية ٦٠ .

(١٥) المؤمنون : الاية ٧٢ .

(١٦) عن استعمال الكلمة للتعبير عن الضريبة المفروضة على رؤوس الرجال (التي اصبحت تسمى الجزية فيما بعد انظر « الجزية والاسلام » لدينيت : الفصل الاول .

(١٧) انظر في ذلك : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي لفنسنك مادة « حائط » .

ويقابل ذلك تسميات منوعة لمسميات واحدة ، وقد اورد المقدسي في فصل اطلق عليه « الاشياء التي يختلف فيها اهل الاقليم» امثلة كثيرة عنها ثم قال « ونحو هذا كثير وان استوعبته طال الكتاب » (١٨) .

والواقع ان كثيراً من الكلمات التي يذكر اصحاب المعاجم لكل منها عدة معان . فان كل معنى كان سائد الاستعمال في زمن ما ثم حل محله استعمال بمعنى ثان . وقد جرت دراسات عن تطور معاني بعض الكلمات . ومن ذلك دراسة بشر فارس تطور معنى كلمة « شرف » (١٩) . ودراسة نالينو لتطور معنى كلمة « ادب » (٢٠) ، وجرت محاولات لاعداد معاجم تظهر التطور التاريخي لاستعمال الكلمات . واشهرها محاولات المستشرق فيشر الذي عمل على اعداد معجم لهذا الغرض . وجمع له جذاذات كثيرة ، غير انه لم تطبع منه الا قطعة صغيرة . وبذلك تبقى الحاجة اليه قائمة .

ومن مظاهر التنوع وعوامله اختلاف الكتّاب في نوع ومعاني التعبير التي يستعملونها . ذلك ان الكتابة انواع . فبعضها يجري فيه تدقيق في استعمال الكلمات . ويتجلى هذا التدقيق في كتابة الوثائق الرسمية الصادرة من الجهات المسؤولة كالمكاتبات بين الحكام ، او تدوين اوامرهم . او شروط المعاملات وخاصة في البيع والاجارات . والواقع ان كل ميدان فكري يردد تعابير خاصة به وتثبتها اساليب التدريس كالاصطلاحات المألوفة لدينا في علم النحو من فعل وفاعل ، ومبتدأ وخبر ، وكالاصطلاحات المتداولة في كتب الفقه ، أو البلاغة او الفلسفه . ويجدران نذكر ان هذه المصطلحات استقرت عبر مدة من الزمن يختلف طولها باختلاف المصطلحات ، ولم يتم استقرارها الا

(١٨) احسن التقاسيم للمقدسي ٣١ – ٣٢ .
(١٩) مباحث عربية لبشر فارس ٩٣ – ١١٦ .
(٢٠) تاريخ الاداب العربية لنالينو . الفصل الاول .

بعد اختيارها من مصطلحات متعددة كانت منتشرة قبل استقرارها الذي لم يقض كليا على المصطلحات السابقة ، فظل البعض يستعمل في النحو « الحامل والمحمول » .

وقد الفت في العربية كتب جردت وعرّفت التعابير المستعملة في بعض ميادين المعرفة ، كالبلاغة والاداب ، والفلسفة ، والفقه ، والطب ، والموسيقى ؛ غير انه لم يؤلف فيما اعلم كتاب شامل في التعابير الحضارية .

ان كتابة التاريخ لا تقتصر على استعمال الكلمات « الفنية » الدقيقة التي تصف المؤسسات الفكرية والاجتماعية والادارية والسياسية ؛ وانما تمتد الى استعمال مفردات لوصف الاحوال وتطورها ايضا ، فنطاق الكتابة التاريخية واسع ، وهو يتطلب معرفة مفردات كثيرة ومواضع استعمالها في جوانب متعددة من الحياه . وكثير منها متصل بحياة العامة وافكارهم ، ومعرضة للتنوع والتطور . ولم نفرض على من يكتب التاريخ تعابير ملزمة الاستعمال . وبذلك أصبح كتّاب التاريخ احراراً في اختيار المفردات التي يستعملونها ،وهي تعبر عن تكوينهم الثقافي اكثر من تعبيرها عن اتجاه مستقر محدد ، والغالب ان الكاتب يدون افكاره بانطلاق لا شعوري ، ومع ان كثيراً منهم كان له اطلاع واسع في اللغة والفقه ، الا ان حظوظهم من ذلك متباينة . ونجم عن ذلك تنوع مفردات واساليب الكتابات التاريخية وقلة مراعاتها احياناً الفصاحة والدمه ، وهذا يظهر بصورة اجلى واوضح في الكتابات التاريخية في القرون المتأخرة التي ضعف فيها ضبط اسس الثقافة .

ان لكل كاتب ثقافته الخاصة التي يستمد اسسها وكثير من عناصرها من دراساته الاساسية ومن البيئة التي يعيش فيها ، وتبقى كتاباته معبرة عن « ذاته » و « شخصيته » « وكيانه » . وان اختلاف المفردات والاساليب التي يستعملها عما نألفه او نقدّره لا يعتبر مبررا لرفض ما يكتب ، وانما يتطلب

منا ان نفهم ما كتب ، ومن هنا جاء التنوع في الكتابات التاريخية ، والحاجة الى معرفة هـذا التنوع ، وهي تتطلب سعة الاطلاع على ما انتج الكاتب ، ومعرفة روح العصر . فالجاحظ مثلا من أغنى المنتجين في الثقافة ، وقد وصف في كتاباته جوانب متعـددة من الحيـاة في ازمنة متعاقبة ، واستعمل في كتاباته مفردات منوعة انفـرد في كثير منها ، والفهم الصحيح لما كتب يتطلب معرفة شاملة لكتاباته ، اما بقراءتها او بالاعتماد على الموثقين ممن درسوها ، كما ان الفهم الصحيح لما كتبه مؤرخوا العهود المتأخرة يتطلب معرفة واسعة بكتاباتهم وبثقافة العصر الذي عاشوا فيه .

ازدياد المعرفة بالالفاظ الحضـارية :ــ

ذكرنا ان المـدونات المكتوبة هي اوسـع وامتن اساس معتمد في دراسة التاريخ ، وان اول ما يتطلبه فهم هذه المدونات هو معرفة مفردات لغتها . ولا ريب في ان أبرز ما تتميز به الامة العربية هو لغتها التي تكونت وأستقرت مفرداتها وتراكيبها منذ ازمنة سحيقة . وكانت عامة،وتجلت في القرآن الكريم وما وصلنا من الشعر الجاهلي ، واصبحت بعد الاسلام وتكون دولته لغة الحكام والدواوين والثقافة ، وجرت عليها دراسات واسعة استهدفت حصر مفرداتها وتحديد قواعدها بما يتجلى في المعاجم وكتب قواعد اللغة .

وقد احتفظت اللغة العربية بوحدتها العامة التي عززها القرآن الكريم والحكام وقدرتها على الاستجابة لحاجات الناس ، غيـر ان ارتباط اللغة بالحضارة عرّضها التطور بتطور الحضارة ، فاستمرارية الوحـدة قام على الاتجاهـات العامة فيها،ولم يمنع حدوث تطورات داخلية، محلية او عامة ، فيها . فالوحدة لم تكن قوالب صلبة جامدة ، وانما مظاهر مرنة ، وان الفهم الصحيح للمدونات المكتوبة يتطلب معرفة هذا التطور واخذه بنظر الاعتبار .

غير ان التطور الحضاري العام لم يقتصرعلى احداث تطور في مفاهيم كثير من مفردات اللغة « الفصحى » وانما امتد الى استعمال كلمات لم يدخلها

اصحاب المعاجم في معاجمهم لانهم لم يرونها فصيحة . وقد تشدّد بعضهم في معاييرهم للفصيح . فقصروه على ما جاء في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي وفي لغة الاعراب من بعض قبائل الجزيرة ، وخاصة من كانت ديارهم في الاطراف الوسطى والغربية من هضبة نجد ، والحجاز ، فاقصوا عن معاجمهم كثيرا مما كان مستعملا في اليمن وفي المراكز الحضارية الكثيرة في الاطراف الشرقية من شبه الجزيرة بالرغم من ان سكانها عرب ولغتهم العربية . وبعملهم هذا ابرزوا الصلة الوثيقة بين العربية والاعراب ، حتى كادوا يجعلونها مقترنين . واظهروا العربية وكأنها لغة الاعراب . فاقروا بما قاله هؤلاء الاعراب . وشككوا في مكانة ما استعمله اهل المدن حتى انهم وصفوا المفاهيم الجديدة التراكيب القديمة بانها « مولدة » ووضعوها بما يشكك في مكانتها .

تبع توسع الدولة وامتداد العرب وانتشار لغتهم تطور حضاري عام وشامل اختلفت درجاته ومستوياته . ورافق ذلك ازدياد استعمال مفردات تعبر عن جوانب مادية واجتماعية وفكرية لما امتد اليه هذا التوسع . وكان كثير منها مما لم يكن مألوفا في الجزيرة . ويرجع بعضها الى اصول مرتبطة بالعربية في الازمنة السحيقة . الا ان بعضها مما كان مستعملاً في المجتمعات التي لايتكلم افرادها العربية ، ولا ريب في ان استعمال بعض هذه المفردات كان محلياً ومحدوداً ، الا ان بعضها انتشر استعماله في ارجاء واسعة من الدولة فاصبح عاما . وكان منها مقدار غير قليل مستعملا عند اهل بغداد التي كانت اكبر مركز حضاري وفكري في العالم الاسلامي ، علما بان كثيرا من هذه المفردات تعرض لتطورات غير قليلة شان مفردات « اللغة الفصحى » . وقد استعمل المؤلفون ، حتى المؤيدون للتشدد اللغوي ، هذه المفردات في كتاباتهم بصورة « عفوية » او « لاشعورية » وبمقادير متباينة (٢١) .

(٢١) انظر « من قضايا المعجمية العربية المعاصرة » لاحمد شفيق الخطيب .

وقد جرت محاولات لحصر هذه الكلمات ، فنشر دي غويه مجلداً الحقه بالطبعة التي اشرف عليها لتاريخ الطبري ، وذكر فيه عددا كبيرا مما ورد في كتاب الطبري ، واضاف معلومات عن اصول تلك الكلمات واماكن ورودها في بعض الكتب الاخرى،وفعل مثل ذلك ولكن بنطاق اضيق في طبعته لفتوح البلدان للبلاذري ، ومن هذا القبيل المجلد الرابع من المكتبة الجغرافية الذي ضم عددا كبيرا من المفردات التي وردت في كل من كتاب المسالك والممالك للاصطخري ، واحسن التقاسيم للمقدسي . والبلدان لابن الفقيه الهمداني

وقام عدد من ناشري الكتب الثقافية باعداد فهارس في المفردات التي وردت في الكتب التي نشروها ، ومن امثلة ذلك مانشره الاستاذ عبد السلام هارون ملحقا بكثير من كتب الجاحظ التي نشرها ، وخاصة كتاب « الحيوان » و«البيان والتبيين» و«رسائل الجاحظ»،اضافة الى مانشره الدكتور طه الحاجري مرفقا بتحقيقه كتاب البخلاء . وكذلك فهارس اللغة التي اعدها عبد السلام هارون ملحقة بالجزء الاول من نوادر المخطوطات ، وكتاب الموروث الشعبي في اثار الجاحظ » الذي اصدرته وزارة الاعلام العراقية

وفي هذا الميدان نشير الى الفهارس التي وضعها الاب انستاس الكرملي لما نشره من الكتب عن الاحجار ، والاكليل ، وكذلك فهارس الاستاذ عبود الشالجي نشره نشوار المحاضرة ، والاستاذ ميخائيل عواد الكتاب « رسوم دار الخلافة »

وتميزت الكتب التي نشرها الدكتور مصطفى زيادة والدكتور سعيد عاشور بفهارس واسعة عن التعابير الواردة في الكتب التي نشروها ، وخاصة « السلوك » و « اتعاظ الحنفا » للمقريزي ، و « مفرج الكروب » لابن واصل .

ونشر المستشرق دوزي معجما سماه « المكمل للمعجمات العربية » ضم عددا كبيرا من التعابير الحضارية التي يتردد ذكرها في الكتب العربية ولم تدخله المعاجم العربية القديمة المشهورة في مادتها ، كما نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة مجموعة من المصطلحات الحضارية المستعملة اليوم .

اهمية كتب الفقه :

ان هذه الانجازات استوعبت كثيراً من المفردات التي لم ترد في المعاجم العربية واستعملها العرب ابان ازدهار حضارتهم ، ولايزال ينتظر الباحثين الكثير مما لم يدرس بعد مما ذكره كثير من الكتب في مختلف ميادين المعرفة ، واخص بالذكر منها كتب الفقه ، وهي التي نطاقها واسع يشمل العبادات والعلاقات الاجتماعية والمعاملات والجنايات ، وميدانها عام يمتد الى كافة ابناء الامة دون الاقتصار على طبقة معينة او جماعة محدودة؛وذكرت هذه الكتب « مفردات » تعبر عن كثير من المعاملات والماديات من سلع ومنتوجات ونحن اذ نكتفي بالاشارة اليها فانما للفت النظر لثروتها الغنية التي لم يتم استيعاب دراستها بالرغم من جدارتها .

لقد قصرت على ذكر كتب الفقه الاولى ، واخص منها « الام » للشافعي و « المدونة » لمالك و « الجامع الكبير » و « الاصل » لمحمد بن الحسن الشيباني ، و «الاموال» لابي عبيد القاسم بن سلام ، واكتفي من الكتب المتأخرة بالاشارة الى كتب « الفتاوى » وكتب « الشروط » لما فيها من مادة مستجدة . اما بقية الكتب الفقهية الكثيرة المتأخرة فأكثرها تنقل عن الكتب الاولى وتتابع لغتها ، اما ما تميزت به من تحليل عميق وتعليل رائع فهو ادخل في تاريخ الحركة الفكرية منه ببحثنا الذي يتصل بالواقع .

التعابير السياسية :

وللتعابير عن الاحوال السياسية وضع خاص بعضه ناجم عن كونها تتصل بالشعب من جهة وبالسلطة العليا من جهة اخرى ، ولذلك فانه مع ان اكثر

هذه التعابير عربية اصيلة الا انها كثيراً ما تتخذ مدلولات متعددة ، كما انها تتعرض الى احكام متناقضة فمعتنقوها والمؤيدون لها يرونها مقبولة او جديرة بالمديح ، وخصومها يرونها مذمومة ، ثم ان هـذه التعابير يختارها الناس عفوياً دون تدقيق ، ويراعون في الاختيار السمة البارزة فيها وقد لا تكون شاملة لكل سماتهـا ، يضاف الى ذلك ان كثيراً من هذه التعابير السياسية والاجتماعية متصلة بحياتنا الحاضرة ، واصبح بعضها يطلق على عدد من تنظيماتنا المعاصرة واتخذت مفاهيم جديدة مقننة ، فدراسة التعـابير التي تطلق على النشاط السياسي للجماهير متعددة واسعة متصلة بالواقع دون القانون ، فحدودها غير واضحة وارتباطاتها واسعة بالاحوال الاجتماعية والسياسية ، وهي متطورة تبعـاً للزمان والمكان ، ففهم ما هيتها وتقـدير دورها والحكم السليم المنصف لها يتطلب ادراكا لغوياً وفهماً سليماً لتطور المجتمع ، علما بان في القرآن الكريم عدداً كبيراً من هذه التعابير التي وردت بعضها في عدد غير قليل من الآيات ، وقد ذكرنا اعلاه بعض هذه التعابير .

ان التدقيق في استعمال التعابير والمصطلحات يكوّن مشاكل متعددة ، منها مدى سلامة العربي الاصيل على المؤسسات المعاصرة . فكلمة « أمة » و«شعب» و « حزب » و « عامة » و « حرية » و « ظلم » هي مصطلحات قديمة ، ولكنها اتخذت في هذا الزمن معاني جديدة .

تعابير حـديثه لمؤسسات قديمـة :ـ

ثم انه تواجهنا عند كتابة التاريخ وجود مؤسسات كانت تعمل نفس العمل الذي تقوم به مؤسسات معاصرة لها مسميات متداولة ، ولكن لم تكن لها مسميات بالعربية ، او كانت لها مسميات غير مألوفة لدينا ؛ واضرب على ذلك مثلاً البنوك وهي مؤسسات فردية او جماعية او حكومية محور عملها الاقراض لاجل مقابل ربح يقرره نظامها ؛ وكلمة « بنك » التي عم استعمالها هي كلمة اعجمية مأخوذة من الايطالية بمعنى اللوحة الخشبية . ولعلها سميت بذلك لان

القائمين باعمالها كانت امام كل منهم عادة لوحة خشبية يضعون عليها النقود ويحسبونها وقد ظهر هذا التعبير وعم استعماله منذ اواخر العصور الوسطى ، غير ان ممارسة الاقراض بنطاقات المحدودة او الواسعة قديمة جداً ، وقد مارسها العرب ولكنهم لم يطلقوا عليها هذا الاسم ، وانما اطلقوا على بعض اشكالها اسماء منوعة ، فالقائمون باقراض الفلاحين او الدولة النقود كانوا يسمون الجهابذة ، والمقرضون الافراد ببيعهم لأجل سلعة بثمن اعلى من سعرها السائد ، كانوا يسمون « المعينون » . وهي عملية اقراض عليها ربح ، فهي نفس عمل البنوك اليوم ، فهل نستعمل عند كتابتنا تاريخ هذه المؤسسة كلمة «عينة» او «معين» كما سماها القدماء ، ام نستعمل كلمة « بنك » الدارجة اليوم .

ان معظم كتابة التاريخ . شأن كتابة المعارف الاخرى ، تتم بانطلاق الكاتب لا شعورياً في تدوين افكاره بالمفردات المألوفة في ذهنه ودون محاولة التدقيق في كل كلمة او فكرة . وهذا يجره الى ان يستعمل ما الف من تعابير كثير منها بمفهومها المعاصر ، وبذلك تصبح كتابته واضحة ومفهومة للقارىء المعاصر . غير انها كثيراً ما تباعده عن الدقة ، لانه بذلك لا يفرض التعبير فحسب ، وانما يفرض معناه على وصف ما كان في الماضي مختلفاً عن الحاضر (٢٢).

يتبين مما ذكرناه ان فهم مفردات المدونات امر اساس في كتابة التاريخ ، وان معاني الكلمات . وخاصة المتصلة بالحياة السياسية والادارية والاجتماعية والاقتصادية . تتطور على مر الزمان والمكان . ومن واجب كاتب التاريخ اخذها بنظر الاعتبار . وقد ادى اغفالها الى الوقوع في كثير من الأخطاء والتشويهات ، وقد يسر تزايد المصادر والتوسع في دراسة اللغة المجال لاصلاح هذه الأخطاء . غير انه بقي مقدار غير قليل يضع على الباحث عبئاً في معالجته واصلاحه ويكون مبرراً لاعادة قراءة المصادر واعادة الكتابة .

---

(٢٢) انظر كتاب : « حرفة التاريخ » لمارك بلوخ .

تزايد المصـادر

اولت المطابع العربية اهتماما بكتب التاريخ ،ومن طلائع هذه الكتب كتاب المكين الذي طبعه المستشرق الانكليزي بوكوك في اواسط القرن الثامن عشر ، ثم تزايد بعد ذلك طبع هذه الكتب في بلاد الغرب والشرق ، ورافقه ازدياد العناية بجمع المخطوطات وتنظيمها وتيسير الافادة منها ، وكذلك ازدياد الاهتمام باعداد فهارس عامة او خاصة بكتب التاريخ ، نذكر منها دراسة وستنفيلد التي نشرها في اواخر القرن التاسع عشر عن مؤلفات المسلمين في التاريخ ،وجهود كل من بروكلمان في كتابة « تاريخ الادب العربي » وفرنزروزنثال في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » ، وفؤاد سزكين في كتابه « تاريخ التراث العربي » وسوفاجيه في كتابه « دليل الدراسات التاريخية» بالاضـافة الى مئات الكتب التي ذكرت في دراسـات خاصة محـدودة كالذي نجده في دائرة المعارف الاسلامية وفي مقدمات عدد غير قليل من الكتب الخاصة باقليم او حقبة محدودة او شخصية بارزة او جانب من الحيـاة .

وتميزت بعض المطبوعات بدقة ضبط نصوصها،وذكر القراءات المختلفة لبعض الكلمات ، والفهارس الغنية التي الحقت بها .

وضعت الكتب المطبوعة والمخطوطات المتيسرة امام الباحث مادة واسعة ، بعضها مما هو معروف ، وبعضها مما هو جديد ، فثبتت كثيراً من الحقائق التي كانت معروفة ، ودققت في ضبط كثير منها ، واضافت معلومات جديدة تغني او تعدل او تصحح مقداراً غير قليل مما هو معروف .

ان المعلومات المتزايدة في المطبوعات والمخطوطات القت اعباءاً ثقيلة على الباحث في التاريخ الذي اصبحت امامه مصادر كثيرة واسعة يتطلب استيعاب مادتها وتفاصيلها جهداً كبيراً ووقتا طويلا ، وخاصة اذا كان ممن ينشد تحقيق الكمال او الاقتراب منه،والواقع ان في كثير من هذه المادة تكرار مضن تطيل الاشارة اليه البحث وقد تجعله مملاً ، او متيهاً للحقائق الجديدة .

ومهما حاول الباحث الاختصار في الجهد ، والتخير في القراءة والاقتباس، فان الاطلاع على هذه المادة الجديدة امر لازم لمن ينشد كتابة قريبة من الكمال . وهي تؤدي الى تناقص اهمية الكتب « القديمة » امام الابحاث الجديدة ، فتكون بذلك مبررا لاعادة كتابة التاريخ بما يستوعب ما في المصادر الجديدة من معلومات واراء .

تطور نطاق دراسة التاريخ وتوسع الدراسات في العلوم المتصلة به

كان التاريخ يعني بالحوادث السياسية البارزة والمتفردة ؛ غير ان مفهومه تطوّر واتسع نطاقه وامتد ليشمل نشاط الانسان في مختلف جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والمعاشية والفنية والفكرية ، وهو لا يركز على هذه الدراسات ، وانما يعني بعلاقتها بحياة الانسان ، فالباحث في تاريخ الاقتصاد يبحث عن التطور الزمني للنظريات والمعلومات الاقتصادية ، والباحث في تاريخ الفن يدرس التطورات التي حدثت في الفنون ويولي اهتماما خاصا بالجانب الذي كانت له مكانة او اثر ابرز في تطور الفن ، اما الباحث في التاريخ فيهتم بعلاقة الاقتصاد او الفن بحياة الانسان ، اي انه يأخذ من الاقتصاد وتاريخه ما يتعلق بحياة النـــاس . وهـــذا يخرج من نطاق بحث المؤرخ التعمق في النظريات والمعاملات الاقتصادية . وخاصة السائدة منها ، ولكنه يتطلب منه ان تكون له فكرة عامة عن هذا الجانب وقدرة على كشف علاقاتها بالانسان . اي ان الباحث في التاريخ لا يقصر عمله على تدقيق المعلومات ، وانما يمد ذلك الى تكوين نظرة عامة اجمالية وشاملة لمختلف الجوانب التي يمتد اليها نشاط الانسان .

ولاريب في ان الدراسات الواسعة الحديثة في العلوم المتصلة بالتاريخ ابرزت افكارا واراء يمكن الافادة منها في توضيح ماهية النشاط الانساني وقيمتها في بيان اثاره .

الثبـات والتغير

ان نشاط الانسان واسع في امتداده ، متطور في سيره ؛ فاما سعته فمن حيث شموله مختلف الميادين المادية والاجتماعية والفنية والفكرية ، واما التطـور فمن حيث عـدم جموده او انتظـام سيره او ثبـات تناسق عناصره ؛ فكل مجتمع يمر باطوار من النشاط الفعال والركود والجمود ، كما انه قد يعني في زمن ما بجانب او جوانب محددة من الحياة ، ثم ينقل عنايته الى جوانب اخرى ، وقد يكون هذا النشاط جماهيريا عاما واسعـاً ، او قد يقتصر على فئات محدودة سواء كانت بيدها مقاليد الحكم او هي بعيدة عنه .

حاول عـدد من المفكرين استنباط خطوط عامة لسير تطور كل امة او الانسانية جميعاً ، ونشروا في ذلك ابحاثا غنية بالمعلومات والافكار ، ومن ابرزهم ابن خلدون ، اما في الازمنة الحديثة فقد عرض في الغـرب عدد من المفكرين صوراً لمسيرة البشرية ، وعززوا ابحاثهم بمعلومات وافكار غنية ، ولعل من اشهـرها دراسات شبنجلر وتوينبي ، غير ان هـذه الابحاث فيها معلومات واسعة قائمة على الحدس والتخمين ، فهي ادخل في الفلسفة منها في التاريخ ، ولم يكتسب اي منها الدرجة القطعية ، ولايزال الخلاف واسعاً عن مدى وجود « قوانين » صلبة تسير الانسانية بانماط مثبتة (٢٣) .

غير ان هذا لا يعفي المؤرخ من واجبه في الاطلاع على مختلف جوانب نشاط الانسان ، وتقديره لاهمية ودور كل جانب في كل فترة من فترات الحياة

المعلومات عن الافاق الجـديدة :ـ

ان هذا التوسع الجديد في ميدان دراسة التاريخ يتطلب البحث عن مادة جديدة . وفهمـا جديداً لمجرى التطور .

---

(٢٣) انظر « القانون والاحتمال في التاريخ » لاشعيابرلين .

وفي كتب التاريخ السياسي عن الجوانب التي اصبحت تعني بها الدراسات التاريخية معلومات متفرقة تذكر عرضياً وفي الغالب لعلاقتها بالحوادث السياسية او بمن اسهم فيهـا ، فالكتابة الجديدة تتطلب ان تولي هـذه المعلومات اهتماما بجمعها ودراستها ، وهو عمل يتطلب تدقيقا وصبراً لمعرفة هذه المعلومات وجمعها وتحليلها .

ان المادة التي عن الجوانب التي يعني بهـا التاريخ الجديد والموجودة في كتب التاريخ السياسي لها اهمية من حيث ان بعضها يبرز علاقة هذه الجوانب بالحوادث السياسية،غير انها عموما قايلة ومتفرقة وتذكر عرضيا ، ولابد لاغناءها وتوسيعها من مراجعة كتب اخرى يمكن وضعها بصنفين اساسيين احدهما كتب ترد فيها عن هذه الجوانب معلومات عرضية متفرقة ، والثاني صنف من الكتب مكرس لبحث احد هذه الجوانب بصرف النظر عن ارتباطاته بمجرى التطور العام للانسانية .

فاما الصنف الاول فيصعب حصره ، وهو يتوقف على مدى استطراد المؤلف في كتابته وتدوينه معلومات عن جوانب متعددة من حياة الانسان : وتتميز ما نسميها كتب الاداب باحتوائها على معلومات منوعة غير قليلة ، ومن هذه « عيون الاخبار » لابن قتيبة . و«العقد الفريد» لابن عبد ربه ، و «نثر الدر» للآبي و«حكاية ابي القاسم» المنسوبة للازدي ، و«الاغاني»لابي فرج الاصبهاني . و«الامتاع والمؤانسة» للتوحيدي و «سراج الملوك» الطرطوشي و « بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي ، و «مطالع البدور» للغزولي . و«الف ليلة وليلة» اضافة الى كتب الجاحظ والثعالبي . والتنوخي . وما كتب عن اخبار اصناف من الناس . كالاذكياء . والحمقى . والمغفلين . والبخلاء . والعميان . والنساء .

ان في معظم هذه الكتب معلومات مهمة عن جوانب متعددة من الحياة ولكنها في الغالب متفرقة وكثير منها يذكر عرضياً ، ويتطلب جمعها متابعة واسعة ، وقراءات كثيرة في مواضيع متعددة قد تشتت الذهن وتولد للسأم وتفوت اقتناص المعلومات .

وقد نشرت دراسات غير قليلة عن جانب او اكثر من الحياة في العهود الاسلامية ، وفي كل منها مجموعة من هذه المعلومات منظمة تبعاً لمواضيعها وألحق ان بعض الناشرين بالكتب التي نشروها فهارس بما ورد فيها من التعابير الفنية ، واضافوا بعض المعلومات عن هذه التعابير . وهي تيسر للباحث الحديث عمله ، غير انها ليست مستوعبة ولا شاملة . ولا يزال المجال واسعاً لجمع معلومات عن جوانب لم تحض بالاهتمام . او لانماء معرفتنا عن جوانب اجريت عليها دراسات . ويساعد فهمها وتحليلها عن اكمال الصورة العامة عن هذا التطور .

والصنف الثاني كتب اختصت بجانب او عدة جوانب متقاربة من حياة الانسان ، ومن الامثلة على ذلك ما كتب عن الاموال ، او الزكاة ، من كتب مستقلة او فصول من كتب الفقه . وما كتب عن الوزارة او الوزراء ، وعن القضاة او القضاء ، وعن المدن والاقاليم او الولاة ، منفردة او مجموعة في كتب شاملة كالاحكام السلطانية للماوردي . وللفراء ، وصبح الاعشى للقلقشندي ، وفي كل من هذه الكتب معلومات واسعة عما اختصب به . ولكن لا يمكن القول بان اياً منها مستوعب ، بالاضافة الى انها تبحث المؤسسة وقلما تبحث تطورها وعلاقاتها المترابطة بالمؤسسات الاخرى التي تكون حصيلتها حياة الانسان ونشاطه عبر الزمن .

المخلفات الاثارية ونطـاق استعمالها :ـ

ان امتـداد دراسـة التـاريخ الى جـوانب متعـددة من الحيـاة المـادية يتطلب الاستفـادة من المخلفـات المـادية في توضيـح التطـور التاريخي . وهي منوعة ومتعددة تشمل المخلفات الحجرية والمعدنية والنباتية مما استعمله الانسـان في مختلف اغـراض حياته من مسكن وملبس ومأكل ، ولتـأمين حيـاته والدفاع عن كيـانه ، وبمختلف المستـويات الابتـدائية والمتقدمة . وتبعاً لتطور انتشـار استعمالهـا في مـداه المكاني والزماني .

وكثير من هـذه المخلفات لا تقتصر دلالاتها على نوع الحياة التي عاشها الانسان ومدى رفاهه او بؤسه ، وانما تدل ايضا على المستوى الذي وصله في التقدم التقني والصنـاعي ، وعلى بعض الاتجـاهات الفكرية ومدى الاقتباس والتمازج ، او العزلة والاختلاط في الحضارات . فبناء الاهرامات في مصر لا يدل على مدى تقدم وسائل النقل والبناء فحسب ، وانما يدل ايضا على مدى تقـدم علم الفلك . ومعبـد بعلبك لا تقتصر اهميته في الدلالة على الترف والرفاه واتجاهاته ، وانما يدل ايضاً على مدى تقدم التقنيات في قطع الحجارة والحيلة في نقلهـا ورصفها وفق صور مقبولة . والانهار والترع المحفورة في العراق تدل على مستوى عال من معرفة الماء وميزانه ، والتربة ونوعها . والارض وانحدارها .

تواجه الافادة من المخلفات الاثارية صعوبات غير قليلة يتوقف التغلب عليها على حسن الاستفـادة منها فمن ذلك تحديد الغرض من استعمالها ومداه ، وتحديد تاريخ استعمالها ومدى انتشاره . وتقدير تطور علاقاتها بالانسان . وبالنظر لعدم وجود سجل مكتوب عن تاريخ معظمها ، فان معظم الباحثين يحددون تاريخها على اساس مشابهتها لما هو معروف تاريخه ، وهو اسلوب غير مضمون ويوقع في كثير من الاخطاء

ومما يزيد في اخطار تحديد اهميه هذه المخلفات في معرفة تطور الحياة الانسانية هو ان ما بقي من هذه المخلفات مما يمكن دراسته مقداره قليل نسبياً وغير منتظم التوزيع حسب الزمان والمكان ، فالمخلفات تسـاعد وتكمل ولكنها لن تكون اساسا شافياً للدراسات .

ضبط النص وفهمه وتطـور طرق البحث :

اكد عدد من الباحثين المحدثين في قواعد البحث التاريخي على اهمية الوثائق ، وآمن كثيرون بصحة قول سينوبوس ان التاريخ وثائق . فاذا ضاعت الوثائق ضاع التاريخ ؛ وافاضت الكتب المؤلفة في قواعد البحث التاريخي في شرح

الطرق الواجب اتباعها للتحقق من صحة الوثائق : من تدقيق في الورق والحبر والخط واللغة (٢٤) واسهمت المخترعات الحديثة وخاصة ما يسمى الفحص الكاربوني في تثبيت هذه الصحة ، وتمييز المزيف من الاصيل ، وكانت لذلك اهمية ملحوظة في تقرير قيمة بعض الآثار خاصة . كالاناء المنقوش الذي كان يعد من زمن الساسانيين وصار اساسا لدراسة الفن الساساني ، ثم تبين انه مصنوع في جنوبي روسيا في القرن العاشر الميلادي ، اي بعد اكثر من قرنين على زوال دولة الساسان ؛ وقصة تمثال سومري كان يظن انه اصيل ثم تبين انه مزور ؛ وانه مصنوع حديثا من حجارة لا توجد الا في شمالي اسبانيا . والامثلة في ذلك كثيرة يخرجنا التفصيل فيها عن نطاق بحثنا الحالي .

ويجدر ان نشير هنا الى الجهد الرائع الذي بذله علماء الجرح والتعديل المسلمين في ضبط احاديث الرسول (ص) . والقواعد الدقيقة الشاملة التي وضعوها لتحقيق هذا الضبط (٢٥) . غير ان هذه القواعد لم تمتد الى دراسة كتب التاريخ الذي تصعب مراعاتها حرفيا عند دراسته . فالشروط التي اشترطوا توفرها في الرواية من سلامة الحواس . ودقة الملاحظة . وحسن الادراك ، والصدق والامانة والدقة يصعب جداً تطبيقها على رواة التاريخ وكتاب حوادثه لعدم توفر المعلومات الكافية عنهم ، كما ان رفض ما كتبوه

(٢٤) من اهم الكتب الغربية في الموضوع « المدخل الى الدراسات التاريخية للانجلو وسينوبوس وقد ترجمه الدكتور عبدالرحمن بدوى ونشره مع فصول عن نقد النص ، وعن التاريخ العام ، ومقال في المنهاج لديكارت ، ونشرت مجموعة في كتاب « النقد التاريخي » .

(٢٥) انظر عن المؤلفات فيها « بحوث في تاريخ السنة المشرفة » للدكتور اكرم العمرى ، وانظر ايضا المقدمة التي كتبتها الدكتورة بنت الشاطيء لكتاب « مقدمة ابن الصلاح » الذى نشرته ، وهو من اوسع الكتب العربية في هذا الميدان .

وانظر ايضا « مصطلح التاريخ » للدكتور اسد رستم ، و « مناهج البحث عند المسلمين » لفرانز روزنثال .

لمجرد عدم تأكدنا من سلامتهم الجسمية والفكرية والخلقية سيؤدي الى فراغ كبير لا يمكن املاؤه أو تحقيق كتابة عنه ؛ والواقع ان أقيم البحوث التاريخية تمت من ممارسات عملية لم يدقق كتابها في مراعاة الشروط التي وضعها المؤلفون في طرق البحث التاريخي (٢٦) .

دور الفرد : البطل في التاريخ :ــ

ان نشاط الانسان الذي يدرس التاريخ تطور احواله عبر الزمن واسع النطاق . متعدد الجوانب : فهو يشمل الحياة السياسية والادارية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والفكرية . وهو يشمل الممارسات العملية والافكار النظرية والتفاعل بينهما . وعلى الكتابة التي تنشد الاقتراب من الكمال ان تعالج كافة هذه الجوانب ، كل بقدر دوره واثره .

ان الانسان كائن متميز . فهو « كل » ويكون وجوده « وحدة » تشترك فيها مختلف جوانب الحياة متداخلة ومتشابكة وبدرجات مختلفة . فقد يبرز جانب او جوانب محدودة . ولكن بروزها لا يعني انعدام الجوانب الاخرى . والباحث في التاريخ الذي يسعى الى تأليف كتاب شامل يلقى صعوبة فرز هذه الجوانب وتقدير نطاق اهمية كل منهــا ومتابعة ومدى التداخل بينهما . خاصة وان هذه الجوانب لا تتساوى في نموها ، أو في تتطورها . فقد يبرز جانب ما في زمن ما فيطغى على الجوانب الاخرى ، او قد يضمر حتى يكاد يختفي مما يزيد في صعوبة التقدير . ويكون معضلة للباحث الذي ينشد الكمال في الكتابة .

لاريب في ان الانسان هو اللبنة الاساسية في مسيرة التاريخ . ففيه تقوم الاحداث وتتوجه التطورات : غير ان الافراد لا يتساوون في ادوارهم في ذلك فكثير من الافراد دورهم محدود او رتيب . غير ان بعض الافراد يسهمون

(٢٦) يتجلى هذا التباين عند مقارنة الشروط التي وضعها لانجلوا وسينوبوس بالاساليب العملية التي اتبعها كرمب وشرحها في كتابه « حرفة التاريخ » .

في الحركة والتوجيه في جانب واحد او اكثر بادوار متميزة وقد تكون كبيرة ولها اثار دائمية؛ وفي التاريخ امثلة كثيرة لرجال كان لهم دور واسع في توجيه من حولهم نحو وجهات ظل اثرها عميقا وواسعا وامتد امادا طويلة . بل ان عدداً منهم لايزال اثر توجيهه واضحا حتى اليوم والى ما شاء الله، ويكفي ان نشير في هذا الى اثر الانبياء والمصلحين الاجتماعيين فى اعداد كبيرة ممن تقبل دعوتهم وتوجه بارائهم . وكذلك عدد من رجال الحرب والحكم ممن حققوا انتصارات عظيمة وقاموا باعمال كبيرة ؛ ولعل من هذا المنطلق ألفت أكثر الكتب في اخبار الرجال وسيرهم، وعلى اساسه ايضا نظمت مادة كتب كثيرة في التاريخ تبعاً للحكام وتعاقبهم . ونسبت ما حدث في زمن من كل حاكم اليه . وآمن عدد من المحدثين بدور الفرد . فألفوا كتباً في توضيحه او في سيرة «البطل» .

لا ينكـر دور الفـرد وخاصـة في الدول القـديمـة والوسيطة حيث كانت لافراد الحكام، من ملوك وامراء . سلطات واسعة غير مقيدة ، وكذلك ظهور عدد من الموهوبين الذين كان لكل منهم دور بارز في اثارة الهمم . وتوجيه الناس لاعتناق الافكار التي دعوا اليها وتحقيق الاهداف التي رسموها . ولا يصح ان يغمط حقهم وتنتقص مكانتهم . ومقابل هذا لا يجـوز تعميم « التفسير الفردي » على كل احداث التاريخ ، فالابطال قلة في كل زمان ومكان . وسبب نجـاح كثير منهم هو قدرتهم على فهم الاحـوال العامة والافادة منها في نشر الافكار وجمع الانصار ، فمهما كانت براعة القادة العسكريين فان كثيراً من الفضل في نجاحهم يرجع الى من عمل بامرتهم لتنفيذ اوامرهم . فكيف يستطيع قائد ان ينتصر بغير الجند .

ان تقدير دور « البطل » في العرض التاريخي لا يعني اهمال الاهتمام بتطورات الشعب ، فالانسان يعيش في المجتمع ويرتبط مع غيره بروابط

متعددة ومنوعة ، ويتبادل معهم التأثير ، ويتكيف سلوكه مع الجماعة التي يعيش فيها ، وكثيراً ما يتصرف ضمن الجماعة بما لا يتصرف به لوكان منفرداً .

الجماعة والامة

والاهتمام بما للفرد من ابداع او تصرف خاص وتنوع لا يحجب الاهتمام بدراسة دور الشعب بمختلف مكوناته العرقية والاجتماعية والسياسية ، وهذا الاهتمام هو ابرز ما يميز المفاهيم الحديثة في دراسة التاريخ وهو يتطلب جهودا كبيرة في جمع المادة عنه ، والافادة من دراسات العلوم الاخرى ، كعلم الاجتماع والاقتصاد والاجناس والانثروبولوجيا ، لتوضيح الترابط والتفاعل في حوادثها ومداها وتطورها ، مع تقدير سليم لاثر كل منها .

يرتبط افراد الامة والدولة والجماعات الكبيرة بروابط عامة ويتصرفون في كثير من جوانب الحياة باشكال متشابهة ، وبذلك يتسمون بسمات عامة تميزهم وتوحد مظاهر حياتهم . علما بان هذه المظاهر العامة تتعرض لتطورات تختلف سعتها وامتدادها وعدمها وسرعتها ، ولا تسير وفق انماط منتظمة او قواعد ثابتة ، لذا ينبغي تحاشي الاقتصار على مفعول عامل واحد عبر مدة طويلة من الزمن ، وانما واجب كاتب التاريخ متابعة هذا التطور ووصف احواله وتطوره دون الاقتصار على مظاهر الثبات فيه .

مهما كانت سعة وعمق الروابط العامة التي تربط الجماعات الكبيرة من افراد الامة او الدولة . فان عددا من المجموعات الصغرى التي ضمن الجماعة الكبيرة تكوّن روابط خاصة تظهرها متميزة في الجماعة الكبيرة ، وقد تكون هذه الروابط الخاصة مخالفة او مناقضة للروابط العامة ، وقد يكون لها مفعول قوي وطويل في حياة هذه المجموعات الصغرى التي ترتبط بروابط خاصة متعددة ومتداخلة ، فالمرء قد يرتبط باسرته او عشيرته او حرفته او عقيدته السياسية والدينية او اتجاهه العلمي ، وترافق هذه الروابط اساليب في السلوك والعادات ، وهي اكثر

عرضة للتغير في المدن وفي ظل النظم التي تبيح الحرية ، غير ان المدن قليلة ، والريف اوسع ، وعدد من يتوزع سكناه في القرى اكثر ، والغالب ان المجتمعات في الريف تكون معزولة ، وخاصة في الازمنة القديمة حيث كانت وسائل المواصلات صعبة وسبل الاتصال قليلة ؛ غير ان هذا التنوع في الخصائص المحلية لايزال قائماً حتى اليوم ، فان التطورات الكبيرة في تيسير وسائل المواصلات وزيادة الانصالات ادت الى تعميم انتشار كثير من الممارسات والافكار في مختلف ارجاء العالم ، بين مختلف الاقطار والمناطق والبقاع من الصحارى والارياف والمدن لدرجة اعتقد الكثيرون بان العالم تسوده اليوم حضارة عامة موحندة ، وهي اراء قائمة على مشاهدات سطحية لو تعمقنا فيها لوجدنا ان التنوع في الحضارة العالمية الحديثة قد لا يقل في عمقه ومداه عما كان في المجتمعات القديمة ، فان نمو الفردية وتشجيع الابداع انميا في مختلف جوانب الحياة المادية والاجتماعية والفكرية والفنية ، تيارات متعدده ومنوعة تخالف السمات العامة التي تشترك فيها الحضارة العالمية ، وكثير منها محلي في مداه ، ولكنه يعزز السمة الاساسية وهى وجود التنوع بجانب الوحدة ، وكل بحث تاريخي ينبغي ان لا يقتصر على السمات العامة الموحّدة ، وانما يجب ان يشير الى التنوعات المحلية ، مع تقدير متزن وسليم لامتداد واثر كل من الوحدة والتنوع ، وهذه النظرة الشاملة المتزنة لم تتوفر كثيراً في الابحاث السابقة التي كانت تقتصر على وصف الروابط والسمات العامة ، او على الخصائص المحلية فتعممها على حساب الاخرى ، وبذلك تقدم صورة غير دقيقة لاحوال البشرية وتطورها في المجتمعات العامة .

تحديد الفراغات واملائها :ـ

مهما كانت كثرة الحقائق المثبتة صحتها التي نستطيع الحصول عليها ، فانها غير كاملة في كميتها ولا منتظمة في توزيعها وغير كافية لتوضيح كافة

ما نريد معرفته ، ففد تتوفر مادة واسعة عن بعض الجوانب ، وتشح او تنعدم عن حوادث وجوانب اخرى . وهذا الاختلال في كمية المعلومات لايتساوى دائما مع اهمية الحوادث ، فقد تتوفر مادة عن بعض ما لانرى اهمية له ، وتشح المادة عن بعض مانراه مهما ؛ والواقع اننا نفتقد المادة عن ازمنة عديدة وجوانب كثيرة من حياتنا واعمالنا في الماضي . وعن امور تدل الدلائل على اهميتها ، ولهذا اثر اوضح عند محاولة عرض تاريخ يمتـد حقبة غيـر قصيرة او يشمل جوانب متعددة .

تتطلب الكتابة الجديدة معالجة هذا النقص في المادة ، وهي تتم اما بالاقتصار على تحديد النقص والاشارة اليه او بالحدس والتخمين في املائه . وللاشارة الى النقص اهمية فهي تنبه الى ما يستحق المعرفة وتلفت النظر اليـه ، وبذلك تنبه الباحثين الاخرين الى الاهتمام به والعمل على توضيحه ، وقد ذكرنا من قبل ان مصادر المعلومات منوعة واسعة تصعب الاحاطة بها ، والمعلومات عن كثير من الجوانب مشتتة تقتنص بالصدفة ، فلفت النظر الى الفراغات ينبه الاخرين الى اهمية المادة عنها ، ليلتقطوا ما يجدونه عنهـا ويقدموا مادة متنامية قد تعين في المستقبل على توضيح ما ندرك جهلنا به .

وبالامكان ملء الفراغات بالحدس والتخمين أو بالاقتباس من مجـرى حوادث اخرى مرت بالامة او بالامم الاخرى ، ولكلتا الحالتين فوائد واخطار ، فاما الحدس فقد يكون قائما على اساس سليم ، فأذا قلت ان القائد الفلاني انتصر على عدوه الذي قاتله ، فلا بد ان يكون له جيش بلغ عدده وقـوته ما ضمن له الانتصار . اذ ان اي قتال لايمكن ان يحدث بغير مقاتلين ، واية حركة لايمكن ان تتم بغير رجال يسهمون فيها ؛ وتشييد الابنية الضخمة لايمكن ان يتم بغير خبراء في البناء ونقل الأحجار ورفعها . ووجود تمثال او بناء من الحجر الاصم الثقيل في ارض رملية لابد ان يكون ناجماً عن نقـل هذه الحجارة من المكان المتوفر فيه ، وبالامكان ايراد امثلة كثيرة على حدس قريب من الدقة يمـلأ كثيرا من الفراغات الناجمة عن عدم اشارة المدونات المكتوبة اليها

وتتوقف صحة الحدس على مدى فهم الباحث وعمق ادراكه وشمول نظرته غير انه يبقى عليه واجب التميز بين ما استمد معرفته من المصادر وما ارتاه من الحدس وذلك باستعماله التعابير الدالة على ذلك كأن يستعمل في ما يحدس به تعابير « والراجح » او « ولابد » وامثالها . وقد تملأ الفراغات عن طريق الاقتباس من المعلومات المتوفرة عن حوادث مشابهة في تاريخ الامة او الامم الاخرى ، ولا ريب في ان هذا الطريق يتسع عند من يرى ان البشرية تسير وفق قوانين ثابتة المعالم ، وهو رأي يعني في تطبيقه تشابه الاسباب والنتائج للحوادث التي تبدو متشابهة.غير انه ينبغي عدم المبالغة في ذلك ، فميزة التاريخ التفرد، والتشابه في كثير من الحوادث المتباعدة ظاهرى غير تام،و«لكل حادث حديث» والواقع ان «التاريخ المقارن» مفيد لباحث التاريخ ،فهو ينبه الباحث الى جوانب او عوامل مؤثرة او نتائج محققة قد ينطبق بعضهـا على مايدرسه ، ولكن لايصح الاخذ بها حرفيا لان الحـوادث مهما كانت متطابقة في الظاهر ، فلا بد من وجود اختلافات بينهما قد تكون اعمق مما تبدو للعيان .

تقـدير الاهمية : الدوافع والاثار

ان جمع الحقائق والتثبيت من صحتها وفهمها فهمـاً سليماً هي المرحلة الاساسية الاولى في اي بحث تاريخي ، غير انهـا لاتكفي وحدها لاتمام الدراسة التاريخية ، فالكتاب الذي يقتصر على سرد هذه الحقائق هو اشبه بجداول مواعيد سير القطارات او دليل التلفون ، ولا يكون كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح مالم يقدر قيمة هذه الحقائق ويبين علاقاتها بالحقائق الأخرى التي تعبر عن مختلف جوانب الحياة،ويوضح ارتباطاتها بغيرها ومدى تأثيرها على مجرى الحوادث ضمن الهيكل العام الذي يعمل الباحث على رسمه وتوضيحه ، والصورة العامة لهذا الهيكل هو الهدف النهائي للكتابة التاريخية ، وهو يشمل شيئاً اكثر من مجرد رصف الحقائق ، وشأنه في ذلك كالبيت الذي وان كان يعتمد على متانة الطابوق والمواد المستعملة في بنائه الا انه يقوم على كيفية رصف وتنظيم الطابوق وبقية المواد ووضعها في موضعها الصحيح لتكون متكاملة ومتناسقة في مظهرها العام .

دوافع العمل :

اذا كانت معرفة الحقائق تعتمد على المصادر والمدونات . فان معرفة آثارها وارتباطاتها تتطلب معرفة طبيعة الانسان ، فهو المحـــور الاساسي في الحوادث التاريخية التي هي من صنعـــه وتؤثر فيه ، واهميتها قائمة على سعة وعمق تأثير هافيه بالاضافة الى ان الانسان هو الذي يدون اخبارها بالشكل الذي يريد . فالمعلومات عن كل حادثة وصلتنا عن طريق من كتب عنهـا وهو انسان له القدرة على اختيار الحقائق التي يعرضهـا ويضعها في الصورة التي يريدها ، اي انه يقدم عن الحادث صورة «مصفاة» في ذهنه وقد لاتتطابق تماما مع واقع ماحدثت عليه ، او قد تكون اهميتها الحقيقية مخالفة لما ذكر . ولذلك فان اي بحث في التاريخ يجب ان يأخذ بنظر الاعتبار دور الانسان في احداث الحوادث وتقدير آثارها والاخبار عنها .

والانسان كائن معقد ، يعيش في مجتمع معقد ، لا يقتصر تصرفه على الاستجابة الغريزيه الثابتة للمؤثرات عليه ، وانما يتصرف في شكل الاستجابة وقوتها ، فاستجاباته للحوادث التي يتعرض لها لاتعتمد على مجرد غرائز تسير على نمط واحد يكون قانونا بسيطاً وقوياً ملزماً كأستجابة الجمادات على مايؤثر عليها ، وانما تكون استجاباته باشكال مختلفة وبقوى مختلفة ، وفي الحـوادث الفـردية امثلة لا تتناهى عن هـــذا التنوع ، فاذا شتمك انسان فقـــد تتقبل منه الشتيمة بترحاب او سكوت او امتعاض ، وقد ترد عليها بمثلها او اقوى منها ، وكل ذلك متوقف على « وضعك » و « حالتك النفسية » التي لاتجرى دائما على نمط واحد .

ومن خصائص الانسان تعدد جوانبه الفكرية من بصر مادي محدود الى تفكير عقلي عميق . كما ان استجاباته لاتتوقف على مجرد التفكير والادراك الايجابي ، وانما تتأثر بالخزين النفسي والعقلي الذي يؤثر في التصرف بقوة وبلا وعي ، وهو

مانسميه «للاشعور» . والواقع ان تكوين الانسان السلوكي والعاطفي والعقلي كان موضع اهتمام المفكرين منذ القديم ، ثم ازداد واتسع حديثاً واخـذت دراسته تتبع طرفاً وتستخدم اجهزة تيسر للباحث فيه الدقة في الفهم ، ولكن اكثر الجهود الواسعة في هذا الميدان الذي نسميه « علم النفس » لا يزال يعني بالجزئيات وشواذ السلوك ، ولم تصل الى الاحكام القاطعة والصورة الشاملة لسلوك الافراد والجماعة ؛ ولكنها مع ذلك قدّمت افكاراً لا يصح تجاهلها ، وهي تقضي ان يعيد كاتب التاريخ النظر في تقدير قيم الحوادث ودوافعها واثارها .

الاثار الفكرية والاجتماعية :

يمكن تتبع اثـار بعض الحوادث وخاصة السيـاسية والعسكرية لانهـا ظاهرة للعيان ولأن الاقدمين اهتموا بتدوينها ، غير ان تتبع الاثار الفكرية والاجتماعية اصعب ، فاما الفكرية فإن المتأخر يغفل عمداً او عن غير قصد ما اقتبسه من غيره ، علما بان اقتباس الافكار لايستلزم الاتصال المباشر في الزمان والمكان ، فقد تقتبس فكرة من اخر بعيد عنك في محل سكناه او في زمن حياته . كما ان لتوارد الخواطر ، اي ظهور فكرة واحدة لدى اثنين ليس بينهما اي اتصال مباشر ، اثر يصعب الجزم فيه . ومن بعض هذه العوامل جاءت صعوبة دراسة اصول العلوم الاغريقية وخاصة الافكار والمعارف التي عرضوها ولها شبيه بما كان عند من هم اقدم كالمصريين والبابليين ، وبالعكس من ذلك فان نسبة كثير مما ابدعه العرب للاغريق لمجرد وجود الشبه بينهما ومن دون ان يكون على هذه النسبة دليل ايجابي ، اوقع عـدداً من الباحثين وخاصة المعجبين بالحضارة الاغريقية والمتسرعين من باحثي الغرب في اخطـاء خطرة (٢٧) . يضـاف الى ذلك قلة من عنى بتدوين الافكار ومتابعة آثارها في الحياة مما لم يتفق عليه الباحثون بعد .

---

(٢٧) عند تفاصيل اوفي انظـر مقالنا « العلم الاغريقي » المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي .

اما الاحوال والتطورات الاجتماعية فمتابعتها اصعب ، اذ انها تتصل بحياة العامة من الناس ، فهم يعيشون فيها ويمارسونها عن وعي او لاشعور ، وتمتد الى السواد الاعظم والجماهير ، وتجري كالمياه الباطينية قلما يحس بها ، فلا تدوّن مظاهرها ، وممارستها تتصل بالعادات التي يألفها الناس ، فتوجه سلوكهم ، ويكون تبدلها بطيئاً وغير ملحوظ(٢٨)،وخاصة في المجتمعات القديمة حين كانت وسائل الموصلات صعبة وسبل الاتصال قليلة ، وكثير من الناس يقضون كل حياتهم من الولادة حتى الوفاة في مكان سكناهم سواء كان قرية صغيرة او مدينة كبيرة ، فاغلب المصادر تدون حياة العامة ، بل حتى كتب الفقه التي عنيت بدراسة الجوانب الشرعية من السلوك والعلاقات الاجتماعية لم تستوعب وصف كل جوانبها، ولم تتابع تطوراتها ، ولم تسجل كل آثارها الواقعية . هذا فضلاً عن تداخل التنظيمات التي ينتمي اليها الفرد من اسرة وعشيرة ومحلة واصحاب حرفة وحزب سياسي او كتلة فكرية ، وتباين الاحكام التقديرية عليها .

التفصيل والاقتضاب :

ومن المسلمات انه لايستلزم في كتاب التاريخ ان يدون كافة الحوادث بالتساوي . وانما يقتصر على تدوين الحوادث المهمة ، وهذا يتطلب وضع معيار «للاهمية» . ولابد ان كل مؤرخ يدون مايراه في زمنه مهما ، ولهذا اختلفت الكتب في «نوع » الاخبار التي اوردتها ،فبعضها عني بالشاذ من الحوادث الطبيعية، كميلاد حيوان ذي راسين وامثال ذلك ، وبعضها عني بما اثار اهتماما كبيراً عند حدوثه ، ونرى اليوم ان معيار الاهمية هو في مدى اتساع وعمق آثر الحادث في المجرى العام للحوادث . فالحادثة التي تؤثر في عدد كبير من الناس او الاوضاع ، ولمدة اطول تكون اهم من التي اثرها محدود في الزمان والمكان . وهذا المعيار قد يناقض معيار المعاصرين للحادث ،فقد تسبب حادثة ضجة عند حدوثها فيفصل فيها المؤرخ المعاصر ثم تنسى دون أن تترك أثراً واسعاً بعدئذ ولكن تبقى تفاصيلها

(٢٨) انظر ملاحظة تريفليان في كتابه « تاريخ انكلترة الاجتماعي » .

معزوفة ، ممـا يلقي على كاتب التاريخ واجب اعادة تقييمها واعطائها المقدار الذي تستحقه .

يتطلب هذا المعيار اعادة النظر في ما وصلنا من معلومات عن حوادث ، فيختصر بعضها او يحذف ، ويفصل في اخرى ويبسط ، كما انه يحكم على المتقدم بالمتأخر ، وعلى الماضي بمعيار الحاضر . غير انه لاتوجد قاعدة شاملة ، وانما لايزال تطبيقها يعتمد على الرأي الشخصي للكاتب .

المعايير الاخلاقيـة :

وكثيراً ما ترتبط الاهمية بالمعايير الاخلاقية ، فيقدر الكاتب ما يراه مرضياً لمثله الاخلاقية ، فيفصل فيه ويقتضب او يهمل ما يراه مخالفاً لمثلـه الاخلاقية ؛ وبذلك يقدم جانباً اوجوانب محدودة ، ويغفل ذكر جوانب قد يكون لها دور اكبر في سير الاحداث وتطور البشرية .

غير ان المثل الاخلاقية متعددة ، واحياناً متباينة او متناقضة،فالبعض يمجد الشجاعة والفروسية والقوة بل قد يمجد الاعتداء ، مما نجده مفلسفا عند شوبنهاور ، والبعض يمجد التسامح الذي قد يصل حد الاستخذاء،والبعض يمجد التعاون ومساعدة الغير ، واخرون يمجدون الانانية ويفاخرون بها ، وفريق يمجد الفكر والعقل ، واخرون يمجدون العمل والتطبيق .

والمعايير الاخلاقية كثيرا ما لاينص عليها وانما تظهر آثارها بالمفردات المستعملة والتفاصيل المقدمة ، فالاوصاف المألوفة في الكتب لبعض الاشخاص مثل « الاكبر » او « العظيم » و « الباسل » او « الحكيم » هي تعبيرات عن عن التقدير والاهمية القائمتين على احكام اخلاقية .

وقد عبر الكتاب القدماء عن كثير من احكامهم الاخلاقية بالتفاصيل التي اوردوها عن الاعمال المتصلة بمثلهم الاخلاقية ، ومن الامثلة على ذلك مـا يظهر من مقارنة كتابي « الطبقات » لابن سعد ؛ « و« انساب الاشراف » للبلاذري ، وهما اوسع كتابين عن الرجال العرب في القرن الاول الهجري ، .
ولكن ابن سعد يفيض بالكلام عن الاتقياء الورعين و رواة الحديث ويخصص صفحات كثيرة

لمن عرف بذلك من الصحـــابة والتابعين ، ولا يتحدث عن كثير من رجال الادارة والسياسة كالخلفاء الامويين وولاتهم باكثر من بضعة اسطر . اما البلاذري نانه يفصل الكلام عن هؤلاء الرجال ولا يتطرق الى ذكر الاتقياء وعلماء الحديث والفقه والتفسير . علماً بان كليهما اعتبر كتابه عاما .

والواقع ان كثيراً من التعبيرات كانت من القوة لدرجة وقعنا تحت تأثيرها رغم مناقضتها لمثلنـــا الاخلاقية . فكتب التـاريخ المـــالوفة تفصل في اخبار الحروب وانجازات القادة ، وتذكر النتائج الايجابية للحروب بما فيها من الانتصـــارات ، ولا تذكر آثار القتل والدمار وغرس الضغينة الذي يعاني منه العالم ويستهجنه . وهم يذكرون نجاح الحكام بصورة التمجيد دون الاشارة الى الاساليب اللاخلاقية التي سلكها بعضهم للحصول على تلك النجاحات .

هيكل كتاب التاريخ العام

تختلف الابحاث التاريخية في نطاقها ، فبعضها محدود في الزمان والمكان والجانب ، وبعضها واسع في المـــدة التي يبحثها والبلاد والشعوب التي يدرسها . وجوانب الحيـاة التي يوضحها . فاما الصنف الاول فيتطلب الدقة واستيعاب التفاصيل،واما الثاني فانه يكون الكتاب العـــام وهو يتطلب اختيار كمية المعلومات التي تقـدم وتقدير الجوانب التي تبحث وتحديد مدى الاقتضاب او التفصيل في كل منهـا ثم تنظيمها على اساس واحد ينسقها . ومن البديهي ان الغرض الرئيس من الكتاب العـــام هو كشف السلسلة التاريخية لسير البشرية واظهـار ما مر بها من حوادث وتطورات تشمل فترات الازدهار والضمور والحركة والجمود .

يقرر حجم الكتاب مقدار المـادة التي يشملها ، فقد يكون واسعا يضم تفاصيل كثيرة . او صغيراً يضـم الحقائق العـامة ، والكاتب هو الذي يقـــرر حجم الكتـاب ومـا يتضمنه .

ومهما كان الكتاب العام كبيراً فانه لا يمكن ان يضم كافة الحقائق والمعلومات المتيسرة عن المواضيع التي يعالجها ، لذلك لابد للكاتب ان يختار مايراه مهما فيثبته في المتن ، اما ما يراه غير مهم او عرضي فقـد يثبت بعضه او يشير اليه في الهوامش او قد لا يذكره اطلاقا .

ومع ان اسلم معيار لتقدير أهمية الحادثة هو مدى تأثيرها وترابطها مع الحوادث الاخرى في زمنها وفي الازمنة التالية ، فان تقدير هذه الاهمية يعتمد على الكاتب وحكمه ، وفي هذا يختلف الكتاب في التقدير ، فقد يتأثر الكاتب في حكمه بالاحوال المعاصرة فيهتم بما هو سائد في عصره من افكار واتجاهات وينظر الى الماضي بمنظار الحاضر ، وفي هذا يقول بنديتوكروشي في كتابه « التاريخ قصة الحرية » ان كل التاريخ تاريخ معاصر ، اي ان كتابته تتأثر بالروح السائدة التي يعيش فيها الكاتب الذي عند سيره على هذا المبدأ يواجه مشكله اهتمام مصادره بجوانب غير التي يراها ، وقد يقضي ذلك عليه ان يقتضب ما فصلوه ، او يتبسط في ما اختصروه ، وهذا يتطلب استعمال الفكر والحكم الخاص ، وهذا يقود الى ان تكون كتابة التاريخ تطورية تبرز في كل زمن الصور العامة السائدة فيه ، وهذه لا شعورية قد تباعد عن الدقة .

ثم ان كتاب التاريخ العام ينبغي ان يبحث مختلف جوانب النشاط الانساني ويفصل في كل منها تبعا لاهميته التي يقدرها الكاتب تبعا للمعايير التي يتبناها ، وعليه في ذلك ان يوضح دور الجوانب التي يراها مهمة ، ولكن المصادر لم تقدم تفاصيل تتناسب مع اهميتها ، فعليه اعادة النظر في تقدير اهمية كل جانب وتطوره عبر مسيرة الزمن ، وهو يعتمد في ذلك على خبراته وارائه الشخصية التي تتوقف قيمتها على مدى عمقها واتزانها ومنطقيتها ، علما بان لكل عصر اهتماماته ، ولكل جماعة توجهاتها ضمن اطار التوجه العام .

تقسيم الكتاب :

ان مسيرة البشرية كالتيار المائي المتواصل في جريانه وغير المنتظم في مسيرته ، والاحداث الفاصلة في تاريخ الامم قليلة ، غير ان المنعطفات البارزة كثيرة ومتنوعة ، وقد يكون تأثيرها على كافة الجوانب بقدر متساو او يتوزع اثرها على مختلف الجوانب بقدر غير متكافىء ويتطلب توضيح العـرض وتنظيم الكتابة تقسيم الكتاب الى اقسام قـد تتباين في حجمها ومحتواها ، وقد يكون التقسيم الفلكي على السنين « الحوليات » او الحقب « العصور» اوضح التقسيمات ، غير انه قد يجزء البحث ولا يظهـر التوازن ، ولابد من اتخاذ تقسيمات قائمة على اسس مقبولة .

وقـد درج الكتـاب على تقسيـم مسيـرة البشـرية الى قسمـين متمـايزين يفصلهما ظهـور الكتـابة ، ثم قسمـوا التاريخ بعـد ظهور الكتابة الى ثلاثة اقسـام رئيسة هي التاريخ القـديم والتاريخ الوسيط والتاريخ الحديث . وجعلوا الفاصل بين القـديم والوسيط سقوط روما بيـد البرابرة ، والفاصل بين الوسيط والحديث سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين او اكتشاف امريكا ، وبين الحدثين سنوات قليلة نسبيا (١٤٥٣ ، ١٤٩٢) غير ان هذا التقسيم اكثر انطباقا على تطور الاحداث في اوربا ، ولا يخلو تطبيقه على تاريخ الامم الاخرى ، وخاصة العرب ، من عيوب كثيرة . وقد وضع المؤرخون العرب تقسيمات منوعة اتبعوها ، فبعضهم اقام تقسيمه على السنين، وبعضهم على حكم الخلفاء والحكام والملوك،وبعضهم على اساس الدول،وحاول بعضهم الاخذ باكثر من تقسيم واحد ، وكل هذه التقسيمات قائمة على اساس الحوادث السياسية والعسكرية حيث ان احداثها بارزة للعيان ، وان كانت لا تتفق دائما مع مجرى التطورات الاجتمـاعية والفكرية . فالكتابة الجديدة تتطلب وضع تقسيمات عامة وفرعية قائمة على التبدلات او التطورات الواسعة في الحياة . وليس هذا المقال مكان البحث التفصيلي في الاحداث التي يحسن ان تكون اساس التقسيمات في كتابة التاريخ العربي .

الكتابة الاخيرة والاعداد للنشر :

تتكون الصورة النهائية للبحث عند كتابته الاخيرة،وكل بحث لو حقيقة او فكرة غير مدونة هي كالمعدومة ، وكل كتابة غير منشورة تقتصر فائدتها على كاتبها او مالكها ، فهي كأنها غير موجودة ، والكتابة تتطلب اختيار الكلمات المعبرة بدقة ووضوح عن الحقيقة او الفكرة المراد عرضها ، كما تتطلب اسلوبا مستساغا وتسلسلاً في تنظيم عرض الافكار وكل هذه امور تعتمد على دربة الكاتب ، وليس لها قانون محدد معين، فالمترادفات في العربية كثيرة،والتعابير عن المؤسسات منوعة،والاساليب متباينة وتسلسل العرض يتوقف على ادراك الكاتب لتتابع الافكار وترابطها ، وفي العربية نماذج متعددة لاساليب الكتابة تمتد من التركيز الدقيق المحكم الى التبسيط الواسع الفضفاض ، ولكل كاتب اسلوبه ومنحاه ، ولكن الكتابة المقبولة تتطلب عموماً الدقة والتركيز مع الوضوح وتحاشي التعقيد والتكرار .

ذكرنا ان النشر هو الاداة التي نميز المخطوط عن المطبوع ، وطباعة الكتاب هي الوسيلة لنشره وتداوله ، وهي تتطلب من الكاتب الاهتمام بامور قد تبدو شكلية غير انها اساسية في توضيح الكتابة وتيسير فهمها ، وتقوم هذه الامور على وضوح الخط وحسن استعمال الفوارز والتقطعات ،وتحديد الفقرات التي تبدأ برؤوس الاسطر ، وتشكيل الكلمات غير المألوفة لتحقيق حسن الفهم ، وهي اساسية لاظهار الكتابة بالصورة المرضية . خاصة وان التقدم الواسع الحديث في فن الطباعة يعتمد بالدرجة الاولى على الصورة التي يقدمها الكاتب والتي يريد ان تعرض فيه المادة ، وعمل عمال الطباعة يقتصر على نقل المخطوط الى الطباعة فحسب .

خاتمـــة :

ان كتابة التاريخ تقوم على حقائق ثابتة مستمدة من النصوص المدونة ولآثار المثبتة ، غير ان تقدير اهمية هذه الحقائق وتوضيح العلاقات بينها وتحديد ترابطها وآثارها وتخير ما يأخذه الكاتب منها وتنظيم الكتابة واسلوب العرض وشكل الهيكل العام تتوقف كلهـــا على خبـــرات الكاتب وافكـــاره . وكـــل هـــذه الامـــور حقائق نسبيـة قابلـــة للتحوير والتعديـــل او التبـــديل ، ومن هـــذا كان نقص كفـــاية ما كتب ســـابقا وظهـــور الحـــاجة الى تجديد الكتابة على اساس ابقـــاء الحقائق الثابتة واكمالهـــا بما يستجد من المكتشفات . واعادة تقييمها وعرضها بنظرة فاحصة سليمة تستهدف تقديم صـــورة لاحداث الماضي وتطوراته تكون اقرب الى الحقيقه وادق تعبيرا عن عن واقع مجرى تلك الاحداث .

الأندلس وما جاورها

تاريخ الأندلس قبل الفتح الاسلامي
وفي ايامه الأولى

اللواء الركن محمود شيت خطاب

القسم الثاني
١ ـ في اوروبة وافريقية

ا ـ البرابرة :

أطلق اليونان والرومان على جميع الشّعوب سواهم اسم : البرابرة ، ثم خُصّت به شعوب بدأت تنتشر في اوروبّة منذ القرن الثالث الميلاديّ ، بعد أن كانت قد غادرت مواطنها الأصليّة في اواسط آسية منذ فجر التاريخ على الأغلب ، وكان موطنها الأصلي الهند والتركستان ، وقد غادرت موطنها قبل الميلاد ببضعة قرون ووصلت الى شمالي اوروبة والى تخوم اوروبّة الشّرقية .

واستطاع اليونان والرومان أن يردّوا تلك الحشود البربريّة المتوحّشة عن تخوم إمبراطوريتيهم : الأمبراطورية الرومانية الشّرقيّة (البيزنطيّة) والأمبراطورية الرومانية الغربيّة ، زمناً طويلا ، ثم حالوا بين تلك الحشود وبين اجتياز نهر الدانوب الى شبه جزيرة البلقان ، واجتياز نهر الراين الى شبه جزيرة إيطالية وإلى فرنسة وما وراثهما . ولكن لما بدأ الضعف ينخر في جسم هاتين الأمبراطوريتين بالنزف والتنازع وبالدهّر ، منذ القرن الرابع الميلادي ، جرؤت تلك الحشود على الدنوّ من حدود تلك الأمبراطوريتين ، ومن اختراق تلك الحدود أيضا .

ب ـ اجناسهم وممالكهم :

وكان البرابرة أجناساً ، منهم الجرمان ، أكثر تلك القبائل عَدداً وأعظمها أثراً في تاريخ اوروبّة في العصور الوسطى . ومن أشهر القبائل الجرمانية قبائل القُوْط الذين انحدورا منذ أواسط القرن الثاني للميلاد ، من مساكنهم

يومذاك على شواطىء نهر الفستولا (١) ، إلى سهول أوكرانية ، شمال البحر الأسود . وهنا انقسم القوط إلى قسمين : قبائل عرفت بسكّان الغابات ، الذين عُرفوا فيما بعد باسم : القوط الغربيين . وقبائل عرفت بسكّان السهول الواسعة ، وهم الذين عُرفوا فيما بعد باسم : القوط الشّرقيين ، وكان نهر الدنيستر يفصل بين مساكن الفريقين .

وكان مقام القوط الغربيين بين مصّب نهر الدنيستر ومصّب نهر الدانوب ، على حدود البلقان مباشرة ، سبباً لنشر الدين المسيحي بينهم . ولكن على يد الدُّعاة الأريوسيين ، ولذلك تَقَبَّل القوط الغربيون المذهب الأريوسيّ،وهذا المذهب الذي أوجده الأسقف الأسكندري أريوس في سنة (٣١٠ م) ، يجعل المسيح عليه السّلام إنساناً كاملاً ، وينفي عنه الألوهية ، ويقول بأنّ الله خلقه من لاشيء . ولهذا أوصى النبيّ صلى الله عليه وسلّم برسالته النبوية إلى هِرَقل عظيم الرّوم بمعتنقي هذا المذهب خيرا . فقال في رسالته : « فأن توليتَ فعليك إثم الاريسيين ... » (٢) .

ج ــ وصولهم إلى اوروبة :

وفي مطلع القرن الخامس الميلادي ، كان عدد من القبائل الجرمانية قد انتشرت في غربي اوروبة : في فرنسة وإسبانيا . أما الفاندال ، فكانوا قد انحدروا من مساكنهم بين نهر الفستولا ونهر الأدور(٣) (Oder) ، إلى المنطقة التي تعرف اليوم باسم : بافارية ، جنوبي شرقي ألمانية ، ثمّ إنهم جاءوا إلى اسبانيا ، وفيها سكن الفاندال في منطقتين : في رقعة ضيّقة في شمالي

(١) الفستولا : نهر بولونية ، تقوم عليه صوفيا عاصمة بولونية .

(٢) انظر التفاصيل عن الاريسيين فى كتابنا : السفارات النبوية ، ومقدمة كتابنا : سفراء النبيّ صلىّ الله عليه وسلّم .

(٣) االأودر : نهر فى شرقىّ المانية ، يفصل اليوم بين شمال المانية وشمالى بولونية .

غربي إسبانيا . وفي رقعة واسعة في جنوبي اسبانيا . وكذلك كان السوابيؤن(٣أ) وهم شعب جرمانيّ أيضا ، قد نزلوا في شمالي غربي إسبانيا جنوب منازل الفاندال الشمالية .

د ـ القوط الغربيون فى ايطاليا :

أما القوط الغربيون ، فكانوا لا يزالون في شرقي اوروبة ينازعون أباطرة المشرق : الرُّوم البيزنطيين ، فقد هاجموا البلقان ، وخاضوا ضد الرّوم معركة أدرنة سنة (٣٧٨ م) وانتصروا عليهم ، وكان القوط الغربيون يزدادون مع الأيام قوّة . وفي سنة (٣٩٥م) انقسمت الأمبراطورية الرومانيّة إلى قسمين : شرقيّاً وغربيّاً ، وكان ذلك من علامات تطرّق الضعف إليها ، وقدّم القوط الغربيون للرئاسة عليهم زعيماً منهم اسمه الأريك (٣٩٥ ــ ٤١٠ م) ، ثم أخذوا يبحثون عن أرض يستقرّون فيها لينشئوا عليها ملكاً لهم . وتغلب القوط الغربيون على الرّوم في البلقان مراراً ، ولكنهّم كانوا يودّون دائماً النزول في إيطالية نفسها . وقطع الأريك بقومه الألب سنة (٤٠١ م) ، وسار إلى رومة ، ولكنّ الرومان أقنعوه بالرجوع عنها ، بعد أن خلعوا عليه لقب : قائد الجند . وعقدوا معه معاهدة . وانسحب الأريك من إيطالية ، ليعود إليها بعزم أشد في صيف سنة (٤٠٣ م) ، وليغزوها ويقضي على سلطانها . ولكن الأريك توفي في تلك السنة ، فخلفه زعيم آخر اسمه : أدولف . كان صهر للأريك . ونزل أدولف بقومه جنوبي غربي فرنسة ، وكان الحكم في القوط الغربيين لايزال الى ذلك الحين رئاسة بالعصبيّة ، ولم يكونوا قد أسسوا لهم دولة بعد . وفي سنة (٤١٤ م) ، دخل القوط الغربيون إلى إسبانيا .

---

(٤) السوابن أو الشوابن : قبائل جرمانية عرفت مساكنها منذ القرن الثالث الميلادى ، فى جنوبى عربى المانية ، بين نهر الراين ونهر النيكر (Necker) ونهر الدانوب (نهر الطونة) .

وتوفي أدولف في آخر سنة (٤١٥ م) ، فخلفه فاليا (٤١٥ - ٤١٩ م)، وأسّس للقوط الغربيين دولة جعل عاصمتها تولوز (٤) (٤١٩ م) في جنوبي فرنسة . ولما رأت رومة أنّ القوط قد قوُوا كثيراً ، واصبحوا لها مصدر قلق دائم، لم تجد بدأ من مصانعتهم والرضا باستقلالهم ، فأقرّتهم على النزول في جنوبي فرنسة ، على أن يتخلوا عن سائر الأراضي التي استولوا عليها .

هـ - في إسبانيا :

وكان على القوط الغربيين يومئذ ، ملك قدير ، هو ثيودوسيوس الاول (٤١٩ - ٤٥١ م) ، فحاسن السوابيين ، واقتسم معهم السيطرة على إسبانيا ، ثم سكت عن استيلائهم على منازل الفاندال الشمالية ، بينما كان هو يتوسّع في الجنوب ، ويدفع الفاندال عن إسبانيا كلّها .

و - الفاندال في إفريقيّة :

وفي أيام غونداريك بن غوديغيل (٤٠٦ - ٤٢٨ م) ملك الفاندال ، اشتدّ ضغط القوط الغربيون في إسبانيا على الفاندال . وأخذ الفاندال منذ ذلك الحين بمغادرة إسبانيا ، فنزلوا أول ما نزلوا في الجزائر الشرقيّة (٤٢٣ م) . فلما توفي غونداريك خلفه أخوه غايسيريك اوغانسيريك (٤٢٨ - ٤٧٧ م) .

في هذه الأثناء ، كان النزاع يعصف في الأمبراطوريّة الشرقية ، كما كان الضعف قد أقعد الأمبراطورية الغربية . كان النزاع الديني بين الأريوسيين وبين الكنيسة الجامعة (٥) على أشدّه في كلّ مكان ، في شرقي أوربة ، وفي غربيّها . وكان الوطنيون من أهل إفريقية ثائرين على الأمبراطورية الغربية ، فتوقف ورود القمح الأفريقي إلى رومة ، وهُدّدت رومة بمجاعة ، ثم إنّ الدفاع الروماني كان قد ضعف مع شيخوخة رومة ، ويبدو فوق هذا كلّه ، أن نزاعاً نَشِبَ بين بونيفاسيوس الحاكم العسكري في إفريقية ، وبين

(٥) تولوز Toulouse : ويسميها قسم من المؤلفين : طلّوزة ، وتولوشة ، وطولوشة ، وهي مدينة طولوز في جنوبي فرنسة .

(٦) الكنيسة الجامعة : القائلون بانَ المسيح هو الله بالذاتِ ، خصوم الاريوسيين .

والتينيان الثالث إمبراطور رومة (٤٢٥ — ٤٥٥ م) ، فيقال : إنّ بونيفاسيوس عمد إلى استدعاء غايسيريك للنزول في إفريقية ، إغاظة لوالتينيان .

وفي أيار (مايو) من سنة (٤٢٩ م) ، أبحر غايسيريك من جزيرة طَريف (٦) في نحو ثمانين ألفاً من قومه ، فيهم نحو ألف وخمسائة مقاتل . ويبدو أنّ بونيفاسيوس قاومهم في المغرب الأوسط ، بجيش جمعه على عجل سنة (٤٣٠ م) ، أو رياءً ، واستطاع غايسيريك أن يستولي على الشاطىء الأفريقي بعد مقاومة . ومع أنّ الفاندال فقدوا عدداً كبيراً من قومهم في هذه المغامرة ، إلاّ أنّهم قلّصوا حكم الرومان عن إفريقية. ووجد الأمبراطور والتينيان نفسه عاجزاً عن ردّ الفاندال ، فعقد معهم معاهدة (١١ شباط — فبراير — ٤٣٥م) أقرهم فيها على النزول في المغرب ، على أن يتطوّعوا في جيش الأمبراطورية .

واستقرّ الفاندال في المغرب ، دون أن يتمكن الرومان من فرض نصوص معاهدتهم على الفاندال ، للضعف الذي كانوا فيه ، فهاجم غايسيريك قرطاجنّة وفتحها (١٩ تشرين الأول — ، أكتوبر — ٤٣٩ م) من غير أن يلقى مقاومة تذكر . وأعلن غايسيريك نفسه ملكاً في قرطاجنة ، واتّخذها عاصمة له . ثم إنّه تشدّد في سياسته الدينية ، فأبعد الكاثوليكيين من الأشراف ورجال الدين عن البلاد ، واستعبد العامة من الكاثوليكيين ممن لم يرضوا مغادرة البلاد ، أو لم يكونوا قادرين على مغادرتها . وكذلك صادر أموال الكاثوليكيين وأملاكهم ، وأعطاها للأريوسيين .

وفي سنة (٤٤٠م) ، هاجم غايسيريك جزيرتي سردانية وصقليّة ، فبعث الروم البيزنطيون أسطولاً لاستقاذهما منه . فلما وصل ذلك الأسطول إلى صقليّة ، اضطرّ الروم إلى ردّه ، لأنّ الهون والفرُس كانوا قد أخذوا يهاجمون تخوم الأمبراطورية ، ثم اضطرّ والتينيان الثالث إلى عقد معاهدة جديدة مع غايسيريك (٤٤٢م) ، يعترف فيها بسيادة الفاندال الكاملة على الشّاطىء الأفريقيّ .

---

(٧) Tarifa, Traducta Julia

وعاد القوط الغربيون إلى محاسنة الفاندال والسوابيين ، فقد أعطى ثيودوريك إحدى بناته إلى هاينريك بن غايسيريك (٤٤٢م) ، كما أعطى بنتاً أخرى من بناته إلى ملك السوابيين ، وذلك قبل موته بعامين فقط .

أما العداوة بين الفاندال والأمبراطورية الرومانية الغربيّة فكانت بازدياد ، ففي سنة (٤٥٥ م) اقتحم غايسيريك مدينة رومة وأباحها لجنده أربعة عشر يوماً . وفي العام التالي استولى على جزيرة سردانية ، ثم استولى على جزيرة صقليّة في سنة (٤٦٩م) .

ز ــ سقوط رومة :

وفي هذا الأثناء . كانت الأمبراطورية الرومانية في الغرب قد ضعفت وتوالى على عرشها أباطرة ضعاف كسالى ، فأخذ القادة الجرمان يعزلون منهم مَن شاءوا ويولّون مَن شاءوا . وكان في الحرس الأمبراطوري المرابط في رافنّا (٧) قائد اسمه آدوفاكر (٨) . ورأى آدوفاكر حال الأباطرة والأمبراطورية فخلع رومولوس أغوسطولوس آخر أباطرة الرمان ، وأعلن نفسه ملكاً على إيطاليا سنة (٤٧٦م) ، ثمّ كتب إلى زينون إمبراطور القسطنطينيّة يخبره بما فعل . ويقرّ بسلطته عليه . فلم يجد زينون بدأ من إقرار آدوفاكر على عرش رومة كَرْهاً . وهكذا انقسمت أوروبة إلى قسمين : قسم شرقيّ هو الأمبراطورية البيزنطية . وقسم غربيّ نشأت فيه الدولة الجرمانية المختلفة التي كانت منها الدول الأوربيّة الحديثة . فكانت سنة (٤٧٦ م) تاريخاً لسقوط رومة ولانقراض الأمبراطورية الرومانية الغربيّة ولنهاية العصور القديمة وبدء العصور الوسطى .

---

(٨) Ravenna.

(٩) Odoacer, Odowakar, Otacher.

ج ـ مقتل آدو فاكو :

وحكم آدوفاكر مملكته بعد سقوط رومة بالعدل والحلم ، ثمّ وسع رقعة ملكه لما استولى على دالماسية ، على الساحل الغربيّ من شبه جزيرة البلقان وهال ذلك الأمبراطور زينون ، فدفع ثيودوريك زعيم القوط الشرقيين إلى الهجرة بقومه من شبه جزيرة البلقان إلى إيطاليا ، وعيّنه حاكماً عسكرياً عليها . وهكذا يكون زينون قد تخلّص من القوط وخلق لخصمه آدوفاكو منافساً قوياً ، وذلك في سنة (٤٨٨م).
وفي السنة التالية اشتبك آدوفاكو وثيودوريك في حرب ، انهزم فيها آدوفاكو ، فلجأ إلى مدينة رافنّا وكانت حصينة جداً . وبعد حصار دام سنتين ونصف سنة ، اضطر آدوفاكو إلى الاستسلام ، فاستأمن من ثيودوريك ، ولكنّ ثيودوريك غدر بادوفاكو وذبحه بيده ، في منتصف آذار ــ مارس ــ من سنة (٤٩٣ م) ، ثمّ تتبّع أصحابه بالقتل واحداً واحدا .

ط ـ اضطراب أحوال الفاندال :

ولمّا توفيّ غايسيريك ملك الفاندال ، في ٢٥ كانون الثاني ــ يناير ــ من سنة (٤٧٧ م) ، لعبت الفوضى في مملكته زماناً طويلاً . ويرجع السبب الأول في ذلك ، إلى أنّ البربر (الأيمازيغ) الذين لم يكونوا راضين عن حكم الرومان ، لم يكونوا راضين أيضاً عن حكم الفاندال . ففي أيام هيلديريك (٥٢٤ ــ ٥٣٠ م) . وفي سنة (٥٢٥ م استطاع البربر أن يستعيدوا ساحل طنجة وأن يحموا جنوبيّ المغرب الأوسط كلّه ، وانهزم هيلديريك أمام البربر هزائم منكرة .

وأثارت هذه الهزائم نبلاء الفاندال ، فخلعوا هيلديريك ، وقدّموا عليهم زعيماً اسمه : غيلمير ــ ويقال غلماو و غيليمير ــ فخلع غيلمير هيلديريك وألقاه في السّجن ثم ملّك مكانه . واستنجد هيلديريك بيوستنيانوس الأول (٥٢٧ ــ ٥٦٥ م) ، فأن هيلديريك كان مشايعاً للرّوم وعلى مذهبهم ، بينما غيلمير كان أريوسيّاً . وأراد يوستنيانوس أن ينجد هيلديريك لأنه كان يطمع

في استرداد المقاطعات التي كانت قد تساقطت من الأمبراطورية الرومانيّة في غربيّ أوروبّة وشمالي إفريقيّة تحت سنابك البرابرة الجرمان . ولكنّ الاضطراب الذي كان سائداً يومذاك في الأمبراطوريّة الشرقيّة حال دون ذلك . ثم ساءت حال القسطنطينيّة خاصة ، ونشبت فيها فتنة سنة (٥٣٢ م) من (١١ — ١٨ كانون الثاني — يناير) سقط فيها ثلاثون ألف قتيل على الأقلّ ، وقال بعضهم : بل خمسون ألفاً . ورأى يوستنيانوس أنّ الأمر قد خرج من يديه ، وأنّ ملكه زائل لامَحالة ، فأراد أن يهرب من القسطنطينيّة ناجياً بنفسه . غير أنّ زوجته ثيودورا ثبّتته واستثارت نخوته ، حتى عزم على التمكين لنفسه ولعرشه .

ولما هدأت الحال في القسطنطينيّة ، عاد يوستنيانوس إلى التفكير بشمالي إفريقيّة وبهيلديريك وغيلمير ، فأرسل حملة إلى شمالي إفريقيّة سنة (٥٣٣م) بقيادة أعظم قادته بليساريوس . فانهزم غيلمير ، ثمّ استسلم (آذار — مارس — ٥٣٤ م) . وقضى يومذاك على مملكة الفاندال .

على أنّ القضاء على مملكة الفاندال في شمالي إفريقيّة ، لم يرد شمالي إفريقيّة إلى الأمبراطورية الرومانية الغربية ، ولا جعل شمالي إفريقيّة تستقرّ تحت سلطان الأمبراطوريّة الرومانيّة الشرقيّة ، ذلك لأنّ البربر استمرّوا في ثوراتهم على الرّوم . ومع أنّ الروم قد حاولوا إخضاع البربر في أوقات مختلفة ، في (٥٣٨ م و ٥٣٩ — ٥٤٤ م و ٥٤٦ — ٥٤٨ م) فأنّهم لم يستطيعوا أن يفرضوا على شمالي إفريقيّة سوى ظلّ خفيف من سلطانهم . وعلى عدد قليل من المراكز الساحلية فقط .

ى — القوط الغربيون فى إسبانيا :

ولما وثب ثيودوريك الأكبر ملك القوط الشرقيين في إيطاليا على آدوفاكو وذبحه . أصهر إلى الفرنجة ، فتزوج بنت ملكهم كلوفيس ، وقيل : بل أخته . وقد غلّ هذا التقارب بين القوط الشرقيين وبين الفرنجة يد الرومان ،

ثمّ مكّن القوط الغربيين من التوسّع في غربيّ أوربّة ، إذ استطاعوا في مطلع القرن السادس للميلاد أن يحتلّوا بقيادة زعيمهم الأريك الثاني (٤٨٤ — ٥٠٧ م) معظم إسبانية . ولكن سرعان ما بدا النزاع بين الفرنجة وبين القوط الغربيين ، وأخذت مملكة القوط الغربيين تتّسع في إسبانيا وتضيق في فرنسة ، حتى تقلّصت عن فرنسة كلّها إلاّ رقعة صغيرة في ساحل البحر الأبيض. وحاول الفرنجة التقدّم إلى إسبانيا ، ولكنّ القوط الغربيين ردّوهم . وفي سنة (٥٠٧ م) نشبت معركة بين كاوفيس ملك الفرنجة وأريك الثاني ملك القوط الغربيين قرب مدينة بواتيه ، سقط فيها الأريك الثاني صريعاً . واستولى الفرنجة على ما بقي للقوط الغربيين من الأرض في جنوبي فرنسة ، واحتلوا عاصمتهم تولوز ، فنقل القوط الغربيون عاصمتهم إلى طُليطلة .

وكان لايزال للرّوم البيزنطيين سلطان خفيف على عدد من المدن الساحلية والداخليّة في إسبانيا ، فجعل القوط الغربيون ينتزعون منهم تلك المدن واحدة واحدة ، كما ضمّوا إليهم (٥٨٥ م) مملكة السوابيين ، وهكذا تم في أيام ليوفيغيلد (٥٧٣ — ٥٨٦ م) توحيد المملكة القوطية .

ك ــ الفرنجة فى فرنسة :

بدات غزوات البرابرة لجنوبي فرنسة (الغال) في القرن الرابع للميلاد ، فقد غزاها القوط الغربيون والفاندال والهيطل (الهون) ، ثم غزاها الفرنجة في القرن الخامس الميلادي.

وأقام ميروفيك مملكة للفرنجة في جنوبي فرنسة (٤٤٨م) ، ثم لما توفى (٤٥٨ م) خلفه ابنــه شيلديريك . وجاء بعده ابنه كلوفيس (١٠) ، فحكم واحدة وثلاثين عاماً (٤٨١ — ٥١١) وقاتل كلوفيس الرومان ، كما قاتل بعد ذلك القبائل الجرمانية النازلة في جنوبي فرنسة كلها وأسس فيها المملكة الفرنسيّة . واعتنق كلوفيس النصرانية ، وتقبّل المذهب الكاثوليكي من أوّل أمره ، قيل بأغراء من امرأته قلوطلد (١١) أو كلوتيلد .

(١٠) يسميه العرب : قلوديه ، انظر الروض المعطار (٢٧) .
(١١) الروض المعطار (٢٧) .

ولما مات كلوفيس تقسم أبناؤه الأربعة مملكته ، وأشهر أقسام المملكة هي :

أولاً : نوسترية (المملكة الغربيّة) ، وكانت تقع ما بين نهر اللوار ومقاطعة بريتانية ، وما بين بحر المانش ونهر الموز .

ثانياً . أوستراسية (المملكة الشرقيّة) ، أو الجزء الشمالي الشرقي من فرنسة ، وكانت عاصمته مدينة متز (قاعدة اللّورين) .

وتنازع أولاد كلوفيس وأحفاده وتحاربوا ، فقوى النبلاء في ممالكهم ، ثمّ أصبح رؤساء النبلاء حجّاباً في بلاطات ملوك الفرنجة . ثمّ إنّ هؤلاء الحجّاب أخذوا يستبدّون بالحكم شيئاً فشيئاً ، إلى أن حجزوا على الملوك مرة واحـدة ، وأصبح الحكم لهـم على الحقيقـة ، ولأولئك الملوك على المجـاز .

ل ـ الهيطل (الهون) :

والهيطل (الهون) جموع آسيوية ، تتصل بأسلاف المغول والأتراك في النّسب البعيد . وهم قوم قصار أشداء عُتاة .

وفي أواسط القرن الرابع للميلاد ، كان الهيطل قد استقروا على التخوم الشرقية من قارة أوروبة . ثم إنهم هزموا القوط الشرقيين وسائر القبائل الجرمانية في شرقي أوروبة . واندفعوا غرباً حتى استقروا على الدانوب وبنوا إمبراطورية امتدت في القرن الخامس للميلاد من جبال القوقاس ونهر الدانوب إلى بحر البلطيق في الشمال .

وتمّت قوة الهيطل في أيام زعيمهم أتيلا (٤٤٥ ـ ٤٥٣ م) الذي قطع بهم نهر الراين وسقط على فرنسة . ولكن ميروفياك ملك الفرنجة تحالف مع القوط الغربيين وهزم الهون في معركة شالون التي تقع على نحو (١٥٠) كيلو متر من باريس جنوباً في شرق ، وذلك في سنة (٤٥١ م) .

واستطاع الهون أن يصلوا إلى أسوار القسطنطينية سنة (٥٥٨م) ، غير أن إمبراطوريتهم ، إمبراطورية أتيلا تقطّعت بعد موته إرْبا (١٢) .

م ـ الخلاصة :

هكذا الموقف العسكري والسياسي في أوروبة وإفريقية ، مع لمحات من الموقف العسكري والسياسي في إسبانيا ، سيرد تفصيلها وشيكا .

ويمكن أن نتلمّس بوضوح ، أن المقاتلين كانوا أشداء في قتالهم ، لهم خططهم التوسعية الظاهرة وطموحهم السياسي ، وكانت لهم قيادات قادرة تتميز بقابلياتها على التخطيط السليم والشجاعة والأقــدام . وكانت الشعوب المتصارعة تتألف من قبائل لها ضبط القبائل وطاعتها وانقيادها لرئيسها انقياداً أعمى مادام يقودها إلى النصر ، فأذا قادها إلى الهزيمة تخلّت عنه وانقادت لغيره ، وهي تحارب بشجاعة وإقدام وضبط متين .

وكلّ تلك السّمات من سمات القوّة لا من سمات الضعف ، على كلّ حال .

١ ـ في إسبانيا

ا ـ القوط الغربيون في اواخر ايامهم :

لما سقطت رومة سنة (٤٧٦ م) ؛ كان معنى ذلك زوال الأمبراطورية الرومانية الغربية من الوجود . وتحلّل جميع أتباعها المتبربرين (البرابرة) من الولاء لها . وبهذا استقّل القوط الغربيون بأسبانيا ، وأعلنوا أنفسهم ملوكاً غير تابعين لأحد ، وكان زعيمهم يوريك (Euric) قد اتخذ لقب الملك فعلاً قبل ذلك بنحو تسع سنوات (سنة ٤٦٧ م) ، وهو يُعدّ لذلك مؤسّس دولة القوط الغربيين في إسبانيا .

(١٢) استعنت بكتاب الأستاذ الدكتور عمر فروخ ـ العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ـ (٢٥ ـ ٣٥) ـ ط ١ ـ بيروت ـ ١٣٧٨ هـ .

ب ـ دولة القوط الغربيين في إسبانيا :

وكان يوريك قد حرص منذ صارت إليه زعامة القوط ، على أن يمدّ سلطانه شيئاً فشيئاً حتى يبسطه على إسبانيا كلّها ، ولم يتنازل إلى جانب ذلك عما كان لأسلافه من الأقاليم شمالي جبال البرت . وكان الرومان يعتبرون جنوبيّ فرنسة وشمالي إسبانيا وجزءاً كبيراً من غربيّها إقليماً واحدا ، فحرص يوريك أن تضمّ دولته هذا الأقليم . فاستولى على لُشْدَانية (البرتغال) وقرّر فيه سلطانه ، ومدّ حدود مملكته إلى الجنوب ، وأدخل فيها إقليم بيطى (الذي يعرف باسم بيتيكا) وولاية قرطاجَنّة الرومانية القديمة وهي الركن الغربي لشبه الجزيرة الأسبانية . وتابع جهوده في شمالي جبال البرت ، واستولى على آرل ومرسيليا . وبهذا أصبحت دولته تمتّد من أقصى الهضبة الفرنسية الوسطى . إلى طرف إسبانيا الجنوبي ، وحكم شعبين كبيرين هما : الغاليون الرومان (Gallo - romani) شمالي البرت ، والأسبان الرومان (Hispano - romani) جنوبيّها . وكانا شعبين متحضرّين ، يشتغل معظمهما بالزراعة ، ويزيدان على القوط الغربيين مرّات عديدة ، وكان معظم أهلهما مسيحيين كاثوليك . يسيطر عليهم قساوسة خاضعون لسلطان رومة وأسقفها الكبير : البابا .

وكان القوط الغربيون مسيحيين أريوسيين ، أي أنّهم لا يعتقدون بألوهية المسيح . ولا يعترفون للقساوسة بحقّ الوساطة بين الله والناس ، ولا يجعلون للعذراء مكاناً متميزاً في العقيدة . وكان لهم أسلوبهم الخاص في العبادة ، فلم يلبث السكان الأصليون من غاليين (فرنجة) وإيبيريين (إسبان) أن نفروا من حكمهم . واجتهد القساوسة في تقوية شعور النّفور هذا ، لأنّ القوط كانوا ينكرون عليهم أي سلطان روحيّ على الناس ، واشتّد هذا النفور مع الأيام، بسبب ما كان ينزله القوط على القساوسة من اضطهاد، وظلّ مركزهم بين رعاياهم مضطرباً مزعزعا ، فلما نهض كلوفيس ملك الفرنجة وأخذ يمدّ

سلطانه نحو الجنوب . سارع القساوسة لتأييده لأنّه كان كاثوليكياً ، وانضم إليه الغال الرومانيون ، فاستطاع أن يزيح القوط إلى الجنوب ويجليهم عن تولوز الذي ظلّوا يحكمونه أمداً طويلا ، ثم انتصر عليهم انتصاراً حاسماً في شمالي بواتيه سنه (٥٠٧ م) كما ذكرنا وأجلاهم عن جلّ ما كان في سيطرتهم من أرض جنوبيّ فرنسة ، فلم يبق لهم إلاّ إقليم سبتمانية المتاخم لجبال البرت من الشمال ويمتدّ حتى نهر الرون وعاصمته نربونة .

وبهذا اقتصر سلطان القوط الغربيين على إسبانيا ،وأخذت علاقة إسبانيا مع بقيّة العالم الأوروبيّ الواقع إلى شمال جبال البرت تفتر . ولما وحّد القوط الغربيون شبه الجزيرة الأسبانية كلّها تحت سلطانهم ، أخذت إسبانيا تظهر كوحدة سياسية وجنسيّة للمرة الأولى في التاريخ. وذلك أمر له خطورته ، لأنّ الأغريق لم يعرفوا منها إلاّ الغرب وبعض الجنوب ، ولأن الرومان كانوا يقسّمونها ولايات مختلفة لاعلاقة بين بعضها . أما القوط فقد اعتبروا شبه الجزيرة الأسبانية كلّها قطراً واحداً، واتخذوا لهم عاصمة تقع في وسط شبه الجزيرة ، هي : طُليطلة ، ولعلّ أظهر أثر لاستقرار القوط في طليطلة ، هو تحوّلهم إلى إسبان ، في وقت قصير ، لأن المقيم في طليطلة ، تنقطع الصِّلات بينه وبين ما يلي البرت وما يلي بحر الزقاق ، ويتأقلم ويصبح إسبانّيا . أما المقيم في قُرطبة ، فتظل صلته بأفريقية وما يتّصل بها من بلاد الشرق ، أوثق وأظهر من صلاته بجلْيقيّة ونواحي جبال البرت .

واستطاع القوط من عاصمتهم طليطلة ،أن يستولوا على إسبانيا كلّها ، ولكن سلطانهم لم يستقر في البلاد أوّل الأمر ، بسبب ماثار بينهم وبين أهل إسبانيا من منازعات دينيّة ، وبسبب ماشجر بين أمرائهم من خلافات. وطمع ثيودوريك ملك القوط الشرقيين في عرش إسبانيا ، فغزاها وأقام حفيداً له على عرشها ، ولكن لم يلبث أحد قوّاد القوط الغربيين الأقوياء أن ثار بهذا الدّخيل ، وأعلن نفسه ملكاً على إسبانيا ، بفضل معاونة حربيّة أمده بها جستنيان إمبراطور بيزنطة في سنة (٥٥٤ م) ، وانضم إليه أهل البلاد من الأسبان الرومان الكاثوليك ، واحتل المنطقة الواقعة بين نهر الوادي الكبير ونهر جُكَرْ (نهر شقر) ، وأنفصل هذا الأقليم عن طليطلة .

وكان آخر ملوك القوط الغربيين الأريوسيين هو : ليوفيجيلد(Liuvigild) — (٥٦٨ – ٥٨٦ م) ، وكان محارباً مقداماً ظلّ يحارب الكاثوليكيين طول حياته . وخلفه ابنه ريكاريدو (Recaredo) ، فاستبان أنّه لا صلاح لدولة القوط في هذه البلاد ، إلاّ إذا تخلّى ملوكها عن المذهب الأريوسيّ . وتخلّى هـذا الملك عن المذهب الأريوسي ، وأعلنـه في مجمع طليطلة الديني سنة (٥٨٧م) : اعتنق الكاثوليكية هو وأهل بيته ، وتبعه الأمراء وكبار أهل المملكة . وبهذا أصبحت الكاثوليكية هي الديانة الرسمية في إسبانيا من ذلك الوقت . وهذا الحادث الخطير . سيظل مؤثراً في التاريخ الأسباني كلّه ، فأن الكاثوليكية تأصّلت في أهل البلاد مع الزمان ، وزادها قوّة ميل الأسبان للتشدّد في الأيمان ، والتّعصّب لكـل ما يؤمنون به ، فأصبحت إسبانيا معقلاً من أمنع معاقل الكاثوليكية ، وكان لهذا أثر بعيد جداً في حياة الأسبان ، وفي مجرى تاريخهم كلّه .

وأعقب هذا التّحول إلى الكاثوليكية اعتبار اللاتينيّة اللغة الرسمية في البلاد . ووثق الصّلات بين إسبانيا والبابويّة . وقد تفانى خلفاء ريكاريدو في الولاء للبابويّة تمانياً شجّع البابوات على بسط نفوذهم الديني – بل السياسي – في البلاد . وبدأ يفد على البلاد هذا الفيض المتصل من قساوسة الكاثوليك ورهبانهم ، وأصبحت طليطلة أسقفية يقيم فيها أسقف كبير يمثّل سلطان البابا ونفوذه ، وأيدّه الشّعب الأسباني الروماني الذي لم يتخلّ عن الكاثوليكية بعد ذلك . ومن هنا نفهم السرّ . في أنّ نفوذ أسقف طليطلة لم يقلّ في وقت من الأوقات في التاريخ الأسباني المسيحي عن نفوذ الملوك . إن لم يزد عليه في كثير من الأحيان . وكان تحوّل القوط إلى الكاثوليكية الخطوة الفعّالة الأولى لامتزاج الشعبين القوطي والأسباني الروماني . فقد ظلاّ متباعدين ما اختلفت عقيدتاهما الدينيتان . فأمّا وقد اتّفقا في العقيدة . فقد انفتح الباب أمام الامتزاج ، ولكنّه لم يتمّ إلاّ على صورة مصغّرة جداً ، لأنّ القوط حرصوا على أن يحتفظوا لأنفسهم بمركز الشّعب الحاكم .

وكانت الملكيّة القوطيّة انتخابيّة ، أي أنّ نفراً من كبار أهل المملكة والأمراء ، كانوا يجتمعون بعد وفاة الملك لاختيار ملك من بين أظهرهم : فكان هذا النظام مدعاة لأثارة المنافسات بين الأمراء وكبار القوط ، فلا غرابة في أن يكون تاريخ القوط في إسبانيا سلسلة من المؤامرات والحروب والاغتيالات .

بيد أننا ينبغي أن نستثنى من سلسلة ملوك القوط نفراً أجمع المؤرخون على أنّهم كانوا قادرين صالحين ، وأنهم قدموا للبلاد خدمات حربية وعمرانية بعيدة الأثر ، مثـل : ششبرت (Sisiberto) — (٦١٢ — ٦٢١ م) الذي استـولى على جميع أرجاء إسبانيـا ، وشنداسفنتو (Chindaswinto) — (٦٤٩ — ٦٧٢ م) الذي ألغى التفرقة بين أفراد الشعب ، وحكم البلاد بمقتضى قانون جديد مزج فيه القانون الروماني القـديم الذي كان قد سنّه الملك ألاريك الثـاني ، والقـانون القـوطي الـذي وضعـه يوريك ، مما قرّر السّلام بين أهل المملكة ، وجنّبها مصاعب وخلافات شتى .

ولعلّ أكبر ملوك هـؤلاء القوط هو وامبا (Wamba)—(٦٧٢—٦٨٠م)، فقد كان أميراً عظيم الهمة ، استطاع أن يقرر سلطانه فيما بقى للقوط من الممتلكات شمالي جبال البرت : قضى على ثورة خطيرة دبّرها هلدريك كونت نيـمَـهْ (نيم) ، وأخمد ثورة أخرى دبّرها باوْلُـس أمير سبتمانية للانفصال بها ، وحكم البلاد كلها حكماً رشيـداً حازماً ، فأحبّـه الناس والتفّوا حوله ، وبلغ من تعلّق الناس به أن أصبح اسمه وعصـره أسطورة لا تخلو من الخوارق ، منها : أن وامبا وقف بين يدي الأسقف في الكنيسة لكي يلبس التاج ، فبينما هو في هذا الموقف الرّهيب ، إذا عمود من الدخان يتصاعد من رأسه ، تطير فيه نحلة من ذهب (١٤) . ومن الواضح أنّ ذلك لم يحـدث ، ولكنه شائع في المصادر الأجنبية وبين القوط أيضا .

(١٣) Bellesteros, Rafael. op. cit. P. 37 — 39.

(١٤) Saavedra, op. cit. apendice P. 147

وقد انتهى حكم وامْبا نهاية لا تخلو من غرابة وطرافة ، فقد احتال عليه أحد حاسديه ، ودس له مَنْ سقاه جرعة مخدّرة لم تلبث بعد أن شربها أن غاب في سبات عميق . وحسبه الناس قد مات ، وهيّئوه ليواروه التراب ، فبينما هم في ذلك ، إذ عاد إلى رشده . وبدلاً من أن ينهض لتأديب مَنْ ائتمروا به على هذا النحو الغريب . ترك العرش للطامعين ، وترهّب وقضى بقيّة حياته في الدير .

وعندما اعتلى غَيْطَشَة (وتيزا : Achila) العرش في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة (٧٠٠ م) . كانت الأمور قد اضطربت بسبب المؤامرات التي كان كبار القوط يديرونها ، ولا نعرف حقيقة أمر هذا الملك ، لأنّ النصوص الباقية عنه تعطينا صوراً متناقضة عن شخصه وأسلوبه في الحكم ، والظاهر أنّ معظم النصوص الاسبانية تثني عليه . فقد حاول جهده أن يصلح الأمور ، فعفا عمّن كان والده أخيكا قد أساء إليهم . ومال إلى إنصاف الناس من استبداد نبلاء القوط . فكرهه هؤلاء وعوّلوا على القضاء عليه وعلى حكمه . فأخذوا يثورون عليه في نواحي المملكة ، وأخذ يحاربهم ويحبط كلّ مؤامراتهم . فلما علت به السن ، عجز عن أن ينهض لكلّ واثب به مدبرٍ عليه . وتآمر عليه أهله . واستطاعت زوجة أن ترغمه على أن يعلن ابنه الصبي وَقِلَه (أخيــلا Achila) . وأقامه حاكماً على الولايتين الناربونية والطركونية . وكان هذا الاعلان . حافزاً للطامعين في العرش من كبار القوط . إلى مضاعفة الجهد في التدبير على غيطشة . ومحاولة القضاء عليه وعلى دولته . ليخلو لهم العرش . ويفعلوا به ما يشاءون . ويبدو أنه لم يأل من جانبه في القضاء على كلّ محاولة يقومون بها . لأن النصوص تحدّثنا أنه عاقب تيوفريدو دوق قرطبة بسمل عينيه . ونفى ثائراً آخر اسمه : بلايُه من البلاط (١٥) .

(١٥) وانظر المراجع المعطاة في Saavedra. op. cit. P. 29.

ويبدو أيضاً أنّه اساء الظنّ بيهود، فاضطهدهم وأوقع بهم في أواخر أيامه ، فقد اتّهمهم غيطشة بالتدبير عليه ، وبالتآمر مع مَن تسميهم النصوص الأسبانية : أهـل ما وراء البحـر (Lostransmarinos) ، ومعنى ذلك أنهـم اتّصلـوا بأعـداء القـوط في ما وراء البحـر ، أي خـارج إسبانيا .

ولسنا بأي حال بحاجة إلى البحث عن أسباب هذا الاضطهاد . لأنّ الأسبان كانوا طوال تاريخهم من أقسى الناس على مخالفيهم في الدين ، وعلى يهود بخاصة . ولكن يبدو أنّ غيطشة رجع عن سياسته في اضطهاد يهود في أخريات أيامه ، فتحدّث إلى كبار أهل الدولة فيما انتواه من العفو عن يهود . فأسخط رجال الكنيسة عليه . وأخذوا يغرون الناس به . حتى اشتدّ عليه سخط الناس . وتحدّث أهل البلاد . الرومان الأسبان في الوثوب به أو معاونة أوّل ثائر عليه (١٦) .

ومات غيطشة ميتة طبيعية في أواخر سنة (٧٠٨م) أو أوائل سنة (٧٠٩م). وكانت مختلف الطوائف تنتظر موته . وكان أفراد البيت المالك أنفسهم من أكثر الناس انقساماً وأشدّهم ميلاً إلى الخلاف ، ذلك لأنّ غيطشة ترك من بعده زوجاً طامحة في العرش، وأخاً لا يقل عنها طمعاً هو أُبّه (Oppa) ، وكان أسقفاً لأشبيلية ، وثلاثة بنين هم : أخيلا (رُمْله عند المقرى وابن القوطية وصحته وُقِلّه) وألمند (Olmundo) وأرطافازدُس أو أردبست (أرطباس . أرطبان) . وتضيف بعض الروايات شخصاً آخر هو سيسبرتو (سسبرت . سبرى . سبرة في النصوص العربية) وتزعم أنّه كان أخاً لغيطشة أو ابناً له .

---

(١٦) Saavedro. op. cit. P. 30.

ولم يرض نفر من كبار القوط بالخضوع لصبي مثل أخيلا ، وتخوّف كثير منهم من مطامع الوصي رخشندش واستبداده ، فامتنع مَن أقام منهم في طليطلة عن الطّاعة ، واستقل بالأطراف والنواحي منهم من كان مقيماً فيها ، ودارت رحى الحرب بين المتنافسين . وتعذر على الملكة وابنها المقام في طليطلة ففرا منها ، واستمرت هذه الفوضى نحو سنة ونصف السنة ، واستطاع الوصي أن يجمع نفراً كبيراً من الأنصار . وتحبّب إلى عامة أهل البلاد الرومان الأسبان من أهل المزارع والمدن واستطاع أن يكسبهم إلى جانبه . وبدا لخصومه أنه مستطيع القضاء على الفتنة وإقرار الحق لذويه عما قريب . فاجتمع منهم نفر وائتلفوا . واعتبروا أنفسهم : (مجلس شيوخ وكبراء) له الحق في أن يقررٌ في شؤون دولة القوط كما يرى . ثم اختاروا واحداً منهم اسمه : رودريكو . أو رودريك . أو رودريجو : لُذَرِيق . وانتخبوه ملكاً خلفاً لغيطشة . واستعدّوا لنصرته والقضاء على منافسيه بحد السيف .

وتجمع النصوص كلّها . على أنّ هذه الجماعة التي بايعت لذريق . كانت جماعة من كبار القوط وأعيانهم وأنّهم أرادوا باجتماعهم هذا ، إنقاذ دولة القوط وتقويم ما انهار من بنيانها . فأذا أضفنا إلى ذلك ما سبقت الأشارة إليه . من أن رخشندش أراد أن يستعين بالرومان الأسبان ليثبت أمر أخيلا . استطعنا أن نستنتج أنّ المسألة لم تكن مجرد خلاف على العرش بين زعماء القوط . بل كان فيه لون من ثورة أهل البلاد على القوط ، ورغبتهم في التخلص من كبرائهم ونبلائهم . ولعل هذا الاستنتاج . يتيح لنـــا أن نقرر ما تحاول الكثرة الغالبة من مؤرخي الأسبان -- قدامي ومحدثين -- نفيه وإنكاره ، وهو أنّ دولة القوط . لم تكن في نظر أهل البلاد ، دولة قومية . بل ظلّت في نظر غالبيتهم دولة أجانب . لقى الناس في ظلّهم كثيراً من الأذى . وحاولوا التخلّص منهم مرات كثيرة .

جـ لذَريق :

الخلاف شديد حول أصل لذريق ، فمن قائل : إنه كان زعيماً قوطياً كبيراً ذا علم بأمور الحرب والسّلم ، ومن قائل : إنّه ينحدر من أصلاب ملكيّة ، وإنّ جده الملك شِنداسفنتو . ومن قائل : إنه ابن تيود فريدو دوق قرطبة الذي كان غيطشة قد عاقبه على ثورته عليه بسمل عينيه . ومهما يكن من أمر . فأن المراجع الأسبانية اللاتينية القديمة ، تُجمع على أنّه كان رجلاً قادراً ، وأنه كان قبل ادّعائه العرش حاكماً لولاية بيتيكا . وأن الذين بايعوه على العرش فعلوا ذلك في قرطبة عاصمة ولايته .

ولم يسر لذريق إلى طليطلة مباشرة بعد إعلانه نفسه ملكاً ، بل تريث بعض الوقت ليتيسر له جمع أنصاره وملاقاة رَخَشَندش ورجاله في موقعة حاسمة . وكان قد أعلن نفسه ملكاً في ربيع سنة (٧١٠ م) ، قبل الهزيمة المسماة عادة بهزيمة : جواد اليتي (وادي لَكَّهْ) بسنة ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكم الوليد بن عبدالملك بن مروان في دمشق ، كما يقول : (النص اللاتيني المجهول المؤلّف) . ويذهب راوية آخر ، إلى أنه ذهب إلى بَطَلْيَوْس ، دون أن يذكر لنا السبب في الذهاب إلى ذلك البلد البعيد . والثابت أنه سار إلى طليطلة بعد أشهر من إعلان نفسه ملكاً على رأس جيش كبير . فيه جلّة قوّاد القوط ونبلائهم ، وهزم رَخَشَندش في واقعة حاسمة ، قتل فيها هذا الأخير وتفرّق أنباعه . أما أبناء غيطشة ، فلم يجدوا مفراً من مغادرة البلاد فراراً من الغاصب . ففرّوا إلى إفريقية ، وصادر لذريق أملاكهم معتبراً إياهم ثائرين على العرش . والقانون القوطي يقضي بمصادرة أملاك كل ثائر على العرش .

ويبدو أن لذريق ، ظل يخشى طيلة أيام حكمه القصيرة ، عودة أبناء غيطشة إلى البلاد ، ومحاولة استعادة عرشهم بمساعدة أنصارهم الكثيرين ، ومن ثَمّ حرص على أن ينفّر الناس منهم ، بالمبالغة في تصوير أعمال أبيهم ومظالمه ، وأعانه على ذلك القساوسة ، لأن غيطشة كان لا يجيبهم إلى ما تصبو إليه نفوسهم من القضاء المبرم على يهود . فلا غرابة أن نجد عند معظم المؤرخين الأسبان اللاتين صوراً بغيضة جداً لهذا الملك وأولاده ، وما كانوا يدبّرون للبلد وأهله من سوء . وقد تصدى نفر من المؤرخين الأسبان المحدثين للدفاع عن غيطشة وأبنائه ، بيد أن هذا الدفاع عن غيطشة وأبنائه ، والأصرار على على تبرئة لذريق من كلّ عيب ، وتصويره في صورة بطل وطني جاهد المسلمين من بلاده . وبذل كلّ ما يملك لينجو ببلاده من خطرهم ، كلّ هذا الجهد لا يمنعنا من تعرّف شخص لذريق وأحوال عصره تعرّفاً معقولاً ، هو أقرب ما يكون إلى الصّواب .

ومن الواضح . أنّ الرّجل كان يشعر باضطراب الأمر عليه ، وأنّه ظلّ حياته متخوفاً من وثبة تكون من أحد أعدائه الكثيرين ، لانّ هؤلاء الأعداء لم يكونوا أولاد غيطشة وحدهم ، بل كانوا في واقع الأمر جلّة الشعب الأسباني الروماني ويهود إسبانيا .

ومصداق ذلك . أنّ لذريق لم يكد الأمر يستقر له ، حتى مضى يرغم رجال الدين . على إصدار قرارات يتّهمون فيها غيطشة بكلّ شر ، ويصورونه للناس بصورة جبّار ظالم . أراد بالناس وبالكنيسة كلّ أذى، وأنّ لذريق لم ينهض إلاّ لأنقاذ الناس من شرّه وشرّ أولاده وكلّ مَن كان يلوذ بهم . وقد أجاب رجال الدين طلبه . فحفلت قرارات مجامعهم الدينية في عصر لذريق، بأسوأ الاتّهامات لغيطشة وبنيه ويهود .

ومصداق ذلك أيضاً . أنّ لذريق قضى معظم أيام حكمه القصير ، يحارب الثائرين عليه في كلّ ناحية . وأنه قام بحملات متتابعة على البشكنس في الشمال ، وطوائف من الثائرين في الشرق والجنوب .

وربما كان من دلائل سوء الحال في عهد لذريق، أنه كان في حاجة مستمرة مُلحّة للمال، لأن البلاد كانت مضطربة في أيامه، لا يكاد يطيعه في نواحيها إلاّ إقليم صغير.

والغالب أن حاجة لذريق إلى المال، هي التي دفعته إلى السّطو على الذّخائر الغالية، التي كان ملوك القوط قبله، قد كدّسوها في كنيستي سان پدروو سان بابلو، فقد جرت عادة كلّ ملك منهم أن يودع إحدى الكنيستين تاجه وبعض ذخائره، وكانت هذه الذخائر مكدسة في حجرتين مغلقتين في الكنيستين؛ فلما اشتدت حاجة لذريق للمال، حدثته نفسه بأخذ بعض هذه الذّخائر، للانتفاع بها. وقد حذره القُسس من أن يفعل ذلك، ولكنّه لم يصغ، ومضى ففتح مستودع الذخائر. ويبدو أنه ذهل من كثرة ما وجد من الذهب والجوهر، فلم يجرؤ على أخذ شيء، لأن رهبة المكان منعته من أن ينفّذ ما أراد. وتحدّث الناس في ذلك وتناقلوه، حتى أصبح أسطورة في أفواه الناس، ورواها المسلمون على صورة لا تخلو من طرافة(١٧).

وقد استطاع لذريق . أن يقضي على كلّ أمل لأبناء غيطشة وأنصارهم، بعد أن استمرّ يوالي غزوهم أشهراً متتابعة، فاستتبّ له الأمر من ناحيتهم، وأوشك أن يستتب له الأمر في سائر البلاد.

د ـ احوال اسبانيا تحت حكم القوط :

لم يغيرّ القوط شيئاً كثيراً من أحوال المجتمع الأسباني في العصر الروماني: ظلّت الأرستقراطية الرومانية القديمة على عهدها من الغنى والسّيطرة على الناس، وظلّ الأحرار من أهل المدن والتجار وأصحاب المزارع الصغيرة يعيشون تحت رحمة الأقوياء في حال هي وسط بين الحرّية والرقّ، وظلّت بقية أهل البلاد رقيق أرض او عبيداً يشقون في سبيل الأقلية الغنية المسيطرة. وقد ائتلف الأغنياء مع القوط، لكي يحتفظوا بأملاكهم، واستقرّ نفر كبير من هؤلاء بالمزارع، واشتغلوا بالزراعة، وإن بقيت أغلبيتّهم تقيم في المدن في معسكرات تعيش على إتاوات وضرائب فرضوها على الزرّاع وضعاف أهل المدن، حتى ساء أمرهم كثيراً.

(١٧) نفح الطيب (١/٢٤٧ ـ ٢٤٨)، وقد اورد معظم مورخي المسلمين هذه الأسطورة، وانظر: Saavedra. op. cit. PP. 40 — 43.

ولم يكن القوط كثيرين ، ولم يكن بهم ميل إلى المشاركة في صناعة أو زراعة ، فظلّوا غرباء عن البلاد في الغالب ، ولم يخلّفوا فيها من الآثار بما يمكن مقارنته بما خلّفه الفرنجة في فرنسة مثلا .

ولم تنعم البلاد في حكم القوط بنصيب كبير من الطمأنينة والرخاء ، لأنّ العصر كلّه كان عصر اضطراب وفوضى في أوروبة كلّها لا في إسبانيا وحدها . وانهارت في نواحي غرب أوروبة قواعد المجتمع الروماني الثابت القديم ، الذي يقوم على تقسيم الأرض بين الدولة وطائفة من كبار الأغنياء المقيمين في الريف ، ثم تأجيرها بعد ذلك للفلاحين يزرعونها ويؤدّون عنها مالاً . وكان معظم الأرض تابعاً للدولة ، فكانت تزرعه بوساطة الفلاّحين الأحرار أو العبيد . فلما طال الزّمن . واستمرّ كلّ فلاّح يزرع نفس القطعة من الأرض سنة بعد سنة ، نشأت بينه وبينها صلة هي أقرب ما تكون إلى صلة الملكيّة . فلما أقبل البرابرة ، واستولوا على أرض الدولة ، آلت إليهم أملاكها ، وبهذا تعرّض حقّ هؤلاء الزرّاع الأحرار في أرضهم للضياع ، وغصب البرابرة من الكثير منهم أرضه واستقرّوا فيها . وأجبروه على زراعتها ، كأنه عبد لهم أو قنّ ، ولجأ بعضهم إلى مالك غني مجاور تنازلوا له عن أرضهم في سبيل حمايتهم من الغاصبين القادمين . وشاعت هذه الطريقة وعمت . ونشأت عنها طبقة اجتماعية جديدة ، هي طبقة المحميين (buccellarii) . وكان القانون يعتبرهم أحرارا ، ولكن التزاماتهم حيال الأغنياء الذين كانوا يحمونهم ، جعلتهم في الواقع في مراتب التابعين والعبيد .

وأقام القوط في إسبانيا حكومة عسكرية انتخابية ، يؤيّدها الأشراف وملاّك الأرض من القوط وأهل البلاد الأصليين على السواء . واستمرّوا يدبّرون شؤون البلاد بنفس النظام الروماني القديم : ظلّت البلاد مقسمّة إلى أقاليم ومدن ، وكان يحكم كل إقليم دوق ، وكل مدينة كونت ، وكان كلّ من هؤلاء الحكام يستعين بطائفة صغيرة أو كبيرة من الموظفين ، يقومون بما تحتاج إليه حكومة الناحية ، في النواحي المالية والقضائية والحربية ، وكان هؤلاء الموظفون طبقات ، تختلف بحسب العمل الذي يقوم به كلّ منهم .

وكان الملك يحكم حكماً استبدادياً ، أي منفرداً برأيه ، يقضي في شؤون البلاد كما يشاء . وكان له مجلس من النبلاء ، يساعده في كلّ شيء ، ولكنّ الملوك استبدوا بالأمر حتى لم يعد لهذا المجلس ظلّ من السلطان ، فكان الملوك يصدرون القوانين وينفذونها . ويقضون في الأحكام بما يريدون . وكان المفروض أن يُنتخب الملك من بين هؤلاء النبلاء ، ولكنّ العادة جرت أن يعتلي العرش أقواهم بحدّ السيف (١٨) .

هـ ـ مجلس طليطلة :

ولكن كان للدولة القوطية نظام طيّب ، له أثر حسن في سير الأمور في دولة القوط ، هو نظام : (مجلس طليطلة) الذي كان يجتمع بين الحين والحين ، للنظر في أمور الدولة الكبرى . وكان أصل هذا المجلس دينياً ، إذ كان مجلساً من كبار القساوسة الكاثوليك ، يعقدونه للنّظر في أمر كنيستهم ورعاياها ، فلما اعتنق ملوك القوط الكاثوليكية في عصر ريكاريدو ، أصبح هذا المجلس رسمياً يدعو الملك بعقده ، ويحضره كبار رجاله ، وأصبح مع الزمن مجلساً سياسياً دينيا ، يتناول المسائل جميعاً : دينية وغير دينية ، ويصدر القوانين والأحكام في شتى القضايا ، ثم اتّسع سلطانه وتناول القضاء وأصبح بذلك محكمة عليا ، وانتهى الأمر بأن انضمّ مجلس النبلاء إلى المجلس الديني وأصبحا مجلساً أعلى للدولة . وقد كان الملوك أوّل السّاعين في توحيد المجلسين ، لأنّهم أرادوا أن يزيدوا أحكامهم قوّة ومهابة ، بالتّصديق عليها من هذه الهيئة التي تضمّ كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية وكبار أهل الدولة . (١٩)

---

(١٨) Ballestaras. op. cit. P. 39 — 40.

(١٩) Ballesteron. op. cit. P. 40.

وقد كان لهذه المجالس تأثير أحسن ، فقد سنّ أعضاؤها مع الزّمن قانوناً شاملاً يضمن حريات النـاس ويسـوى بينهم : قوطاً وإسبانيين ، وهو المسمى : (Fuero Juzg o) (٢٠) ، وكان لتشريعاته الأخرى أثر طيب في تهذيب نفوس القوط وتهيئتهم للعيش المستقرّ والائتلاف مع أهل البلاد ، واستطاع رجاله كذلك الحيلولة بين الملوك وبين الاستبداد السيىء المطلق بشؤون الرعيّة .

و ـ المجتمع الأسبانى ايام السقوط :

والخلاف شديد بين المؤرّخين حول أحوال المجتمع الأسباني خلال هذا العصر القوطي . فمعظم الأسبان شديدو العصبيّة لهذا العصر ، يذهبون إلى أن الناس كانوا يستمتعون فيه برخاء ظاهر في كلّ ناحية من نواحي الحياة ، وأنّ الزرّاع والصنّاع كانوا في رفاهية ، ولا يظلمون، وأن موارد البلاد في ازدياد مستمر، وأن العصر على العموم كان عصر نهضة إسبانية مسيحية . وهم إنّما يبالغون هذه المبالغة لكي يؤكدوا أن النهضة التي حدثت في ظلال الأسلام بعد ذلك لم تكن شيئاً جديداً على البلاد ، وأن فضلها لا يعود إلى المسلمين وحدهم ، وإنّما كانت البلاد سائرة في طريقها على أي حال .

(٢٠) عن اللاتينية Forum Judicum (القانون القوطىّ) اى مجموعة القوانين القوطيّة ، وقد تكون في مدى قرن ، وقد بداه يوريك ، ثمّ اضاف اليه خلفه الاريك الثانى مجموعة من القوانين الرومانية تسمى : (Breviarum) وهو مختصر القوانين التى كانت تطبّق على الرومان ، ويعزى الى شندا سفنتو الفضل فى مزج المجموعتين معاً وتكوين مجموع متناسق منهما يطبّق على الناس اجمعين . وهو مجموعة قانونية شاملة لها قيمة تشريعيّة عظيمة ، ولو طبّقت على الناس ، لكانت سيرة القوط في اسبانيا سيرة اخرى .
Maurice LeGendre, Nouvelle Histoire d' Espagne. pp. 73. sqq.
انظر فجر الأندلس (٢٤) الفقرة (١) .

أما حقيقة الحال : فكانت بعيدة جداً عما يذهب إليه هؤلاء المؤرخون ، فلم يكن الحال بدرجة من السوء بهذا الشكل الذي يصوره دوزى في كتابه ، ولكنّه كان سيئاً على كلّ حال ، ولا يقارن بحال بما وصلت إليه البلاد من الرفاهيّة والرقى في عصور المسلمين . وذلك هو الرأى الذي يميل إليه المؤرخون المنصفون من الأسبان أنفسهم ، بعد أن تجلّت مظاهر الحضارة الأسلامية الأسبانية ، وأصبحت أوضح من أن يمارى بها أحد أو يفضل عليها نظاماً اجتماعياً مضطربا كنظام المجتمع القوطي الأسباني قبل الفتح الأسلامي (٢١) .

وطبيعي ألاّ يستطيع القوط إنشاء مجتمع جديد خير من المجتمع الروماني القديم ، إذ لم يكن لهم هم أنفسهم نظام اجتماعي مقبول . قبل أن يدخلوا الدولة الرومانية ويستقرّوا في أرضها ويقتبسوا نُظُمها ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكونوا قد أنعشوا المجتمع الروماني المضمحلّ ، وأدخلوا عليه عناصر جديدة نشيطة ، توجّهه توجيهاً جديداً .

وينبغي أن نقول أيضاً ، إنّ القوط ، كانوا أقلّ إنسانية ونظاماً من طوائف البرابرة الأخرى ، التي استقرت في إسبانيا ، حتى الفاندال أنفسهم ، لأنّ الفاندال كانوا لا يبهظون البلاد التي ينزلون فيها ، بتكاليف حكوميّة ضخمة ، تريد أن تستقصى كلّ شيء ، ونتشبّه بالرومان : كانوا يزيلون النّظام القديم بمحاسنه ومساوئه ، أما القوط فقد احتفظوا بمساويء هذا النظام ، وأضافوا إليه مساوئهم ، فعمّ ضررهم الجميع ، من المزارع الصغير ، والقنّ الفقير ، إلى الغنى صاحب الضياع ؛ ولم يتدخل الفندال أو السوييف في مسائل الناس الدينية ، أما القوط فتدخّلوا واضطهدوا مخالفيهم كما رأينا . فعمّ بلاؤهم الناس أجمعين (٢٢) .

---

(٢١) Dozy. Musulmans d' Espagne, 1, pp. 258 — 259.

(٢٢) Dozy. op. cit. 1, P. 258.

ولم يعمل القساوسة شيئاً لتحسين حال الناس ، ولم يحاول أحدهم أن يعترض على ما كان الأغنياء يسرفون فيه من الاستبداد بالضعفاء والاستكثار من العبيد . وكان عدد العبيد كبيراً جداً ، وكان الأغنياء يقتنونهم بالآلاف ، ويعاملونهم معاملة قاسية كأنهم بعض المتاع ، وقد يئس هؤلاء المساكين من كلّ إنصاف من جانب الحاكمين أو من جانب رجال الدين ، وباتوا يترقبون الخلاص (٢٣) .

ولم يكن أوساط الناس من أهل المدن والصنّاع وأحرار الزرّاع أحسن حالاً ، لأنّ ملوك القوط لم يلتفتوا إلى شيء يعود بالخير على عامة الناس ، ولم يؤثر عنهم إنشاء قنطرة أو تعبيد طريق أو وضع قانون يخفّف عن الناس مظالم الحكّام أو يجعلهم في مأمن من الظلم والعدوان . وقد كانوا هم أنفسهم أبعد الناس عن أي لون من هذا التفكير .

ويضاف إلى هذه المساوىء الاضطهاد الديني بألوانه : اضطهاد القوط للكاثوليك حين كانوا أريسيين ، ثمّ اضطهادهم لليهود على النحو الذي رأيناه في أيام لذريق ، مما جعلهم يميلون إلى الخلاص من حكم القوط ، وقد اتهمهم القوط بالتآمر على سلامة الدولة مع قوم خارج إسبانيا ، لكي يسوّغوا عسفهم بهم . والغالب أنّ رجال الدين الكاثوليك كانوا هم المحرّضين على هذا الأضطهاد ، ولو أن يهود إسبانيا كانوا على اتصال بيهود إفريقية وبيهود أوروبة أيضا . عداوة للقوط وللكاثوليك ، ومحاولة لألحاق الأذى بهم . ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وحينما تقادم العهد بالقوط في إسبانيا ، وتمتّعوا بخيراتها الوفيرة ، مالت بهم نفوسهم إلى الدّعة ، وجعلوا يكلون أمور الحرب إلى عبيدهم ، حتى زاد عدد العبيد على عدد الأحرار في الجيش . ويبدو أنّ الحروب

(٢٣) Dozy. Musulmans d, Espagne, 1, P. 265.

المتعددة بين ملوك القوط ونبلائهم ، هي التي حفزت هؤلاء الملوك إلى الاستكثار من هؤلاء العبيد في الجيش ، لأن اعداد محاربي القوط القليلة توزعت بين الملوك والثائرين ، وكانت كثرة العبيد في الجيش من أسباب ضعفه ، لأنهم كانوا ساخطين على الدولة ، ينتظرون الفرصة للتخلي عنها وتركها لمصيرها (٢٤) .

ز ــ الحالة الثقافية :

لابد من الأشارة إلى حال الثقافة بألوانها في البلاد قبل الفتح الأسلامي ، فهذه هي الناحية الوحيدة التي سيجد فيها المسلمون أساساً طيباً يزيدون عليه . وقد كانت إسبانيا منذ فجر التاريخ بلد ثقافة وموطن علم وفن ، وضع الفينيقيون أساس ذلك كله ، وزاد عليه اليونان والرومان . ثم أقبلت المسيحية فأنعشته وسارت به خطوات إلى أمام . ولعل في هذا بعض ما يفسر لنا سراً من أسرار الازدهار الفكري السريع الذي حققه المسلمون في إسبانيا ، على قلة اتصالهم بمنابع الثقافة القديمة والوسيطة في العالمين المسيحي والأسلامي .

لقد تأصلت المسيحية في إسبانيا بأسرع مما تأصلت في فرنسة مثلا ، فلم يكد القرن السادس الميلادي يهل ، حتى كانت البلاد تفيض بالأديرة يقيم فيها الرهبان يدرسون ويتذاكرون ، والكنائس يقوم بأمرها قسس معنيون بالدرس مشغوفون بالكتابة والتأليف .

وقد تركت أيام القوط في إسبانيا قبل الفتح الأسلامي آثاراً في الدراسات الدينية المسيحية بخاصة والأخلاقية مقتبسة من الأفكار اليونانية والرومانية على الأكثر ، والتاريخية التي تفسر التاريخ تفسيراً دينياً مسيحياً ، والأدبية .

ولم يخلف القوط في الفنون إلا ثروة معمارية فقيرة جداً ، وينسب بعض مؤرخي الفنون العقد المخمس إلى القوط (٢٥) .

(٢٤) Dozy. Musulmans d' Espagne, 1, P. 269.

(٢٥) Ballestexos. op. cit. P. 51.

وخلاصة القول ، إن إسبانيا القوطية ، لم تكن شرّاً كلّها ، كما يذهب قسم من المؤرخين الفرنسيين والعرب ، ولم تكن خيراً كلّها ، كما يزعم الأسبان ، وإنما كانت جوانبها الأجتماعية ضعيفة جداً ، بل تُعدّ امتداداً للعصر الروماني المضمحل . لأن القوط أنفسهم كانوا قبائل متبدّية ، لاتملك من الأسس الأجتماعية ما يعينها على تنظيم بلد واسع كأسبانيا ، ومجتمع منشعب مختلف كمجتمعها الذي ضمّ أخلاطاً من كل صنف . وقد حاولوا أن يتخذوا مظاهر النظام السياسي الروماني ،فلم يوفّقوا . لأنهم كانوا أبعد من أن يفهموه أو يستطيعوا البناء عليه . ولم يصب الناس من وراء ذلك إلاّ شرّ بالغ .

وأما الناحية الفكرية ، فكانت خيراً خالصاً ، لأنّ الذين قاموا بها كانوا من الأسبان الأصليين بعد أن اعتنقوا المسيحية وتأثّروا بها ، فلاعجب أن يظهر من بينهم بعض العلماء ، لأنّ البلد كان قبل ذلك موطن حضارة فكرية وفلسفة باقية الأثر في عهود الرومان .

لقد سبقت إسبانيا المسيحية أوروبة الغربية كلها في هذه الناحية (٢٦) ، كما ستصبح إسبانيا الأسلامية المركز الأول للأشعاع الحضاري في أوروبة ، كما اعترف بذلك المفكرون الأجانب كافة ، فقد كانت إسبانيا المسلمة عاملاً من العوامل الأساسية ليقظة أوروبة . يوم كانت أوروبة في ظلام دامس . فكان فضل الأسلام على الحضارة الأوروبية فضلاً عظيما .

١ ـ شخصيته يُلْيان :

كانت مدينة سَبْتَة وما يجاورها . تُحكم من قبل حاكم مسيحي يدعى : يُلْيان (جوليان ، يوليان ، وليان ، بليان ، إليان ، جليان) كانت له عدّة وقوّة . لم ير لها موسى بن نُصَيْر مثيلاً من قبل (٢٧) . فقد هاجم موسى

---

(٢٦) فجر الأندلس (٢ ـ ٣١) .
(٢٧) اخبار مجموعة (٤) .

سبتة ، ولكنه لم يتمكن من فتحها ، فعقد الصلح مع يليان حاكم المدينة ، وأقره في منصبه ، مقابل اعتراف الأخير بالفتح الأسلامي (٢٨) .

وقد شجّع يليان موسى بن نصير وطارق بن زياد على فتح الأندلس ، كما عاون المسلمين في الفتح ، وكان له نشاط واضح قبل الفتح وفي أيامه . وسيرد ذكر تفاصيل نشاطه في سِيَر قادة الفتح .

والاختلاف بين الباحثين في أمرين : الأول في شخصية يليان ، والثاني في الأسباب التي حملته على تشجيع موسى وطارق على الفتح ،ومعاونة الفاتحين لأنجاز الفتح .

والروايات متناقضة حول شخصيةيليان،فيقال:إنه مسيحي من إفريقية(٢٩)، وقيل : إنه مسيحي من بربر غمارة (٣٠)،وقيل : إنه رومي (٣١)، وقيل : قوطي من أتباع ملك إسبانيا (٣٢) .

وجاء المؤرِّخون الأجانب المحدثون ، فحقّقوا شخصية يُلْيان ، فأثبت قسم منهم وجوده فعلاً ، بعد أن كان قسم منهم قد ذهبوا إلى أنه شخصية أسطورية خلقها خيال العرب(٣٣).وجاء من بعد مَن أثبت وجوده ، وهو مؤرِّخٌ إسباني

---

(٢٨) ابن خلدون (٤٣٧/٦ ـ ٤٣٨) واخبار مجموعة (٤) ونفح الطيب (٢٣٠/١) .

(٢٩) Chr. 754, P. 150, No. 40.

(٣٠) ابن خلدون (٤٣٧/٦ ـ ٤٣٨) والسلاوى (٦٥/١) و . Codera, VII, PP. 45 - 94.

(٣١) الأحاطة (برواية ابن القوطية) ـ (١٠٠/١) وابن الكردبوس (٤٢) وابن الأثير (١٠٦/٤) والمراكشى (٦) والبيان المغرب (٢٦/١) والنويري (١٤/٢٢) .

(٣٢) ابن عبد الحكم (٢٠٥) واخبار مجموعة (٤) وفتح الأندلس (٢ ـ ٣) وابن الكردبوس (٤٢ و ٤٤) وابن الشباط (١٠٥) والبيان المغرب (٢٠٣/١) و (٦/٢ ـ ٧) والحميرى (٧) ونفح الطيب (٢٥١/١) .

(٣٣) Dozy ... Recherches (3 ed.) 1, PP. 57 sqq.

أثبت أصله والدور الذي قام به هو واولاده (٣٤) ،وقد ذهب هذا المؤرخ إلى أن يليان فارسي الأصل ، وأنه من الأزارقة . وقد استنتج ذلك من أنّ يليان خلّف ولداً اسمه : بَلْكايِش ، أسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وبلكايش اسم من أسماء الفُرس الأزارقة .

أما المؤرخون العرب والمسلمون ، فتابعوا المؤرخين الأجانب على الأكثر . ولم يروا رأياً جديدا .

ويليان مسيحي بلا خلاف ، وليس من بربر غمارة ، وبقاؤه مدة طويلة في سبتة بين البربر جعل بعض المؤرخين يتوهم أنه من البربر ، وهو ليس منهم . لأن مَن كان مسيطراً على شمالي إفريقية في حينه لا يولي على البربر بربرياً ، خوفاً من انحيازه إلى قومه وتحيزه لهم على الأجنبي . وقائمة حكام الروم على الشمال الأفريقي تثبت أن الحكام جميعاً بدون استثناء ، لم يكونوا من البربر . أما الذين زعموا أن يليان قوطي ، فلا سند لهم ، لأننا نعلم بأنّ القوط الغربيين فقدوا معظم ممتلكاتهم في شمالي إفريقية منذ أيام الملك (Theudis) (٣٥) –(٥٣١–٥٤٨ م) . ولقد كانت سَبْتَة بأيدي البيزنطيين منذ منتصف القرن السابع الميلادي . ولا توجد هناك أية إشارة الى وقوع ما يخالف ذلك (٣٦) . ولهذا يمكن استنتاج أنّ يليان كان الحاكم البيزنطي العام لولاية موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingtana) وهو إقليم كان في ذلك الحين تابعاً للدولة البيزنطية لا لأسبانيا القوطية ، وأنّ يليان

(٣٤) Saavedra, PP. 48. وهذه سلسلة سلالة يليان بعد الفتح بحسب ماتذكره الروايات الاسلامية : يليان ← بلكايش ، عبدالله ، الحكم . سليمان ، ايوب (توفى سنة ٣٢٦ هـ) ، سليمان (توفى سنة (٣٧٩ هـ) ، احمد (توفى سنة ٣٨٨ هـ) . وقد اشتهر الثلاثة الاخيرون بصدق الاسلام وسعة العلم . انظر فجر الاندلس (٥٣ – ٥٤) – الهامش .

(٣٥) CMH, Vol, 11, P. 163., Shaw, op. cit, P. 222.

(٣٦) Livermore, PP. 191, 245.

كان يقوم بواجبات الحاكم العام (Exarcus) لهذه الناحية من قبل الأمبراطور البيزنطي ، وأنه بدأ ولايته في سن صغيرة (٣٧) ، وأقام في هذه الناحية زماناً طويلا . ولما كانت موريطانيا الطنجية بعيدة كل البعد عن بيزنطية ، ولما كانت أمــور الدولة البيزنطية في ذلك الحين مضطربة اضطراباً لا يمكّنها من الأشراف على ولاياتها القريبة فضلاً عن البعيدة (٣٨) .

ولما كانت تلك الدولة قد خسرت ولاياتها كافة في شمالي إفريقية بالفتح الأسلامي ، ولم يبق منها غير ولاية سبتة وحدها ، لا عون لها ولا سند ، غير الدولة الأسبانية ، فقد تحرر يليان من سلطان الدولة البيزنطية ، وأصبح كالحاكم المستقل في هذه الناحية . وإذ انقطعت عنه الأمدادات من الدولة البيزنطية ، فقد أخذ يوثّق علاقاته بمن جاوره من قبائل البربر . حتى كسب ثقتها وودّها وأصبح كالزعيم لها ، حتى اختلط الأمر على بعض المؤرخين ، فحسبوه من البربر . كما أخذ يوثّق علاقاته بالأسبان ليحظى منهم بالأمدادات التي تعينه على الثبات أمام المسلمين الفاتحين . ولما وصل موسى بن نصير إلى إقليم طنْجة سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٩م) وحاصر مدينة طنجة وفتحها (٣٩) ، سار على رأس جيشه إلى مدائن شط البحر ، وعلى رأسها سَبْتَة ، وعليها يليان ، فقاتله موسى ، ولكنه ألفاه في نَجْدة وقوّة وعُدَّة ، فلم يُطِقْه ، فرجع إلى طنجة ، وأقام هناك بمن معه . وأخذ موسى بالغارات على منطقة سبتة ، والتضييق عليهم ، والسفن تختلف إليهم بالميرة والأمداد من إسبانيا من قِبل ملكها غَيْطَشَة . فهم يذبّون عن سبتة ذباً شديداً ، ويحمون بلادهم حماية تامة (٤٠) ، فكانت علاقة يليان بغيطشة من أهم أسباب نجاحه في الدفاع عن منطقته وحمايتها . ولكنّ هذه العلاقة كانت علاقة مصلحة متبادلة : مصلحة

(٣٧) ابن الأثير (١٠٦/٤) .
(٣٨) فجر الأندلس (٥٤) .
(٣٩) نفح الطيب (٢١٥/١ و ٢٣٤) .
(٤٠) نفح الطيب (٢٣٤/١) .

يليان . تَلَقَّى العون من غيطشة بعد أن حرم من عون القسطنطينية ، ومصلحة غيطشة ، أن تصبح سبتة ومنطقتها الخط الدفاعي الأول عبر بحر الزقاق عن إسبانيا تجاه الفتح الأسلامي ،وكسب هذه المنطقة لأسبانيا في الحاضر والمستقبل ، وما كان تعاون يليان مع القوط الغربيين إلا مضطراً (٤١) .

والمؤرخ الأجنبي الذي زعم أنّ يليان فارسي . لأنه خلّف ولداً اسمه : بْلكَايش . وهو اسم فارسي . فأن زعمه متهافت وغير منطقي ولا معقول ، فكثير من الفرس أسماؤهم عربية ، وكثير من العرب أسماؤهم غير عربية ، وكثير من المسيحيين أسماؤهم إسلامية . وكثير من أبناء المسيحيين أسماؤهم عربية . فلا يصبح الفارسي عربياً ولا العربي فارسياً ولا المسيحي مسلماً استناداً على اسمه او اسم ولده . ولو زعم مثل هذا الزعم مؤرخ عربي أو مسلم ، لاعتبر زعمه فضيحة مدوّية.ولسارت بأخبارها الركبان . ولكن المؤرخ الذي زعم ذلك ليس عربياً ولا مسلماً ،بل أجنبي مسيحي،ولهذا غض النظر عنه.

إنّ يليان مسيحي رومي . كان الحاكم البيزنطي العام على ولاية سَبْتَة ، ثم تعاون مع غيطشة حتى مات . فتعاون مع لذريق الذي خلف غيطشة ، ثم تعاون مع موسى بن نصير وطارق بن زياد لأسباب مصلحية بالنسبة للطرفين كما رأينا .

١ ـ يلياون والمسلمون الفاتحون :

منعت مشاكل القوط الغربيين الداخلية بعد رحيل غيطشة سنة (٧٠٨م) أو سنة (٧٠٩م) من الاستمرار في معاونة يليان (٤٣) . فأصبح وحيداً أمام تيار الفتح الأسلامي الجارف . وأصبحت ولايته وحدها هدفاً للفتح ، فلم يكن بأمكانه أن يثبت طويلا .

(٤١) اخبار مجموعة (٤) .

(٤٢) Saavedra. op. cit. PP. 30.

(٤٣) Dozy. P. 230 ; Shaw. op. cit. 221 — 222 ; Livarmore. PP. 245 — 246. عبد العزيز سالم ـ تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس ـ بيروت ـ ١٩٦٢ ـ (٤٧) .

لقد رأى يليان الولايات البيزنطية في الشمال الأفريقي تنهار واحدة بعد أخرى ، أمام زحف المسلمين الفاتحين ، وكان آخر تلك الولايات ولاية طنجة المجاورة لولايته والتي فتحها المسلمون ، فلم يبق أمام يليان غير التعاون مع المسلمين الفاتحين ، ليبقى في منصبه على ولاية سبتة ، وإلاّ فأن المسلمين قادرون على فتح ولايته عَنْوة كما فتحوا غيرها من الولايات ، ولن يطول انتظار يليان ليرى مصير ولايته المتوقّع الذي لاشك فيه .

إنّ حرمان يليان من عون ملك القوط ومعاونته ، هو السبب غير المباشر لتقرّبه من المسلمين الفاتحين وتعاونه معهم ومعاونته لهم .

ولسنا نعرف شيئاً عن الأسس التي ارتكز عليها السلام بين يليان والمسلمين الفاتحين ، وكلّ ما نعرفه أن طارق بن زياد حاول فتح سبتة كما حاول موسى قبله ، فلم يستطع فتحها عَنْوة ، فاكتفى بالتودّد إلى يليان ومجاملته ، وفجأة سلّم يليان سبتة للمسلمين الفاتحين صلحاً ، وشجّعهم على فتح الأندلس ، وعرض عليهم معاونته لهم وتعاونه معهم من أجل تحقيق الفتح .

والمصادر الأسلامية تذكر سبباً مباشراً لأستسلام يليان وتشجيعه على فتح الأندلس ، وتعاونه مع المسلمين الفاتحين لتحقيق الفتح .

فقد ذكرت . أنه كان من سِيَر أكابر العجم بالأندلس وقوّادهم ، أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم والتّنويه بهم ، إلى بلاط الملك الأكبر بطُلَيْطلة ليصيروا في خدمته . ويتأدبوا بأدبه . وينالوا من كرامته ، حتى إذا بلغوا ، أنكح بعضَهم بعضاً استئلافاً لآبائهم ، وحمل صَدُقاتهم ، وتولّى تجهيزَ إناثهم إلى أزواجهنّ . واتفق أن فعل ذلك يُلْيَان عامل لُذَريق على سبتة . وكانت يومئذ في يدِ صاحب الأندلس ، وأهلها على النّصرانية ، فركب الطريقة بابنة له بارعة الجَمال تكرم عليه . فلما صارت عند لُذَريق وقَعَت عينُه عليها فأعجبته وأحبّها حباً شديداً ، ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضّها . واحتالت حتى أعلمت أباها بذلك ، سراً بمكاتبة خفيّة ، فأحفظه شأنها جداً ، واشتدت حميّته . وأقسم ليزيلنّ سلطانه . وليحفرنّ تحت قدميه . فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الأندلس .

ثمّ إنّ يليان ركبَ بحر الزقاق من سَبْتَة ، في أصعب الأوقات . في ينير(٤٤) قلب الشتاء . فصار بالأندلس . وأقبل إلى طُلَيْطلة نحو الملك لذريق . فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت . وسأله عمّا لديه ، ولِمَ جاء في مثل وقته ، فذكر خيراً . واعتلّ بذكر زوجته ، وشدّة شوقها إلى رؤية بنتها التي عنده . وتمنيها لقاءها قبل الموت . وإلحاحها عليه في إحضارها . وأنّه أحب إسعافها . ورجا بلوغها أمنيتها منه ، وسأل الملك إخراجها إليه ، وتعجيل إطلاقه للمبادرة بها ففعل . وأجاز الجارية ، وتوثق منها بالكتمان عليه ، وأفضل على أبيها . فانقلب عنه . ولما ودّعه قال له لذريق : « إذا قدمتَ علينا . فاستفره لنا من الشّذانقات (٤٥) التي لم تزل تُطرفنا بها ، فأنّها آثر جوارجنا لدينا » . فقال : « أيها الملك ! وحقّ المسيح لئن بقيتُ لأُدخلنّ عليك شُذانقات ما دخل عليك مثلها قط » . عرّض له بالذي أضمره. من السعي في إدخال العرب عليه ، وهو لا يَفْطِن .

ولم يتنهنه يليان ، عندما استقر بسبتة عمله ، أن تهيّأ للمسير نحو موسى ابن نُصَير الأمير . فمضى نحوه بأفريقية ، وكلّمه في غزو الأندلس،ووصف له حسنها وفضلها . وماجمعت من أسباب المنافع . وأنواع المرافق ، وطيب المزارع . وكثرة الثمار . وغزارة المياه وعذوبتها . وهوّن عليه مع ذلك حال رجالها . ووصفهم بضعف البأس وقلّة الغناء ، فشوق موسى إلى ما هناك . وأخذ بالحزم إلى ما دعاه إليه يليان (٤٦) .

---

(٤٤) ينير اسم الشهر (Enero) : وهو شهر كانون الثاني (يناير) . اول شهر من أشهر السنة ، ويكون في وسط الشتاء .
(٤٥) الشذانقات : الصقور او الشواهين ، انظر معجم متن اللغة (٣/٢٩٤) .
(٤٦) نفح الطيب (١/٢٥١ ـ ٢٥٣) .

ولكن بعض المؤرخين المحدثين ، وعلى رأسهم قسم من المستشرقين ، يرون أنّ قصة ابنة يليان في بلاط طليطلة محض أسطورة ليس لها أساس من الواقع ، وقد شايعهم قسم من المؤرخين العرب والمسلمين في هذا الرأى (٤٧).
ولعلّ هناك ما يسوّغ التّشكيك في هذه القصة من مؤرخي الأجانب والمستشرقين، والهدف من هذا التشكيك واضح ومعلوم ومفهوم ، ولكن متابعة المؤلفين العرب المسلمين للأجانب في هذا التشكيك في هدفه غير واضح ولا معلوم ولا مفهوم!
ومن المعروف أنّ مؤرخي الأجانب وبخاصة المستشرقين منهم ، شككوا في وجود شخصية يليان أصلا ، وذهبوا إلى أنه شخصية أسطورية خلقها خيال العرب – كما ذكرنا ذلك قبل قليل – فتابعهم في هذا التّشكيك قسم من من مؤرخي العرب والمسلمين تقليداً وعلى غير هدى وبصيرة . حتى إذا حقّق قسم من المؤرخين الغربيين شخصية يليان ، وأثبتوا وجودها فعلاً بشكل قاطع جليّ ، عاد المقلّدون من مؤرخي العرب والمسلمين إلى متابعة الغربيين من جديد ، فكانوا في كلا الحالتين مقلّدين ، ينقلون آراء الأجانب بلا تدقيق ولا تمحيص .

وقصة ابنة يليان ، هي الأخرى ، تنتظر مَن يحقّق وقوعها من المؤرخين الغربيين ومن المستشرقين ، لتصبح حقيقة لاشك فيها بالنسبة لبعض مؤرخي العرب والمسلمين المحدثين ولا تبقى أسطورة من الأساطير .

---

(٤٧) قارن : Sanvedra. PP. 58 — 59 ، وفجر الأندلس (٥٩ – ٦٠) ومحمود مكي – ملحمة آخر ملوك القوط – المجلة (٣٠ – ٣٥) – العدد (٧٤) – ١٩٦٣ ؛ ومحمد عبد الله عنان – دولة الأندلس (١/٣٥ – ٣٧) والفتح والاستقرار العربى والأسلامى فى شمال افريقيا والأندلس (١٦٠) .

ولا أرى أن مثل تلك القصة لا يمكن حدوثها في كل زمان ومكان ، وبخاصة في تلك الأيام ، في ذلك المحيط ، الذي اتّسم بالانحراف فأصبح قاعدةً في القوط بعكس الاستقامة التي أصبحت استثناءً فيهم . كما أنّ ردّ الفعل الذي أظهره يليان ليس مستغرباً من أب تجاه انتهاك عرضٍ ابنته قسرا ، كما أن ذكرها في حشد من المصادر المعتمدة يوثّق حدوثها ويؤيّد وقوعها ، ولا عبرة بالمصادر العربية القليلة التي لم تتطرّق إليها اختصاراً أو لأسباب أخرى ، إذ لو كان مؤلفوها لا يصدّقونها لأبدوا رأيهم فيها ، ولكنهم لم يفعلوا (٤٨) . ومثل هذه القصة تكررّت كثيراً في محيط الواقع ، ولا تزال تتكرر حتى اليوم (٤٩) ، وأكثرنا سمع أمثالها ، فلماذا لا نكذبها ، ونكذّب قصّة ابنة يليان ، لأن مصادرها المعتمدة عربية إسلامية ؟ !

ولست مع الذين يشككون في هذه القصة ، وأراها السبب المباشر لتعاون يليان مع المسلمين . ولكنني لا أراها السبب الرئيس ، بل السبب الرئيس هو هو أنّه كان يتلقى من غيطشة الأمدادات عَدَداً وعُدَداً ، مما سهل عليه الدفاع عن ولايته . فلما حرمه لذريق من تلك الأمدادات بسبب مشاكله الداخلية ، استاء من هذا التوقف . وبدأ بالتعاون مع المسلمين على القوط ، خاصة بعد ما شعر بقوة المسلمين المتنامية في المنطقة ، وإقبال البربر على الدخول في دين الله أفواجا .

ولعلّ مما يعزّز أن تغيرّ وضع يليان : من الدفاع العنيد عن ولاية سبتة ، إلى الاستسلام المفاجيء للمسلمين وتسليم سبتة لهم واندفاعه في معاونته للمسلمين وتعاونه معهم مادياً ومعنوياً على النظام القائم يومها في إسبانيا ، هو هذا الأثر البالغ على نفسيته ، بعد علمه بقصة ابنته مع لذريك ، فنسى كلّ شيء إلاّ الانتقام لابنته ممن اقتضها غصبا ، ولنفسه ممن أساء إليه في سمعته وشرفه بين الناس .

---

(٤٨) البلاذرى (٢٣٠ ـ ٢٣١) برواية الواقدى ، والبيان المغرب (٦/٢) برواية الواقدى و (٤/٢) برواية عريب بن سعد ، وابن الشباط (١٠٥ ـ ١٠٦) برواية عريب بن سعد .

(٤٩) د . على البارودى ـ حدث فى رحلة الخريف (٦٥ ـ ٦٦) ـ الأسكندرية ـ بلا تاريخ .

فتح الأندلس

١ ـ الموقف العام :

أكمل عمرو بن العاص بمعاونة عُقبة بن نافع الفِهري فتح ليبْيَا كلّها سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٥٠) (٦٤٢ م) . وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطّاب : « إنّا قد بلغنا طرابلس ، وبينها وبين إفريقية (تونس) تسعة أيام ، فأن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها ، فعل » ، فكتب إليه عمر ينهاه ويأمره بالوقوف عند هذا الحدّ ، فعاد إلى مصر مكرها بعد أن استخلف على ليبيا عُقْبَة بن نافع الفِهْرِي ، الذي صار . إليه بعد ذلك فتح المغرب (٥١) .

وتولّى عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح القُرشِي العامِرِي (٥٢) مصر خلفاً لعمرو بن العاص ، ففتح إفريية .

وخلفه معاوية بن حُدَيج السَّكوني (٥٣) ، فأكمل فتح إفريقية . وخلفه عُقبة بن نافع (٥٤) ، ففتح حتى المحيط الأطلسي ، ولكن فتحه القريب من المحيط لم يكن فتحاً مستداما ، واستُشهد عقبة في ميادين الفتح .

وخلف أبو المهاجر دينار (٥٥) عقبة بن نافع ، ففتح أبو المهاجر المغرب الأوسط (الجزائر) .

---

(٥٠) ابن الأثير (٣/٢٥ ـ ٢٦) والعبر (١/٢٦) .

(٥١) البلاذرى (٣١٦) واليعقوبى (٢/١٣٤) .

(٥٢) انظر سيرته المفصّلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/٥١ ـ ٧٤) .

(٥٣) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/٥٧ ـ ٨٩) .

(٥٤) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/٩٠ ـ ١٣٦) .

(٥٥) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/١٣٧ ـ ١٤٩) .

وخلف زهير بن قيس البلَوِي (٥٦) ابا المهاجر، فعزّز في الفتح إفريقية، وانتصر على البربر انتصاراً سَوْقَياً ، ولكنه استُشهد في ميادين الفتح .

وخلف حَسَّان بن النُّعمان الغساني (٥٧) زهيراً ففتح قَرْطاجَنَّة وفاس وانتصر على الروم في معركة سَوْقيّة حاسمة .

وجاء موسى بن نُصَير (٥٨) خلفاً لحسان ، فأكمل فتح المغرب الأقصى وفتح طنجة عَنْوَة وفتح سبتة صلحاً .

وكان فتح طَنْجة سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٩م) ، وفي هذه السنة مات غيطشة وتولى مكانه لُذريق على الأندلس . وكان على سَبْتَة يُلْيان الذي قاوم بنجاح موسى وردّه عن فتح سبتة بمعاونة غيطشة الذي كان يمدّه بكل ما يحتاج إليه للثبات أمام المسلمين الفاتحين . فلما مات غيطشة ، لم تصل إلى يليان من خلفه الأمدادات . فلم يبق أمامه من خيار غير الاستسلام للمسلمين الفاتحين . فسلّم سبتة صلحاً لطارق بن زياد والي طنجة لموسى بن نصير .

وكان فتح الأندلس . نتيجة طبيعية لتمام فتح المغرب، لأن الأندلس هو الجناح الغربي للمغرب (٥٩) . ولأن الأندلس كان المجال الحيوي للفتح الأسلامي بعد إنجاز فتح المغرب الأفريقي . واستقرار الفتح فيه بانتشار العرب والأسلام في ربوعه . وبوجود القوة الضاربة بيد العرب المسلمين والبربر المسلمين الفاتحين على البر المغربي .

---

(٥٦) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/١٥٠ — ١٧٠) .

(٥٧) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/١٧٢ — ٢٢٠) .

(٥٨) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح المغرب العربي (١/٢٢١ — ٣٠٩) .

(٥٩) المسالك والممالك للأصطخري (٣٣) .

وبين الأندلس والبر المغربي الأفريقي الذي فتحه المسلمون بحر المجاز ، عرضه ما بين طنجة والبر الأندلسي ثمانية عشر ميلاً ، وهو عرضه أيضاً بين جـزيرة طريف على البـر الأندلسي وسبتة على البـر المغربي الأفريقي ، ويعرف هذا الموضع بالزقاق . وبحر المجاز هو الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي (٦٠) ، وهذا المجاز هو الذي يفصل بين المسلمين الفاتحين من جهة ، وأهل الأندلس من جهة ثانيـة ، ولكي يحمي المسلمون ما فتحوه في المغرب من أهل الأندلس والقوط الذين يحكمونها ، كان لابد لهم من فتح الأندلس ، لحماية البر الأفريقي في شمالي إفريقيـّة ، فقد رأينا طَنْجة وسَبْتَة قبل فتحهما تحت حكم الأندلس ، فقد كان يليان عامل لذريق على سبتة (٦١) ، : « ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر ، فيها عمال لصاحب الأندلس ، قد غلبوا عليها ، وعلى ما حولها ، ورأس تلك المدائن سبتة ، وعليها علج يسمى : يليان ، قاتله موسى ، فألفاه في نجدة وقوة وعدّة فلم يُطِقْهُ ، فرجع الى مدينة طنجة ، فأقام بمن معه ، وأخذ بالغارات على ما حوْلهم والتَضييق عليهم ، والسفن تختلف إليهم بالميرة والأمداد من الأندلس من قبل ملكها غَيْطَشَة ، فهم يذبّون عن حريمهم ذباً شديداً ، ويحمون بلادهم حماية تامة ، إلى أن هلك غيطشة ، فاضطرب حبل أهل الأندلس.... »(٦٢) ، هكذا كانت العلاقة وثيقة للغاية بين ولاية سبتة وطنجة وغيرهما مع مملكة القوط في الأندلس ، وكان التعاون بين الطرفين وثيقاً ، ومنذ أقدم العصور : إذا كان الحكم في الأندلس قوياً ، سيطر على المدن الأفريقية المواجهة لساحل الأندلس ، وإذا كان الحكم فيها ضعيفاً سيطر البر الأفريقي على الأندلس أو على جزء منها. والهدف هو حماية الأندلس بالسيطرة على مدن الساحل الأفريقي ، لتكون الخط الدفاعي الأول عن البر الأندلسي ، وحماية البر الأفريقي من حكّام الأندلس ، بفتح الأندلس كما فعل المسلمون الفاتحون ، فلابد من أن يكون أحد الطرفين مسيطراً على الطرف الثاني .

(٦٠) نفح الطيب (١/١٤٥ ــ ١٤٦) .
(٦١) نفح الطيب (١/٢٥١) .
(٦٢) نفح الطيب (١/٢٥٠) .

إنّ الهدف من فتح الأندلس ، هو ترصين الفتح الأسلامي في شمالي إفريقية بعامة وفي ولايتي طنجة وسبتة بخاصة .

أما الهدف الثاني من الفتح ، فهو نشر الأسلام في ربوعها وإعلاء كلمة الله فيها . إنّ الفاتحين حملوا إلى الناس الأسلام بالفتح . ولم يحملوا الناس بالفتح على الأسلام .

وقد كان الروم قد اتخذوا من جزيرة صقلّية قاعدة أمامية متقدمة لهم ينطلقون منها للتعرض بالساحل الأفريقي المقابل لها ، فأمر موسى بن نُصير بالتأهب لركوب البحر . وأعلمهم أنّه راكب بنفسه ، فرغب الناس وتسارعوا ، فلم يبق شريف ممن كان معه إلاّ وقد ركب الفُلك . وعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبدالله بن موسى . وأمّره على رجالها ، وولاه عليهم ، ثم أمره أن يتوجّه إلى صقلّية . وإنما أراد موسى بما أراد من مسيرة في هذه الحملة ، أن يركب أهل الجلد والحماية والنكاية والشرف ، فسميت هذه الغزوة : غزوة الأشراف (٦٣) . وكان ذلك سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤م) .

وفي سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥م) ، أغزى موسى ابنه عبدالله جزيرة سَرْدانية (٦٤) . فغنم وعاد سالماً غانما .

وكانت هاتان الغزوتان لحماية الساحل الأفريقي من غزو الروم من قواعدهم البحرية في هاتين الجزيرتين .

---

(٦٣) الامامة والسياسة (٧٠/٢ – ٧١) .

(٦٤) النجوم الزاهرة (٢١٦/١) ، وانظر العبر (١٠٤/١) وشذرات الذهب (٩٨/١) والبداية والنهاية (٧٧/٩) .

وبعد أن أنجز موسى بن نُصير استعادة فتح المغرب الأوسط ، وأكمل فتح المغرب الأقصى ، وفتح طنجة ، أصبحت السواحل المغربية المواجهة لبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وللأندلس ، معرضة لهجمات الروم ، لغرض إستعادة تلك المناطق المغربية الغنية إلى سيطرتهم من جديد ، ومعرضة لهجمات من القوط الذين يحكمون الأندلس ، لغرض إبعاد المسلمين الفاتحين عن بلادهم ، بطردهم من السواحل المغربية القريبة منهم ، وحماية الأندلس من غزو المسلمين المتوقع لها ، ومحاولة فتحها .

وكان من جزر البحر التي اتخذها الروم والقوط قواعد لهم متقدمة : جزيرتا مَيُورْقَة ومَنُورْقَة ، وهما جزيرتان في البحر الأبيض المتوسط ، بين صقلية وشبه جزيرة الأندلس (٦٥) .

وفي سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٧م) جهّز موسى ابنه عبد الله ، فافتتح هاتين الجزيرتين (٦٦) ، وغنم ما لايُحصى ، وعاد سالما (٦٧) .

والهدف الأول والأخير ، من تعرّض المسلمين بهذه الجزر ، هو حماية الساحل الأفريقي من هجمات الروم والقوط ، والهجوم أنجع وسائل الدفاع كما يقولون (٦٨) .

وعندما ضعف المسلمون في شمالي إفريقية ، أصبحت تلك الجزر قواعد لأساطيل أعدائهم وحشود قواتهم ، للهجوم على المسلمين ، وأسر نسائهم ورجالهم ، وأخذهم إلى القسطنطينية وغيرها .

---

(٦٥) النجوم الزاهرة (٢١٦/١) ، وانظر العبر (١٠٤/١) وشذرات الذهب (٩٨/١) والبداية والنهاية (٩٩/٩) .

(٦٦) النجوم الزاهرة (٢١٦/١) ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٣٠٥/١) وابن الاثير (٥٤٠/٤) .

(٦٧) ابن الأثير (٥٤٠/٤) .

(٦٨) انظر تفاصيل هذه الفتوح ، في سيرة : عبدالله بن موسى بن نصير ، في كتاب : قادة فتح الأندلس

إنّ فتح الأندلس ، هو الوسيلة الوحيدة لحماية البر الأفريقي المقابل لها ، والذي كان المسلمون قد فتحوه ، وصارعوا الأهوال من سنة اثنتين وعشرين الهجرية إلى سنة تسعين الهجرية ، أي مدة ثمان وستين سنة ، بذلوا خلالها كثيراً من الجهد والنفقات والشهداء ، على رأسهم قائدان : عقبة بن نافع ، وزهير بن قيس البلوي .

هكذا فتح المسلمون الفاتحون ما فتحوه ، وهكذا حافظوا على ما فتحوه : بالتّعرض والجهاد ، وبفتح جديد يرصّن الفتح القديم .

٢ ــ فتح طريف :

أرسل موسى في شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين الهجرية (آب ــ أغسطس ــ أيلول ــ سبتمبر ٧١٠ م)سرية إستطلاعية إلى جنوبي الأندلس ، ففتح جزيرة طريف والجزيرة الخضراء ، وعاد مع رجاله في رمضان أيضاً سالماً غانما (٦٩) .

٣ ــ فتح طارق بن زياد :

انزل طارق بن زياد قواته في منطقة جبل طارق بوجبتين ، فكوّن المسلمون في تلك المنطقة رأس جسر لقوات المسلمين . وأرسل طارق أحد قادته المرءوسين وهو : عبدالرحمن بن أبي عامر المعافري ففتح مدينة قرطاجنّة الجزيرة ومدينة الجزيرة الخضراء (٧٠) . وانتصر طارق على جيش لذريق في معركة وادي لَكّهْ الحاسمة . وفتح طارق بعد هذه المعركة شَذُونَةَ والمَدُور وقَرْمونة وإشبيليَة واسْتَجَة ، وأرسل مغيثاً الرومي ففتح قرطُبَة ، وأرسل سرايا ففتحت مالَقَة وإِلْبِيْرة وغرناطة وكورة تُدمِيرْ وأوريونة ومرسية ثم قصد هو طليطلة ففتحها (٧١) .

---

(٦٩) ابن الأثير (٥٦١/٤) .
(٧٠) تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس (مخطوط) ص (٧٠) ــ على عبدالرحمن بن هذيل .
(٧١) انظر تفاصيل هذه الفتوح في سيرة طارق بن زياد التى ترد وشيكا .

٤ ــ الفتح المشترك بين موسى وطارق :

اولاً : عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في شهر رمضان من سنة ثلاث وتسعين الهجرية (حزيران – تموز – يونيو – يوليو – ٧١٢ م) ، ففتح موسى قبل لقاء طارق : شَذُونَة وقَرْمُونَة ورَعْواق وإستَجَّة وإشْبيلية ومارِدَة ولَقَنْت وطليطلة . ومن المعروف أن طارقاً سبق له فتح هذه المدن الأندلسية ، فمن المحتمل أنها انتقضت ، فاعاد موسى فتحها من جديد .

ثانيا : وبعد لقاء موسى بطارق ، فتحا معاً بالتعاون بينهما سَرَقُسْطَة وَوَشْقَة ولارِدَة وطَرَّكونَة وبَرْشَلُونَة وجِلِّيقِيَّة وقشتالة القديمة .

٥ ــ فتح موسى بن نصَير :

ثالثا : وافترق جيش المسلمين إلى قسمين : أحدهما بقيادة طارق والآخر بقيادة موسى ، ففتح موسى وحده : بلد الوليد وقلعة لُك وخينخون حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي ، ثم عاد أدراجه إلى طليطلة مع طارق في طريقهما إلى دمشق ، حيث استدعاهما الخليفة إلى دمشق .

٦ ــ فتح مغيث الرومي :

بعد أن فتح طارق مدينة إستِجَّة ، بعث سرايا من جنده إلى عدة جهات فبعث جيشاً بقيادة مغيث الرومي لفتح مدينة قُرْطُبة . فاستطاع مغيث فتح المدينة دون مشقة كبيرة .

٧ ــ فتح عبدالعزيز بن موسى بن نصَير :

وجه موسى بن نصير ابنيه عبدالعزيز وعبدالأعلى إلى جنوبي وجنوبي شرقي الأندلس ، وكان هذا بعد استعادة فتح إشْبيلية ، فاستطاع عبدالأعلى بالتعاون مع أخيه عبدالعزيز فتح مالَقَة وإلِبيرَة من جديد ، ومن الواضح أنّ طارقاً سبق له فتحهما ؛ فيبدو أنهما انتقضتا ، فاستعاد فتحهما عبد العزيز وأخوه من جديد .

ثم توجّه عبد العزيز إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد . فالتقى بالقرب من أُورِيُولَة بالدوق تُدْمِير حاكم هذه المقاطعة . فصالحه على مدن المقاطعة كلها وهي : أُورِيُولَة وبَلَانَة ولَقَنْت ومُولَة وبَسْقَرَة وإِلُة ولُورَقَة . فاستعاد المسلمون فتح مدن هذه المقاطعة صلحاً بموجب معاهده (٧٢) .

وفي الوقت الذي كان موسى وطارق يقومان بالفتح في شمالي الأندلس ، كان عبدالعزيز يقوم بفتح وسط البرتغال ، فقد فتح يَابُرَة وشَنْتَرين وقُلُمْرِيَة . وقد فتح المدينتين الأخيرتين صلحا .

٨ ـ فتح عبد الأعلى بن موسى بن نصير :

وجّه موسى بن نصير ولديه عبدالأعلى وعبدالعزيز إلى جنوبي وجنوبي شرقي الأندلس . وكان هذا بعد استعادة فتح إشْبِيلية ، فاستطاع عبدالأعلى بالتعاون مع أخيه عبدالعزيز فتح مالَقَة وإلْبِيرة من جديد ، ومن الواضح أنّ طارقاً سبق له فتح هاتين المدينتين لأول مرة . والظاهر أنهما انتقضتا ، فاستعاد عبدالأعلى وعبدالعزيز فتحهما من جديد .

٩ ـ فتح عبدالله بن موسى بن نصير :

في سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٧ م) وجّه موسى بن نصير ابنه عبدالله لفتح جزيرتي مَيُورْقَة ومَنُورْقَة . فاستطاع فتح هاتين الجزيرتين . وعاد إلى قواعده في إفريقية سالماً غانما (٧٣) .

١٠ . فتح السمح بن مالك الخولاني : فاتح شطر جنوبي فرنسة ، وبخاصة مدينة أربونة .

---

(٧٢) انظر نص المعاهدة في سيرة : عبدالعزيز بن موسى بن نصير في كتاب : قادة فتح الاندلس .

(٧٣) انظر التفاصيل في سيرة عبدالله بن موسى بن نصير في كتاب : قادة فتح الأندلس .

القـــادة وفتـــوحاتهم

التسلسل	القائد	فتوحاته	التاريخ هـ	التاريخ م	الملحوظات
١	طريف بن مالك	١ ـ جزيرة طريف ٢ ـ الجزيرة الخضراء	٩١ رمضان	٧١٠ آب ـ أيلول أغسطس سبتمبر	
٢	طارق بن زياد	١ ـ جبل طارق ٢ ـ قرطاجنة الجزيرة ٣ ـ بلدة الجزيرة الاخضراء ١ ـ شَذَونَة ٥ ـ قَرَمُونَة ٦ ـ اشبيلية ٧ ـ استَجة ٨ ـ قرطبة ٩ ـ مالَقَة ١٠ ـ إلبيرَة ١١ ـ غَرناطة	٩٢ رمضان	٧١١ م	٢ و ٣ فتحهما عبد الرحمن بن أبى عامر المعافرى ٨ . فتحها مغيث الرومى ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ ، ١٣ ، ١٤ فتحها قادة سرايا طارق .

		١٢ ـ تدمير		
		١٣ أوريولة		
		١٤ ـ مرسية		
		١٥ طليطلة		
	طارق وموسى في فتوحهما المشتركة	١ ـ سَرَقُسْطَة	٩٥	
		٢ ـ وشقة		
		٣ ـ لاردة		
		٤ ـ طَرَّكُونَة		
		٥ ـ بَرْشلُونَة		
		٦ ـ جِلِّيقِيَّة		
		٧ ـ قَشْتَالَة القديمة		
	فتح طارق وحده	١ ـ امايه	٩٥	
		٢ ـ استرقة		
		٣ ـ ليون		
٣	مُغِيث الرومى	قرطبة	٩٢	٧١١
٤	السّمح بن مالك الخولانى	شطر جنوبى فرنسة أرْبَونَة	١٠٠	

٥	موسى بن نصير	١ ـ شَذُونَة			
		٢ ـ اشبيلية			
		٣ ـ قَرْمُونَة			
	قبل لقائه بطارق	٤ ـ رَعْوَاق			
	(١)	٥ ـ ماردة			
		٦ ـ لَقَنْت			
		٧ ـ استجة			
		٨ ـ طليطلة			
	طارق وموسى في فتحهما المشترك	١ ـ سَرَقُسطَة	٩٥	٧١٤	
		٢ ـ وَشْقَة			
		٣ ـ لاردة			
		٤ ـ طَرَّكونَة			
		٥ ـ بَرْشَلُونَة			
		٦ ـ جلِّيقية			
		٧ ـ قَشْتَالَة القديمة			
	فتح موسى وحده	١ ـ بلد الوليد	٩٥	٧١٤	
		٢ ـ قلعة لك			
		٣ ـ خيخون			
		٤ ـ ساحل المحيط			
٦	فتح عبدالعزيز بن موسى بن نصير	١ ـ فتح اشبيلية (ثانية)	٩٤	٧١٣	فتح ٢ و ٣ بمعاونة أخيه عبد الأعلى بن موسى بن نصير) المدن من ٤ حتى ١٠ هي ولاية تدمير

		٢ ـ مالقَة ٣ ـ اِلبِيرَة ٤ ـ اُورِيُوكة ٥ ـ بَلاَتَة ٦ ـ لَقَنت ٧ ـ مولة ٨ ـ بسقرة ٩ ـ الة ١٠ ـ لُورقَة ١١ ـ اشبيلية ١٢ ـ مارِدَة ١٣ ـ يابُرَة ١٤ ـ شَنتَرِين ١٥ ـ قلمَرِيَة			التى فتحها عبد العزيز وصالح عليها تدمير افتح ١٤ و ١٥ صلحاً
٧	عبد الأعلى بن موسى بن نصير	١ ـ مَالقَة ٢ ـ اِلبِيرَة	٩٤ـ٩٥	٧١٣ـ٧١٤	فتح المدينتين بالتعاون مع اخيه عبد العزيز .
٨	عبدالله بن موسى بن نصير	١ ـ ميورقة ٢ ـ منورقة	٨٩	٧٠٧	جزيرتان شرقى الأندلس .

عبرة الفتح

١ ـ التوقيت :

كان عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ، يفكـّر في إقفال المسلمين من الأندلس . إذ خشِيَ تغلّب العدو عليهم (٧٤) ، ولأنقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين (٧٥) . قيل له : « إنّ المسلمين قد تكاثروا بها واستقروا » . فعدل عن مشروعه ، « قالوا : وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل ، فأنّ مصيرهم مع الكفار إلى بوار ، إلاّ أن يستنقذهم الله برحمته » (٧٦) . ويبدو أن هذه الأُمنية : « وليت الله تعالى أبقاه حتى يفعل » ، سُجِّلت بعد حدوث ما حدث في الأندلس ، أي بعد أن خسر المسلمون الأندلس ، وخسروا كثيراً من أرواحهم وأملاكهم وكثيراً مما هو أغلى من الأرواح والأملاك .

لقد عبر طارق بن زياد إلى الأندلس فاتحاً في اليوم الخامس من شهر رجب سنة اثنتين وتسعين الهجرية (نيسان ــ أبريل ــ ٧١١ م) ، واستقرّ حكم المسلمين في الأندلس ثمانية قرون ، منذ فَتْحِها بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نُصَيْر في تلك السنة . حتى سقوط غَرْنَاطة سنة سبع وتسعين وثمانمائة الهجرية (١٤٩٢ م) .

وقد مرّت الأندلس . خلال تلك القرون بعدّة عهود . تَقَلّبت خلالها بين الضعف والقوة ، وهذه العهود بأيجاز هي :

أ . عهد الفتح : الذي استمّر نحو أربع سنين : ٩٢ ــ ٩٥ هـ (٧١١م ــ ٧١٤ م) .

ب . عهد الولاة : من سنة ٩٥ هـ إلى ١٣٨ هـ (٧١٤ م ــ ٧٥٥ م) ، ويعتبر قسم من المؤرخين عهد الفَتح داخلاً في هذا العهد الذي ينتهي بقدوم

---

(٧٤) افتتاح الأندلس (١٢) .
(٧٥) أخبار مجموعة (٢٣) وفتح الأندلس (٢٤) .
(٧٦) أخبار مجموعة (٢٣) ونفح الطيب (١٥/٣) .

عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) ، وقد حكم الأندلس في هذا العهد الذي استمر نحو اثنتين وأربعين سنة ، عشرون والياً تقريباً ، كانوا تابعين للخلافة في دمشق أو لولاية الشمال الأفريقي : (إفريقية والمغرب) .

ج . عهد الأمارة : من سنة ١٣٨ هـ – ٣١٦ هـ (٧٥٥ م – ٩٢٩ م) . ويبدأ من قدوم عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس ، حتى إعلان الخلافة من قبل عبدالرحمن الناصر (الثالث) سنة ٣١٦ هـ (٩٢٩ م) ، وقد أسس عبدالرحمن الداخل إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية ، استمرت مائة وثمانٍ وسبعين سنة .

د . عهد الخلافة : من سنة ٣١٦ هـ إلى سنة ٤٠٠ هـ (٩٢٩ م – ١٠٠٩)، ويبدأ منذ إعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦م)، أو حتى الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري (بداية القرن الحادي عشر الميلادي) . فكان عمر الخلافة نحو قرن من الزمان .

هـ . عهد الطوّائف : من سنة ٤٠٠ هـ – ٤٨٤ هـ (١٠٠٩ م – ١٠٩١م). وهو عهد دول أو ملوك الطوّائف ، التي سبقت أعوام الفوضى ، وقد استمر هذا العهد نحو ثلاثة أرباع القرن ، حتى دخول الأندلس سلطان المرابطين .

و . عهد المرابطين والموحّدين : من سنة ٤٨٤ هـ – ٦٢٠ هـ (١٠٩١م – ١٢٢٣ م) حيث دخلت الأندلس اولاً في دولة المرابطين التي تنتهي في حوالي ٥٢٠ هـ (١١٣٤ م) أي أقل من نصف قرن ، وبعد مدة انضوت الأندلس لحكم الموّحدين قرابة قرن من الزمان ، ينتهي في حوالي سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م – ١٤٩٢ م) . ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين (٧٧) .

(٧٧) التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة (٣٩ – ٤٠) .

ز . مملكة غرناطة : من سنة ٦٢٠ هـ ــ ٨٩٧ هـ (١٢٢٣ ــ ١٤٩٢ م)
حيث قامت دولة بني الأحمر واستمرت ما يزيد على قرنين ونصف القرن ، حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ويمثل سقوطها نهاية الحكم الأسلامي للأندلس وذهاب السلطان السياسي منها . وبقي ملايين من المسلمين . ولكنهم تحملوا عشرات السنوات الكثير من الاضطهاد وعمليات الأفناء التي أتت عليهم في النهاية قتلاً وتشريداً وإذابة . وكادت تأتي على كل ماخلفه المسلمون بأجناسهم من إنتاج حضاري رفيع شمل مختلف الميادين (٧٨) .

٢ ــ اسباب النصر :

وكان تعداد جيش طارق بن زياد الذي عبر على رأسه من الشمال الأفريقي إلى الأندلس فاتحاً هو سبعة آلاف مجاهد ، وكان تعداد جيشه في المعركة الحاسمة التي خاضها ، فانتصر على القوط الغربيين وقتل ملك إسبانيا القوطي لذريق . اثنى عشر الف مجاهد ، تكبدوا في معركتهم الحاسمة ثلاثة آلاف شهيد(٧٩). أي ربع مجموعة القوة الأسلامية الذين قدموا فاتحين .

واندفاع طارق بهذا العدد القليل من المجاهدين لفتح بلاد واسعة بالتغلب على دولة القوط القائمة لم يكن نزهة من النزهات الترفيهية التي تخلو من الأخطار والمعضلات الجسام ، وانتصار طارق على القوط وفتح الأندلس ليس لأن القوط كانوا ضعفاء في جيشهم وقيادتهم ، كما يحاول أن يزعم المستشرقون ويتابعهم عليها المستغربون ، فالعكس هو الصحيح ، لأن تقاليد القوط العسكرية وشجاعتهم معروفة حتى اليوم ، كما أنَّ لذريق ملك الأندلس كان من أبرز قادتهم وأكثرهم كفاية كما يقرر ذلك مؤرخو الأسبان المحدثون . حتى جعلوا منه بطلاً قوميا . كما أن ضعف أمة من الأمم لا يتيح الفرصة لغيرها

(٧٨) تاريخ الأندلس من الفتح الأسلامي حتى سقوط غرناطة (٤٠) .
(٧٩) استفتاح الأندلس (٢٢٢) وأخبار مجموعة (٧) وتاريخ الأندلس (٤٧) ونفح الطيب (٢٥٨/١) .

أن تكون قوية متماسكة بدون مسوغ ، وما انتصر طارق ومن معه من المسلمين الفاتحين إلاّ لأنهم كانوا مجاهدين صادقين ، قاتلوا قتال أهل العقيدة الراسخة التي جعلت الجهاد فرضاً وجعلت الشهيد حيّاً عند الله يرزق في الجنّة في درجات رفيعة من درجاتها ، كما أن طارقاً قائداً والمسلمين المجاهدين جنوداً ، كانوا يشعرون أنهم ليسوا وحدهم في الميدان ، بل هم في ضمان الأسلام ديناً والمسلمين أمة لا يمكن أن يتخلى عنهم المسلمون أبداً ، فهم في ضمان المسلمين كافة وفي رعاية الله . لذلك كان إقدامهم فذاً عجيبا ، وانتصاراتهم مذهلة مدهشة . بكل المقاييس العسكرية المعروفة .

هذا هو سبب انتصار طارق ورجاله : انتصروا بالأسلام والمسلمين ، فما ينبغي أن ننكر هذا السبب في دراستنا ، مجاملة لأعداء العرب والمسلمين ، أو خشية من أحد . لأن الحق أحق أن يُتبع وأن يُدون وأن يصرّح به وأن يُدافع عنه .

ومن المعلوم . أن الجيش الذي يقاتل في ساحة من ساحات العمليات ، وهو يعلم علم اليقين . أن مصيره جماعات وأفراداً ، لا يهم ذوي قرباهم من المسلمين حسب ، بل يهمّ المسلمين كافة في أرجاء الوطن الأسلامي ، من الخليفة المسؤول الأول في المسلمين ، إلى أصغر فرد من أفراد المسلمين ، وأن مصيره لا يغيب عن أذهان المسلمين كافةً ، كما لا يغيب عن أذهان أهليهم الأقربين ، هذا الجيش الذي يقاتل بضمان المسلمين جميعاً ، ليس كالجيش الذي يقاتل بدون ضمان ولا تضامن . فالأول يقاتل بمعنويات عالية جداً تتناسب مع ضمان المسلمين له وتضامنهم معه . والثاني يقاتل بمعنويات منهارة ، لأن مصيره ليس موضع اهتمام أحد من المسؤولين وغير المسؤولين . كالشجرة بدون جذور . أو كالبناء بدون أسُس ، تنهار الشجرة وينهار البناء اليوم أو غدا ، ولا يقاوم العواصف والهزات .

وكان للفتوحات الأسلامية بدون استثناء حافزان لا ثالث لهما : الأول هو الحافز الديني ، المتمثل بالجهاد والدعوة إلى الله ، فقد كانت الفتوحات فتوحات عقيدة . أما الحافز الثاني فهو حافز عسكري ، وهو الدفاع عن البلاد المفتوحة ، بفتح البلاد التي يكمن فيها أي خطر على مصير تلك البلاد ، فكان فتح الأندلس هو لحماية شمالي إفريقية من خطر يتهددها من الأندلس في الحاضر أو المستقبل ، حتى لا تصبح قاعدة للعدو ينطلق منها لتهديد الشمال الأفريقي . وقد ثبتت سَبْتَة أمام المسلمين بمعاونة من ملك الأندلس في حينه كما هو معروف (٨٠) .

أما ما يردده المستشرقون ويصدّقه المستغربون من أن : إسبانيا في السنوات الأخيرة التي سبقت الفتح العربي ، عانت من الفوضى والارتباك في الدولة القوطيّة ، نتيجة اغتصاب العرش من قبل لذريق ، حيث واجه وضعاً داخلياً سيئاً للغاية ، فقد كانت الدولة بحاجة ماسة إلى الأموال ، للقضاء على الفتن وحركات التمرد المعادية ، لاسيما في منطقة الباسك . هذا فقد استولى لذريق على خزائن أسلافه في كنيستي سان بيدرو (San Pedro) وسان بابلو (San Pablo) في طليطلة ، مما سبب استياء رجال الدين . ويمكن القول بشكل عام ، إنّ إسبانيا ، كانت تعاني من مشاكل سياسية واجتماعية كبيرة قُبيل مجيء العرب إليها ، وإن جيشها لم يكن بحالة تسمح له بالوقوف أمام الجيش العربي الأسلامي » (٨١) . ومثل هذه التخرصيات لا يصدقها أحد ، لأن لذريق كان من أقوى قادة القوط وأقدرهم ، وقد قضى على التخلف والانحلال باستيلائه على السلطة الضعيفة . كما أن ضعف دولة من الدول ، لا تتيح الفرصة

(٨٠) سيرد تفصيل ذلك في سيرة طارق بن زياد ، كما ورد في سيرة موسى بن نصير ، انظر قادة فتح المغرب (٢٣٦/١) .

(٨١) E. Saavedra, Estudio Sobre la invasion - de los Arobes en Espana, Madrid, 1892, PP. 40 - 43.

لغيرها من الدول أن تكون قوية وقادرة على الفتح . وما كان العرب ولا غيرهم من المسلمين كالبربر يطمعون بحماية أنفسهم من القوط قبل أن يصبح البربر مسلمين ، فأصبحوا قوة قادرة بالأسلام وبروح الجهاد الذي بعثه الأسلام في نفوسهم . فأذا كان المستشرقون بروحهم الصليبية والصهيونية يهدفون إلى التقليل من شأن أثر الأسلام في الفتوح والنصر ، لأسباب لا يجهلها أحد ، فما ينبغي للعربي المسلم أن يردد مزاعم الصليبيين والصهاينة ، لأنها مزاعم مغرضة أولاً وخاطئة ثانياً وغير واقعية ثالثاً ، ولا تستقيم مع مناهج البحث العلمي رابعاً وأخيرا ، والعربي المسلم أحرى بالدفاع عن أمته بالحق ، ولا نريد من أحد أن يدافع عن أمته بغير الحق .

المصطلح النقدي

الدكتور احمد مطلوب
عضـو المجمع
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

المصطلح :

المصطلح مهم في تحصيل العلوم لانه يحدد قصد الباحث أو المجادل أو المتحدث ، وكان السلف الصالح يعنون به كثيراً ، قال التهانوي : « ان اكثر ما يحتاج به في العلوم المدونة والفنون المروجة الى الاساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فان لكل علـم اصطلاحاً به اذا لم يُعلم بذلك لايتيسر للشارع فيـه الى الاهتداء سبيلا ولا الى فهمه دليلا » (١) . وحدد طريق علمه بوسيلتين :

الأولى : الرجوع الى اساتذة العلم .

الثانية : الرجوع الى الكتب التي جمعت فيها اللغات المصطلحة .

والمصطلح او الاصطلاح « هو العرف الخاص ، وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع شيْ » . والاصطلاحي هو «ما يتعلق بالاصطلاح ويقابله اللغوي» (٢) .

ولايخرج اللغويون والباحثون عن هذا المعنى ، قال الشريف الجرجاني : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيْ باسم ما ينقل عن موضعه الأول (٣) » وقال أبو البقاء الكفوي : « الاصطلاح : هو اتفاق القوم على وضع الشيْ ، وقيل : اخراج الشيْ عن المعنى اللغوي الى معنى آخر لبيان المراد»(٤).

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ١ . وفي الاصل : الى انفهامه دليلا ..
(٢) البستان ج ١ ص ١٣٤٩ .
(٣) التعريفات ص ٢٨ .
(٤) الكليات ج ١ ص ٢٠١ .

وقال الزبيدي : « الاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص » (٥) .
وقال مصطفى الشهابي : « هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية » (٦) وقال : « والاصطلاح يجعل إذن للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية » . ثم قال : « والمصطلحات لا توجد ارتجالاً ولا بدّ في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي » .

وقال : « ومن الواضح ان اتفاق العلماء على المصطلح العلمي شرط لاغنى عنه ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد اكثر من لفظة اصطلاحية واحدة واختلاف المصطلحات العلمية في البلاد العربية داء من أدواء لغتنا الضادية » .

وقال الدكتور علي القاسمي : « المصطلح كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمي مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما » (٧) .

فشروط المصطلح كما يتبين من هذه التحديدات هي :

١ ــ اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢ ــ اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الاولى .

٣ ــ وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي .

٤ ــ الإكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد

ولخص الدكتور علي القاسمي صفة المصطلح الجيد بشرطين هما :

الأول : تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل .

الثاني : عدم تمثيل المفهوم او الشيء الواحد باكثر من مصطلح واحد (٨) .

---

(٥) تاج العروس ج ٢ ص ١٨٣ (مادة صلح ــ المستدرك) .
(٦) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ٦ .
(٧) مقدمة في علم المصطلح ص ٢١٥ .
(٨) المصدر نفسه ص ٦٨ .

وهذان الشرطان ربما لايتحققان في كثير من المصطلحات، فهناك مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء ، وهناك اكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد . ويرجع ذلك الى تعدد واضعي المصطلح والاختلاف في الترجمة ، وهذا من مشكلات المصطلح في الوطن العربي ، ولا بدّ من أن يبذل اتحاد المجامع العربية جهداً كبيراً لتوحيد المصطلحات أو تقريبها ليصدر الباحثون والمترجمون عن منهج واحد في وضع المصطلحات .

الاهتمام بالمصطلح :

بذل العرب جهدا كبيراً في وضع المصطلح بعد أن اتسعت العلوم وتنوعت الفنون وتقدمت الحياة . وأول المصطلحات العربية ما جاء في القرآن الكريم ، وكان لكثير منها معنى لغوي فنقلت من معناها الأول الى المعنى الجديد . وكانت الحقيقة الشرعية (٩) من أسباب نمو اللغة وفتح باب تطور الدلالة وانتقال الألفاظ من معنى الى آخر يقتضيه الشرع وتتطلبه الحياة الجديدة . وكان المتكلمون أول من اهتم بالمصطلحات ، قال الجاحظ عنهم : « وهم تخيروا تلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهذية والهوية والماهية (١٠) وأشباه ذلك » (١١) . وذكر وضع علماء العروض والنحاة واصحاب الحساب لمصطلحاتهم فقال : «وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأراجيز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الالقاب وتلك الأوزان بتلك الاسماء

(٩) الحقيقة الشرعية : هي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي ، وهي قسمان : أسماء شرعية كالصلاة والزكاة واسماء دينية كمسلم وكافر .
(ينظر فنون بلاغية ص ٨٣) .

(١٠) نسبه الى : هذا ، وهو ، وما هو ؟ .

(١١) البيان والتبيين . ج١ ص ١٣٩ .

كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد والأسباب والخرم والزحاف » . ثم قال : « وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو ، وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا اسماءاً جعلوها علامات للتفاهم » .

وتحدث الجاحظ عن التحول الذي طرأ على الألفاظ بظهور الاسلام وأشار الى ترك الناس لالفاظ كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج « أتاوة » وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « الحملان » و « المكس » ، والى استحداثهم ألفاظا لم تكن وانما اشتقت من أسماء او ألفاظ متقدمة على التشبيه والمجاز مثل قولهم لمن ادرك الاسلام « مخضرم » وللأرض التي لم تحفر ولم تحرث إذا فعل بها ذلك « مظلومة » ولمن راءى بالاسلام واستسر بالكفر « المنافق » ولمن لم يحج إما لعجز واما لتضييع وإما لانكار « الصرورة » (١٢) .

واسعت حركة وضع المصطلحات والألفاظ الجديدة باتساع الحياة وتقدم الحركة الفكرية . وقد نجح السلف في ذلك كل النجاح واستطاعوا أن يستوعبوا العلوم والفنون ولولا ما أصابهم من انتكاسات لظل العلماء يرفدون الفكر بكل جديد بديع . وخيمت الغيوم على الوطن العربي قرونا وحينما أراد الله لنا أن تتبدد بدأ العرب في أواخر القرن الماضي يبنون حاضراً مجيدا ويقيمون حضارة جديدة .

---

(١٢) ينظر الحيوان ج١ ص ٣٢٧–٣٣٦ ، ص ٣٤٧–٣٤٨ . كانت لفظة الصرروة قبل الاسلامتطلق على ارفع الناس في مراتب العبادة ، قال الشاعر :

لو انها عرضت لاشمط راهب
عبدالاله صرورة متبتل
لدنا لبهجتها وحسن حديثها
ولهمّ من تاموره بتأمل

التامور : النفس ، دم القلب . وتأتي بمعنى الابريق والخمر .

وكان للمجامع العلمية واللغوية في الوطن العربي أثر في الحركة العلمية التي أخذت تمد العرب بما يحيي المجد التالد ويبني الحاضر الزاهر . وقد عنيت تلك المجامع اول ما عنيت بالمصطلحات لانها مفتاح العلوم والفنون وكان لمجمع دمشق ومجمع القاهرة فضل عظيم ، وكان للمجمع العلمي العراقي يد لا تنكر في الاهتمام بالمصطلحات وقد بذل جهداً كبيراً في وضعها إذ ألف منذ عام ١٩٤٨ لجانا لوضع مصطلحات لما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها او تدقيق المصطلحات واقرارها ، وأصدر كثيراً من المجموعات التي تضم مصطلحات في علوم مختلفة ونشرها في مجلته او في كراسات . وأصبحت هذه المصطلحات العمدة في تعريب العلوم ، وقد نصت المادة التاسعة من « قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » رقم (٦٤) لسنة ١٩٧٧ على أن « يكون المجمع العلمي العراقي المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الأجهزة المعنيـة الرجـوع اليه بشأنها » . ومعنى ذلك ان العبء كبير على المجمع وانه مسؤول عن سلامة اللغة العربية ووضع المصطلحات العلمية والفنية .

ووضع المجمع بعض القـواعد العـامة لوضع المصطلح وآخـر ما أصدرته لجنة اللغة العربية هذه القواعد :

١ــ مراعاة المماثلة او المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة واصطلاحا لادنى ملابسة .

٢ ــ الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد .

٣ ــ تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد .

٤ ــ التزام ما استعمل او ما استقر قديما من مصطلحات علمية وعربية وهو صالح للاستعمال الجديد .

٥ ــ تجنب المصطلحات الأجنبية .

٦ ــ ايثار اللفظة المأهولة على اللفظة النافرة الوحشية او الصعبة النطق .

٧ — لا يشتق من المصطلح إلا بقرار هيئة علمية مختصة بوضع المصطلحات .

٨ — ايثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب او العبارة لتسهل النسبة والاضافة ونحو ذلك .

٩ — تجنب الالفاظ العامية .

١٠— تفضيل مصطلحات التراث العلمي على المولدات والمحدثات

١١— يُلجأ الى ترجمة المصطلح الأجنبيّ عند ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي .

١٢— تجنب تعريب المصطلحات الأجنبية إلا اذا تعذر العثور على لفظ عربي ملائم .

١٣— ترى اللجنة أن يراعى في استعمال الالفاظ الاعجمية ما يأتي :

أ — يُرجَّح أسهل نطق في رسم الالفاظ المعرَّبة عند اختلاف نطقها باللغات الاعجمية .

ب — احداث بعض التغيير في نطق المصطلح المعرب ورسمه ليتسق مع المنطق العربي .

١٤— تجنب استعمال السوابق واللواحق الأجنبية لان اللغة العربية لغة اشتقاقية وليست إلصاقية،ووجوب اعتماد الأساليب العربية في وضع المصطلحات .

١٥— يستعمل كل لفظ من الالفاظ المترادفة في معناه الخاص في المصطلحات العلمية . لان الترادف كثيرا ما يكون أوصافا للأشياء لا يراد بها المطابقة التامة في المعنى إذ يلحظ ان لكل لفظ معنى خاصا يختلف عن سـواه ولو شيئا قليلا فيمكن أخذه واستعماله ولو بطريق المجاز . وكذلك تمكن الاستفادة من المترادفات التي لا تلحظ فيها الوصفية يخص بها كل منها بمصطلح علمي خاص .

ووضعت اللجنة قرار النحت وهـو « عـدم جواز النحت إلّا عند عدم العثور على لفظ عربي قديم واستنفاد وسائل تنمية اللغة من اشتقاق

ومجاز واستعارة لغوية وترجمة على أن تلجيء اليه ضرورة قصوى،وأن يراعى في اللفظ المنحوت الذوق العربي وعـدم اللبس » .

ولا تخرج هذه القواعد عما وضعته المجامع العربيـة ، وماأقرته ندوة « توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجـديدة » التي نظمها مكتب تنسيق التعريب بالرباط في شباط ١٩٨١ ، واشترك فيها ممثلو المجامع العربية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربي (١٣) .

ولم تكن العناية بمصطلحات اللسانيات والنقد والبلاغة كبيرة في المجامع العربية لانها اتجهت منذ قيامها الى متابعة التقدم العلمي في الغرب ووضع المصطلحات ، وقد وفقت وحاولت أن تلحق بالعلم وتقيد مصطلحاته . ولعل عناية المجامع بالفاظ الحضارة كانت اوسع مدى لانها تتصل بحياة الناس ، وقد يرجع اهمالها للمصطلحات النقدية الى :

١ ـ ان النقد العربي مصطلحات كثيرة ، وان الأدباء والباحثين قادرون على ان يأخذوا مصطلحاتهم من القـديم .

٢ ـ ان النقد الأدبي ليس مما يؤثر في اللغة وانجاهاتها كما تؤثر العلوم المستحدثة ومصطلحاتها . ولذلك لم تكن هناك خشية من المصطلح الأجنبي او المعرب ما داما قليلين .

٣ ـ ان الأدباء والمؤلفين شرعوا في وضع المصطلحات النقدية منذ عهد مبكر ، واتفقوا على كثير منها وشاع استعماله بين الناس .

٤ ـ انالنقد ليس مما يتصل بالتقدم العلمي الذي يشهده العالم وأن الحياة الجديدة تفرض الاهتمام بالعلوم . وقـد أدت هذه النظرة الى اهمال الدراسات الانسانية وتعثرها في كثير من الأحيـان .

---

(١٣) تنظر هذه الأسس في مقدمة علم المصطلح ص ١٠٧ ـ ١١٢ .

إن المصطلح النقدي مهم ولابد من الوقوف عليه ووضع حد للفوضى التي تسود كثيراً من المصطلحات والدراسات . ولعل المجامع العربية توليه عناية وتصدر قراراتها بتوحيده وتيسيره للباحثين والمترجمين .

لا مشـاحة في المصطلح :

زادت العناية بالمصطلحات بعد أن تنوعت العلوم وكثرت الفنون . وكان لابدّ للعرب من أن يضعوا لما يستجد مصطلحات مستعينين بوسائل أهمها : الوضع والقياس والاشتقاق والترجمة والمجاز والتوليد والتعريب والنحت (١٤) وكانت هذه الوسائل سبباً في اتساع قدرة اللغة العربية واستيعابها للعلوم والآداب والفنون ، وقد بذل السلف جهدا محموداً في وضع المصطلحات ، وكان الأساس في المصطلح ان يتفق عليه اثنان او اكثر ، وان يستعمل في علم أو فن بعينه ليكون واضح الدلالة مؤديا المعنى الذي يريده الواضعون . ولم يروا بأسا في ان يضع المؤلف مصطلحه فيشيع او يهمل إذ « لا مشاحة في الاصطلاحات » قال قدامة بن جعفر وهو يتحدث عن نقد الشعر : « فاني لما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءاً تدل عليها احتجت ان أضع لما يظهر من ذلك اسماءاً اخترعتها ، وقد فعلت ذلك . والاسماء لا منازعة فيها إذ كانت علامات . فان قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبَى ما وضعته منها ما أحب فليس ينازع في ذلك»(١٥) وقال ابن وهب الكاتب : « وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسما مما لم تكن تعرفه . فمنه ما سموه باسم من عندهم كتسميتهم الباب في المساحة « بابا » والجريب « جريبا » والعشير « عشيراً » . ومنه ما عربته وكان أصل اسمه أعجميا » . ثم قال : « وكل من استخرج علما واستنبط شيئا وأراد أن يضع له اسما من عنده ويواطيء من يخرجه اليه عليه فله أن يفعل . ومن

(١٤) للتفصيل ينظر دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات العربية ص ٦٩ ـ ٨٩ .

(١٥) نقد الشعر ص ٢٢ .

هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحال والزمان والمصدر والتمييز والتبرية ، وأخرج الخليل لغات العروض فسمى بعض ذلك الطويل وبعضه المديد وبعضه الهزج وبعضه الرجز . وقد ذكر ارسطاطاليس ذلك وقال : انه مطلق لكل أحد يحتاج الى تسمية شيء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء . وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيـه وليس مما ينفردون به » (١٦) . وقال حازم القرطاجني : « ولا تَشاحَّ في الالفاظ كما انه لا حرج على من عدل عما تقتضيه تلك الأسامي في المسميات إذا أراد الافصاح عن جهات مشابهاتها لما نقلت اليها منه التسمية والتمثيل الصحيح في ذلك » (١٧) .

وأدت هذه الحرية الى :

١ ــ تعدد المصطلح للدلالة على شيء واحد ، ومن ذلك « الالتفات » فقد سماه ابن وهب « الصرف » وسماه أسامة بن منقذ « الانصراف » وسماه قوم « الاعتراض » (١٨) .

٢ ــ اختلاف دلالة المصطلح فقد ذهب قدامة الى أن « المطابق » هو « ما يشترك في لفظة واحدة بعينها » (١٩) مثل :

ونبئتهم يستنصرون بكاهل وللؤم فيهم كاهل وسـنام

وهذا هو «التجنيس» عند الآخرين .

٣ــ اطلاق مصطلح واحد للدلالة على عدة أشياء . ومن ذلك مصطلح « الاجازة » فهو « ان تتم مصراع غيرك » وهو « أن يكون الحرف الذي يلي حرف الروي مضموماً ثم يكسر او يفتح ويكون حرف الروي مقيداً » وهو « ان تكون القافية طاءاً والأخرى دالا » (٢٠) .

---

(١٦) البرهان في وجوه البيان ص ١٥٨ ــ ١٥٩ .
(١٧) منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٢٥٢ .
(١٨) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج١ ص ٢٩٦ .
(١٩) نقد الشعر ص ١٨٥ ، وينظر معجم المصطلحات ج٢ ص ٥٣ وما بعدها .
(٢٠) ينظر معجم المصطلحات ج١ ص ٥٠ .

٤ — وضع مصطلح لما يستجد من فنون بلاغية ونقدية ولولا تلك الحرية لتوقفت الدراسات . وقد احصى ابن المعتز ثمانية عشر مصطلحا خمسة منها سماها « البديع » وهي : الاستعارة ، والتجنيس . والمطابقة . ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي . وثلاثة عشر سماها محاسن الكلام .

وزاد عليها قدامة بن جعفر وأبو هلال العسكري ، وظلت المصطلحات تزيد حتى وصلت الى المئات . ولولا حرية الوضع ما كثرت المصطلحات وتشعبت الدراسات ونمت اللغة العربية واصبحت قادرة على استيعاب الجديد بما فيها من قدرة على التوليد والمجاز والاشتقاق .

وضــع المصطلح :

وضع المصطلح مباح للعلماء ومطلق لكل من احتاج الى تسمية شيء ليعرف به . ولم يحدد الجاحظ وقدامة وابن وهب والقرطاجني أنواع ذلك الوضع بدقة ووضوح وان كان كلامهم يومىء الى بعض الوسائل هي :

١ — اختراع اسمــــاء لما لم يكن معروفا كما فعـــل المتكلمون ، والنحويون ، وأصحاب العروض والحساب .

٢ — اطلاق الالفاظ القديمة للدلالة على المعاني الجديدة على سبيل التشبيه والمجاز كما في الاسماء الشرعية والاسماء الدينية (٢١) وغيرها مما استجد بعد الاسلام من علوم وفنون وآداب .

٣ — التعريب وهو نقل الالفاظ الأجنبية الى العربية باحدى الوسائل المعروفة عند النحاة واللغويين .

---

(٢١) تقسم الحقيقة الشرعية الى :
١ — اسماء شرعية وهي التي لا تفيد مدحا ولا ذما عند اطلاقها كالصلاة والزكاة والحج وسائر الاسماء الشرعية .
٢ — اسماء دينية وهي التي تفيد مدحا أو ذما نحو مسلم ومؤمن وكافر وفاسق . (ينظر فنون بلاغية ص ٨٣) .

وهذه من الوسائل التي لايزال العاملون في حقل اللغة والعلوم يلجأون اليها وهي : الوضع والقياس والاشتقاق والترجمة والمجاز والتوليد والتعريب والنحت. ووقف العلماء من التعريب موقف الحذر وقال اكثرهم انه لايؤخذ به إلا عند الضرورة القصوى خشية أن تضيع اللغة العربية في غمرة الدخيل . وكان العرب قد لجأوا اليه في أول عهدهم بنقل العلوم والتأليف ليسدوا حاجة عرضت لهم فقالوا : الأرثماطيقي والفيزيقي وقاطيغورياس واسقطس للحساب والطبيعة والمقولات والعنصر ، وقالوا : البوطيقا والريطوريقا والقوميذيا والطراغوذيا للشعر والخطابة والملهاة والمأساة . وسبب ذلك ضعف المترجمين الذين كان اكثرهم لايحسن العربية ، ولكن الحالة تغيرت بعد أن ازدهرت حركة الترجمة واتسعت آفاقها وظهر من له معرفة باللغة العربية وغيرها من اللغات ، وأصبحت الكتب العربية تحفل بالمصطلحات العربية الأصيلة ولاسيما كتب الفقه وعلوم اللغة التي نشأت في رحاب الفكر العربي الاسلامي . أما غيرها من العلوم الأجنبية فقد كان الطابع العربي واضحا عليها وإن دخل فيها شيء من اللفظ الأجنبي الذي لم ير المعرّبون بدّاً من ادخاله في كتبهم بعد أن ضاقت بهم السبل في تلك العهود .

لقد كانت وسائل وضع المصطلح واضحة ، وفي اللغة العربية طاقة كبيرة لمن يعرف استخدامها وباب القياس والاشتقاق والمجاز واسع ، ولذلك لاينبغي الأخذ بالتعريب إلّا عند الضرورة القصوى لان فتح الباب أمامه يعني اشاعة الدخيل والقضاء على فاعلية اللغة العربية . ولم ينزع العرب الى التعريب إلّا مكرهين ، قال اسماعيل مظهر : « إن العربي لم ينزع الى التعريب إلّا مكرهاً ، بدليل القلة النادرة التي نأنسها فيما ورد من الالفاظ المعربة مقيسة على الالفاظ العربية السليمة » (٢٢) . ثم قال : « اننا في حاجة الى التعريب ولكن بقصد وبقدر معلوم على أن نتقيد في التعريب بقواعد أخصها أن يكون المعرّب على

(٢٢) تجديد العربية ص ٨ .

وزن عربي من الأوزان القياسية أو السماعية حتى يلائم جرسه جرس الكلمات العربية فلا يُحِسّ منه العربي نفورا أو يجد فيه تنافراً مع ما تلقى من صيغ لغته الكريمة . كذلك ينبغي أن نعرف ان التعريب انما تدعونا اليه ضرورة قصوى يقف عندها جهدنا في البحث والاستقصاء وتقليب أساليب اللغة على وجوهها المستطاعة » (٢٣) .

فالنزعة الى التعريب دعتها الضرورة القصوى ، وجاءت معظم الألفاظ مقيسة على الأبنية العربية السليمة . واذا ما عرّبنا في هذا العهد فينبغي مراعاة :

١ — الاقتصاد في التعريب .

٢ — ان يكون المعرب على وزن عربي من الاوزان القياسية أو السماعية .

٣ — ان يلائم جرس المعرب الذوق العربي وجرس اللفظ العربي .

٤ — أن لا يكون نافراً عما تألفه اللغة العربية .

وهذا رأي سليم ينبغي الأخذ به عند اقتضاء الحاجة وهو ماسارت عليه المجامع العربية . ومن قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة « يجيز المجمع أن يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية — عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم » و « يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلّا اذا اشتهر المعرب » و « ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب » (٢٤) . وهذه القرارات الثلاثة تصون العربية من الدخيل ولا تسدّ الطريق ، ولو أخذ بها الباحثون والمترجمون والأدباء لصانوا لغتهم ومنعوا تسرب الالفاظ الأجنبية الى اللغة العربية . وما زال كثير منهم يقول : دراما وتراجيدي وكوميدي وثيمه ، على الرغم من أنهـا من الألفاظ التي لهـا مقابل في العربية . وقـد أدى اصرار بعضهم الى أن تشيع الفاظ أجنبية لتكون تحلية لكتاباتهم أو دليلاً على

(٢٣) تجديد العربية ص ٩ — ١٠ .

(٢٤) مجموعة القرارات العلمية ص ٨٢ — ٨٥ .

معرفتهم لها وما هكذا تصون الأمم كيانها وتحافظ على لغاتها . ولم يكن هؤلاء وحدهم يتخذون هذا الموقف وانما سبقهم اليه بعض علماء العربية كالشيخ عبد القــادر المغربي الذي كان من أشــد الناس تحمسا للتعريب ، وكان يراه طبيعيا في العربية وغيرها من اللغات لان المعرب لايحط من قدر فصاحة الكلام وانه ليس عملاً بدعا وليس وجوده في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضرُّ بقاؤه وتجب ازالته . والتعريب تحويل طبيعي أو تغيير تدريجي يطرأ على اللغة ويجري بها في ناموس مطرد ، وقد خضعت له اللغة العربية ومن أول نشأتها كما تخضع لـه الآن وبعد الآن . وتعريب الكلمات الأعجمية في اللغة بمثابة حركة الاستمرار أي انه عمل قام به واضعو اللغة أنفسهم مضطرين اليه بسائق طبيعي في أول عهد الوضع ، ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه وليس هو مما حدث فينا أو اصطلحنا عليه ولم يعــرفه الواضعــون الأولون (٢٥) . وقال : « لايشترط في التعريب أن يحصل على لسان طبقة خاصة من العرب أو من رجال معينين منهم بل هو شائع بينهم يتناوله كل واحد منهم . ولو قلت إن التعريب من وظائف عامة الناس وذوي التجارات والصنائع منهم لاخاصتهم وذوي الشأن منهم لما كنت مجازفاً أو مباعدا » (٢٦) . ويرى أن يرسل الى أصحاب الصناعات والحرف والتجار ليستفهم منهم عن اسم كل أداة أو آلة أو أي شيء ثم يدون كل ذلك ويثبت في كتب اللغة كما أثبتت سائر كلماتها العربية والمعربة المنقولة عن العرب أنفسهم لاننا « إن لم نرجع في هـذه الكلمات الدخيلة الى أصحاب الشأن بل رجعنا الى مواضعات الخاصة وهم متعددون متشاكسون ــ تعددت الاسماء واضطرب أمر اللغة وكانت العاقبة الى الخيبة » (٢٧) . ولا يشترط في المعرب أن يأتي على

(٢٥) الاشتقاق والتعريب ص ١٦ ــ ١٨ .
(٢٦) الاشتقاق والتعريب ص ٢٥ .
(٢٧) الاشتقاق والتعريب ص ٢٦ .

أوزان العرب قال : « فرتب الكلم إذن عند سيبويه عربية ومعربة ، ومدار التعريب عنده على الاستعمال وحده ، وقد ذهب مذهبه عامة أهل اللغة فصرحوا بانه لايلزم في المعربات أن تجري على أمثلة الاوزان العربية بل ان جاءت فحسن لتكون مع اقحامها على العربية شبيهة باوزانها ، وقد يتفق أن تخير العرب الاسماء الاعجمية التي تعربها تغييراً لايكون معه الحاق باوزانها ومناهج كلامها » ثم قال : « على اننا مهما استحسنا رأي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعربة الى مناهج اللغة وأوزانها ينبغي أن نقف من تسامحه عند حد محدود وإلّا تكاثرت الكلمات الاعجمية ذات الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى وخرجت على تمادي الأيام بذلك عن صورتها وشكلها وعادت لغة خلاسية لاعربية ولاأعجمية كاللغة المالطية أو كسائر اللغات العربية العامية في مختلف الاقطار الاسلامية » (٢٨) . وقال : « إذا لم نعن بالتعريب ونفسح مجالا للمعربات على اسلات ألسنتنا وأسنان أقلامنا كنا عاملين على إماتة اللغة أو وقوف نموها » (٢٩) .

لقد كان المغربي من دعاة التعريب وان احتاط بعض الاحتياط وكان يستعمل المعرب والدخيل في مقالاته فيتعرض لتعقيب العلماء ، وكان يقول : « لا أرى رأيهم في أن القليل من هذه الكلمات يفسد المقال الطويل بعد أن تتوفر فيه سائر صفات الحسن . وكان يحتدم الجدال بيني وبينهم حتى تخطى الجدل القول الى الكتابة في الصحف . وكنت اكتب في المؤيد ردوداً احتج بها لنفسي » (٣٠) . وهذا موقف يدل على صرامة الشيخ ولا مبرر له في المقالات الصحفية والأدبية لأنّ في اللغة العربية متسعا من القول وكثيراً من الالفاظ التي تدل على المعاني المقصودة . وقد تكون الحاجة الى المعرب في

(٢٨) الاشتقاق والتعريب ص ٤٣ — ٤٤ .
(٢٩) الاشتقاق والتعريب ص ٥٤ .
(٣٠) الاشتقاق والتعريب ص ١ .

لغة العلم أكثر منها في المقالات الصحفية والدراسات الانسانية ، ولعل ظهور الشيخ في مرحلة الانتقال واصطراع الأفكار دفعه الى التشبث بالمعربات وادخالها في مقالاته وكتبه مما أثار عليه حفيظة الحريصين على سلامة اللغة العربية .

هذان رأيان في التعريب فما موقفنا بعد الموجة العاتية التي ارتطمت بها اللغة العربية منذ اتصال العرب بالغرب ؟ .

نحن لا ننكر المعرب ولا نرفضه كل الرفض ؛ لأنّ العرب عرفوه وأدخلوه في لغتهم ، ولان الحاجة اشتدت اليه بعد أن اتصلوا بالثقافات المختلفة . ولم يكن في وسعهم أول الأمر أن يضعوا ألفاظاً عربية للمصطلحات الأجنبية أو انهم استساغوا اللفظ الأجنبي واستحسنوه . وكان بعض الشعراء يستعير الكلمة من كلام العجم للقافية ، وقد ذكر أبو حاتم « أن رؤبة بن العجاج والفصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للقافية لتستطرف » (٣١). ولكن اللغويين رفضوا شعر من أدخل الأعجمي في شعره كالطرماح الذي ذكر أبو عمرو بن العلاء انه رآه في سواد الكوفة وهو يكتب ألفاظ النبيط ويتعلمها ليدخلها في شعره ولما قيل له : ماتصنع بهذه ؟ قال : أعربها فأدخلها في شعري (٣٢) . ولم يجوز اللغويون والنحاة — حرصا على سلامة اللغة العربية ونقائها — الاستشهاد بالبيت الذي لايعرف قائله ولم يتخذوه حجة ، قال ابن الانباري عن أحد الأبيات : « إن هذا البيت غير معروف ولا يعرف قائله فلا يكون حجة » (٣٣) . ونحن — على الرغم من حرصنا على اللغة — لا

---

(٣١) المعرب ص ٩ .

(٣٢) الموشح ص ٣٢٥ وينظر العربية ص ٣٧ وحركة التعريب في العراق ص ٦٠ . ومن الجدير بالذكر ان الدكتور عزة حسن حقق هذه المسألة في مقدمة ديوان الطرماح ولم يجد شيئا من الفاظ النبط ، ولو كان ما قيل عن الطرماح صحيحاً ما استشهد اللغويون بشعره . (ينظر ديوان الطرماح ص ٣٧) .

(٣٣) الانصاف في مسائل الخلاف ص ٣٤٢ .

نحجر على الأخذ بالمعرب إذا اقتضت الضرورة القصوى مؤيدين في ذلك ما ذهب اليه مجمع القاهرة والمجامع العربية الأخرى ، ولا ندعو في الوقت نفسه الى الانفتاح من غير قيد على اللغات الأجنبية — ولا سيما في مصطلحات الأدب ونقده — لئلا تفسد العربية وتضيع في غمرة الدخيل كما حدث في هذا العهد حيث تدفقت آلاف المصطلحات في كل علم وفن ولم يكن أمام المخلصين الحريصين على اللغة العربية إلا أن يتخذوا الوسائل لوضع المصطلحات العلمية والفنية وأن يعربوا قسما منها أو يدخلوه بصيغته الأجنبية . وكان الأدب ونقده من تلك الفنون التي ارتطمت بمشكلة المصطلح ، وقد بذل العلماء العرب جهداً عظيماً لحل هذه المشكلة ، وكان للرواد في القرن الماضي فضل لاينكر . وعلى الرغم من الجهد المتواصل في هذا القرن لا تزال كثير من المصطلحات الأدبية والنقدية أجنبية وهي تزداد بتقدم الزمن ، ونظرة عابرة في كتاب « المصطلح في الأدب الغربي » الذي صدرت طبعتهُ الثانية عام ١٩٦٨ توضح ذلك فقد التزم المؤلف ببعض المصطلحات الأجنبية على الرغم من ثقافته الواسعة ومعرفته الكبيرة باللغة العربية (٣٤) .

لقد جابه العرب في القديم ما يجابههم اليوم ، ولكنهم استطاعوا أن يتغلبوا على المشكلة ويضعوا لكل فنون الأدب والبلاغة والنقد مصطلحات عربية إلّا ما جاء في بعض كتب الفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد — وهم من الذين لخصوا كتابي الشعر والخطابة لأرسطو — . ولم تدخل تلك المصطلحات كتب البلاغة والنقد لان النقاد والبلاغيين لم يحتاجوا اليها بل ان المصطلحات العربية انتقلت الى الشعوب الاسلامية واستعملت بدلالتها العربية في الكتب البلاغية والنقدية مثل « ترجمان البلاغة » للرادوياني و « حدائق السحر في دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط . واستمر ذلك التيار يرفد النقد والبلاغة

(٣٤) ينظر المصطلح في الادب الغربي ص ٣١ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ .

حتى القرن العشرين وقد وفق كثير من علماء اللغة والأدباء في وضع مصطلحات أدبية ونقدية كان لها أكبر الأثر في تقدم الحركة الأدبية الحديثة. ويبدو أن الاتجاه – في السنوات الأخيرة – بدأ يميل الى الغرب،وصار المؤلفون والمترجمون والنقاد يغرفون من المصطلحات الأجنبية ادعاءً أو استسهالاً مما أدى الى طغيان المصطلحات الأجنبية فيما ينشر ويترجم . وبدأت الاصوات ترفع شعار « اشكالية المصطلح النقدي » وتعقد من أجله الندوات والمؤتمرات .

مشكلة المصطلح :

تثار بين حين وآخر مشكلة المصطلح النقدي اسوة بما يثار من مشكلات أدبية او فكرية ، ومن يتابع حركة التأليف في هذا القرن لا يجد مشكلة بالمعنى الدقيق ، فهناك تراث عربي ضخم يتمثل في اكثر من ألف وخمسمائة مصطلح أدبي وبلاغي ونقدي ، ولو رجع من يرفع شعار « اشكالية المصطلح » الى ذلك التراث لوجد الطريق ممهدا . إن انقطاع بعض المهتمين بقضايا الأدب ونقده عن التراث العربي ادى الى هذه المشكلة المتصورة أو المفتعلة ، ولو ادرك المنقطعون مسالك الغربيين وعودتهم الى التراث اليوناني والروماني لرأوا السبيل واضحة للعيان . ومما ادى الى هذه المشكلة أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح والأسباب التي دفعت الى وضعه ولم يطلع على الأدب الأجنبي اطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات اوقعته في الخلط والاضطراب .

إن مشكلة المصطلح النقدي حدثت من الفوضى التي يعيشها التأليف والترجمة ومما زادها خللا وا ضطرابا :

١ – اختلاف ثقافة المؤلفين او الباحثين ، وهم ثلاثة أنواع :

الأول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية .

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الاجنبي ونقده بالعربية .

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف .

لقد أدى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها الى أن يأخذ من يقرأ باللغة الأجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما حصل بين المغرب العربي والمشرق العربي. أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره اكثر اضطرابا ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ولم يستطع أن يوازن بين ما كان وما يفرضه الواقع الجديد ، وهذان الصنفان في حيرة من الأمر فهما يتأرجحان بين المصطلحات العربية والأجنبية . ولن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل ، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات .

٢ ــ اختلاف الاوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم اليه من خلال ثقافتهم الخاصة او مذهبهم الأدبي والنقدي ، ويتجلى ذلك في مصطلح « الصورة » فهي عند العرب غيرها عند الغربيين ، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والأفكار الذاتية . وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس الى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعنى بالدلالة النفسية (٣٥) . وهي عند غيرهم « رسم قوامه الكلمات » (٣٦) وهي « إعادة انتاج عقلية . ذكرى لتجربة عاطفية او ادراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية » (٣٧) .

كيف يفهم العربي هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور ؟ وكيف يحدد مصطلحها ويستعمله ويديره في كتاباته وهو يجهل دلالته الدقيقة ؟

---

(٣٥) ينظر النقد الأدبي الحديث ص ٤١٧ وما بعدها .

(٣٦) الصورة الشعرية ص ٢١ .

(٣٧) نظرية الأدب ص ٢٤٠ .

٣ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة (٣٨) .

٤ ـ الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء ، ومن ذلك التضمين ، ومن معانيه الاصطلاحية :

الاول : التضمين في العروض هو أن يبنى بيت على كلام يكون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضبا . أو هو « أن يكون الفصل الأول مفتقراً الى الفصل الثاني والبيت الأول محتاجا الى الأخير » . أو هو « أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها فيما بعدها » كقول الشاعر :

كأن القلــب ليلة قيل يُغــدى
بليــلى العــامــرية أو يــراح
قطــاة عــزّها شــرك فباتــت
تجاذبــه ، وقــد علــق الجناح

الثاني : التضمين هو « حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه » وهو على وجهين :

١ ـ ما كان يدل عليه الكلام دلالة الاخبار .

٢ ـ ما يدل عليه دلالة القياس .

أي أن العبارة تتضمن المعنى من غير اشارة صريحة اليه وهو تضمين توجبه البنية مثل « معلوم » يوجب انه لابدّ من عالم ، وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلاّ به كالصفة بضارب يدل على « مضروب » .

الثالث : التضمين هو « استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك وإدخالك إياها في اثناء أبيات قصيدتك » .

(٣٨) ينظر مقدمة في علم المصطلح ص ٨٢ ـ ٨٤ .

الرابع : التضمين هو « اعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الاسماء وفي الافعال وفي الحروف » (٣٩) .

هذه الأسباب وغيرها خلقت جواً غير محمود في الدراسات الأدبية والنقدية ، وجعلت بعض الدارسين يتعثرون .

المعجم النقـدي :

إن التخلص من هذه المشكلة المفتعلة او الحقيقية يتطلب دراسة عميقة للمصطلحات والعودة الى مظانها للوقـوف على معانيهـا ودلالاتها قبـل اشاعتها في الدراسات الحديثة . ويقتضي ذلك وضع معجم نقدي حديث يسهم فيه المجمعيون والمؤلفون والمترجمون والأدباء والنقاد ، ويتم ذلك بخطوات أهمها :

الأولى : رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالاتها وتغيرها في العهود المختلفة والأخذ بما ينفع في النقد الأدبي الحديث . وسيجد الباحثون كثيراً من المصطلحات التي تعينهم في نقد الشعر وصياغة الكلام وتنوع الأساليب وقد يظن من لا علم له بمصطلحات البلاغة والنقد عند العرب أن المصطلح النقدي يخص الشعر وحده ، وهذا وهم كبير . وما جاء في « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم النقد العربي القديم » يبين ان المصطلح لم يكن خاصا بالشعر وانما شمل النثر وألوانه المعروفة في ذلك العهد . وتضمن ما يتصل باللفظ والصياغة والتصوير والتحسين. فمما يتصل باللفظ الكلام على اللفظة المفردة وجرسها وايحائها وما يجوز منها في الشعر وما يجوز في النثر وما يجوز في الاثنين . ومما يتصل بالصياغة ما اطلق عليه اسم « علم المعاني » أو « النظم » وهو يتصل بتحليل العبارة وما تؤدي صياغتها أو نظمها من معان يحددها نظم الكلام . ومما يتصل بالتصوير التشبيه والتمثيل

(٣٩) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج٢ ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤ .

والمجاز بانواعه – المجاز العقلي والمجاز اللغوي (الاستعارة) – والكناية والتورية وما يرتبط بها من وسائل الايضاح ، أو الابهام والغموض . ومما يتصل بالتحسين ما أدخلوه في « علم البديع » وهو محسنات لفظية ومعنوية لا يستغني عنها الكلام لا نها تزيده روعة وجمالا إذا وضعت حيث ينبغي لها أن توضع .

فهذه المصطلحات ليست خاصة بالشعر كما يظن بعضهم وانما هي عامة ترفد النقد الحديث وتقدم للناقد المعاصر مصطلحاته وهو يحلل ويقوّم ويطلق الأحكام النقدية .

ولكن هل تكفي هذه المصطلحات ؟

الجواب : لا ، فهناك فنون استحدثت في العصر الحديث وتعاطاها العرب تقليدا او ابداعا ووضعت لها مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها ، ولابدّ من جمع هذه المصطلحات المستحدثة وتنسيقها والأخذ بما ينسجم وروح اللغة العربية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة النظر فيما يستجد من مصطلحات . وهناك عدة وسائل لوضعها منها الاشتقاق والمجاز والترجمة والتوليد ، فان تعذرت هذه الوسائل كان التعريب وهو نقل الكلمة الأجنبية الى العربية على أن لا تخرج عن المنهج الذي تفوهت به العرب في التعريب .

ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان منها :

١ – كتب البلاغة والنقد وهي كثيرة مثل قواعد الشعر لثعلب ونقد الشعر لقدامة بن جعفر والبرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب وعيار الشعر لابن طباطبا العلوي والموازنة للآمدي والوساطة للقاضي الجرجاني وكتاب الصناعتين لابي هلال العسكري والعمدة لابن رشيق وسر الفصاحة لابن سنان والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، والجامع الكبير ، والاستدراك لابن الأثير الجزري وبديع القرآن وتحرير التحبير لابن أبي الاصبع المصري ونصرة الاغريض للمظفر العلوي

ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني والمنزع البديع للسجلماسي والروض المريع لابن البناء المراكشي وجوهر الكنز لابن الأثير الحلبي وخزانة الأدب لابن حجة الحموي وانوار الربيع لابن معصوم المدني وغيرها كثير .

٢ — كتب الأدب ومنها طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي والبيان والتبيين للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات الشعراء لابن المعتز والاغاني لابي الفرج ويتيمة الدهر للثعالبي وزهر الآداب للحصري القيرواني ونفح الطيب للمقري .

٣ — كتب اللغة وأهمها المعاجم .

٤ — كتب التفسير وعلـوم القرآن مثل معاني القرآن للفراء . ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، والكشاف للزمخشري . والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والاتقان . ومعترك الأقران للسيوطي .

٥ — كتب الفلاسفة المسلمين مثل الخطابة والعبارة والشعر والمجموع — أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر — لابن سينا ، وقوانين صناعة الشعراء وجوامع الشعر — أو الشعر — لابي نصر الفارابي . وتلخيص كتاب ارسطوطاليس في الشعر لابن رشد .

٦ — كتب المصطلحات وأهمها التعريفات للسيد الشريف الجرجاني والكليات لأبي البقاء الكفوي . وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي المعروف بالتهانوي .

وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية وقد تضمنها « معجم المصطلحات البلاغية وتطورها » باجزائه الثلاثة و « معجم النقد العربي القديم » . وبذلك تيسر الوقوف على المصطلحات وتطورها من خلال هذين الكتابين .

الثانية : جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة مثل كتب طه حسين واحمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد ومحمد مندور ومحمد النويهي ومحمد غنيمي هـلال ، واستخلاص المصطلحات النقـدية التي استعملت في هـذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد .

الثالثة : جرد أهم كتب مصطلحات الأدب والنقد الحديثة مثل المصطلح في الأدب الغربي للدكتور ناصر الحاني ، ومعجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبة ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل المدرس ، والمعجم الأدبي للدكتور جبور عبد النور .

الرابعة : جرد أهم كتب الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفنون واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي او تعين عليه . وهذه الكتب مهمة بعد أن أصبحت المعارف الانسانية متداخلة وأصبح الأدب يعتمد على الفنون التشكيلية ويقتبس من علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة بعض أصوله ونظرياته .

الخامسة : جرد أهم كتب الأدب والنقد المترجمة مثل نظرية الأدب لاوستن وارين ورينيه ويليك ، ومناهج النقد الأدبي لديفد ديتش ، وسيرة أدبية لكولردج ، والنقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمان ، والتجربة الخلاقة لبورا ، وأسس النقد الأدبي الحديث . ونقاد الأدب لجورج واتسون وغيرها من الكتب المهمة التي ترجمت في السنوات الأخيرة ، وهي كتب ضمت كثيرا من المصطلحات التي تنفع في وضع المعجم وان كان بعضها بحاجة الى اعادة النظر أو التعديل .

السادسة : الاطلاع على بعض موسوعات الأدب الأجنبي ونقده بلغاتها الاصلية كموسوعة كاسل للأدب العالمي ، وموسوعة النقد الأدبي .

السابعة : الاستعانة ببعض المعاجم الأجنبية لتحديد المعنى اللغوي للمصطلح والوقوف على دلالته كما تصورها المعاجم الأجنبية ولاسيما معجم اكسفورد الكبير .

الثامنة : تصنيف ما يجمع من التراث القديم والفكر الجديد بحسب حروف الكلمة لتسهل مراجعة المصطلح مثل : « الاخبارية ، الارجوانية ، الأسطورة ، الاسلوب الساخر ... » . وهذه هي الطريقة المتبعة في وضع معاجم المصطلحات .

التاسعة : تعريف المصطلح تعريفا وافيا ، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده ، وذكره بلغة أجنبية واحدة او اكثر لمعرفة المقابل الاجنبي والاستفادة منه عند الترجمة او التأليف . ويبقى المصطلح العربي الأصيل اساساً في عرض المصطلحات ولاسيما ما استقر منها وأصبح اكثر دلالة من غيره . وينبغي ان تكتب المواد باسلوب واحد ومنهج واحد وأن تراعى فيها الدقة العلمية . وينبغي أن يضاف الى المعجم بين حين وآخر ما يستجد من مصطلحات وأن يعدل بعضها ، ليواكب الحياة الأدبية المتجددة .

وليس هذا العمل بمستحيل إذ يقدر عليه عدة باحثين من ذوي النظرة الموسوعية والذوق السليم ، وقد ينهض به مجمع عربي او اتحاد المجامع العربية أو مؤسسة ثقافية تعي قيمة هذا المشروع الجليل .

إن الشكوى من « إشكالية المصطلح » ستظل مادام المعجم النقدي الحديث بعيداً عن التحقيق . وسيظل الأدباء والنقاد والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل الى السبيل القويم ما داموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية . وقد تقف أمام المشروع مشكلات ولكن الاصرار على العمل يذلل المصاعب ، وما نظن ان ما قام به عالم في القديم يعجز عنه العلماء والأدباء والنقاد في العصر الحديث .

عَدِيّ بن الرِّقاع العامِليّ

حـــياته وخصائص شعـــره

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الآداب ــ جامعة بغــداد

الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ــ جامعة بغــداد

عند الحديث عن التراث العربي ، وعند الوقوف على ما قدمته العقلية العربية عبر عصورها الطويلة تتأكد مجموعة من الحقائق ، وتظهر طائفة من الاقوال ، وهي في مجملها اقوال تحتاج الى تأمل ، وتدعو الى التفكر فالتراث العربي برمته قد ضمّ اعمالاً جليلة ، واستوقف مظاهر شاملة وتناول موضوعات اسهمت في بناء المجتمع ، وشاركت في اكتمال شخصية الانسان العربي ، وقد يشمل هذا التراث نواحي الحياة ، ويقف على الاحداث الكبيرة التي تعرضت اليها الامة وهي تبني حياتها ، وتشارك مع الامم الاخرى في استكمال الجوانب الحضارية التي بقيت اصولها مشتركة ، واقدارها موزعة . ولا بد لنا ونحن نعرض لمثل هذا الحديث من ان تقرر بعض الحقائق الثابتة في هذا المجال وقد اصبحت اموراً مفروغاً منها اولها ان هذا التراث الذي اصبح الحديث عنه يشغل المعنيين والبـــاحثين هو تراث متواصل من حيث التوافق ، ومتكامل من حيث البناء ، ومرتبط من حيث الاصول ، وان كلّ اجزائه المتباعدة ، وحلقاته التي فرض عليها ان تكون متراخية في بعض العصور تمثل وحدة متكاملة ، وصورة موحدة . وثانيها ان هذا التراث الذي كان ثمرة من ثمرات العقول ، وحصيلة غنية ، تعاونت على انضاجه عقول مبدعة ، وكتبت فصول زهوه اقلام احكمتها تجربة البحث ، واغنتها ثروة المتابعة الجادة ، فعبر عن فكر الاجيال ، واستقر في اسفار التاريخ مرحلة من مراحل البناء والتقدم

والتواصـــل . وثالثها ، ان هذا التراث مايزال بحاجة الى نشر ودراسة وتحليل، لان معظمه مخطوط او ضائع ، وان مصورات مخطوطاته او اصولها ماتزال محفوظة فوق رفوف المكتبات او في بطون الصناديق او في اروقة الزوايا والتكايا والمساجد والاديرة اما الضائع منها فهو اكداس اخرى هائلة يمكن معرفتها من كتب الفهارس التي ذكرت اسماؤها او نقلت او تحدثت عن اصحابها واشارت الى تآليفهم وهذا يدعونا الى التريث في اطلاق الاحكام وخاصة ما يتعلق منها باعداد المخطوطات او اسماء التآليف . ورابعها ان تراثاً يمثل هذه السعة والشمول والتنوع ، وامة يمثل هذه القدرة على التاليف والاستقصاء لايمكن ان يحكم عليه او عليها بما نشر من مخطوطات او درس من محاولات لتقويم مرحلة او تحديد مسألة علمية او وضع ضوابط او استخلاص نتائج او استخدام احكام . لان كل واحدة من هذه تمثل حكما مقطوعا او قاعدة منقوصة او نتيجة لاتستند الى حجة .

ان هذه القاعدة التي يمكن تطبيقها على كثير من وجوه التراث العربي العلمي والانساني تقف شاخصة عند تقرير اية حقيقة او الذهاب وراء اي مذهب وان اغفالها اوالتستر عليها يبقي التراث خاضعاً لمقولات غير موضوعية واحكام غير حقيقيـة .

واذا حاولنا تضييق دائرة التراث وحصرناها في مجال الشعر لهالنا ماتعرض له هذا الفيض الزاخر من ضياع . وذهلتنا مجاميع الشعر التي طمرتها احداث العصور . فمن مجموع الدواوين التي ذكرها ابن النديم في الفهرست تتضح قائمة الضياع التي تعرضت لها هذه الدواوين . فقد اشار اليه في قائمة الشعراء الذين عمل ابو سعيد السكري اشعارهم (١) . وتظل اعداد هذه الدواوين تكبر كل ماتقدم العصر واتسعت دائرة الشعر فأبن خير الاشبيلي يضيف في

(١) ابن النديم . الفهرست /١٧٨ .

فهرسته اعداداً اخرى من هذه الدواوين التي نقلت الى بلاد الاندلس (٢) وكانت مروية في عصره ويذكر ضمن هذه القوائم التي حملها الى الاندلس ديوان عدي بن الرقاع (٣) وفي مقدمة منتهى الطلب من اشعار العرب لمحمد بن المبارك اشارة واضحة الى دواوين الشعراء الذين وقف على مجموع أشعارهم التي رآها واخذ عنها ولكن اعداداً كبيرة منها فقدت . اما قائمة العيني المتوفي سنة (٨٥٥) للهجرة التي اعتمدها في كتابه المقاصد النحوية في شرح شواهد الالفية والمشهور بشرح الشواهد الكبرى فقد جمع من كتب الدواوين للشعراء المتقدمين الذين احتج بهم نحاة الاولين والاخرين على ما ينيف على مائة ومن يدقق هذه القائمة يعرف الاعداد التي لم تصل الينا من هذه الدواوين ، وظل بعض هذه الدواوين متداولة حتى عصر صاحب الخزانة المتوفى في حدود (١٠٩٣) التي اعتمدها ورجع اليها وانتقى منها مادة كتابه ويشير الى ديوان عدي بن الرقاع ضمن دواوين الشعراء الاسلاميين كما يسميهم(٤)، وعند مراجعة هذه الدواوين والوقوف على مابقي منها او نشر نجد الفرق كبيراً وان دواوين كثيرة منها لم يهتد اليها ولم تكن ، ضمن الدواوين المخطوطة والموجودة في مكتبات العالم ..

---

(٢) لما دخل القالي الى الاندلس كان يحمل معه حصيلة ربع قرن من الانكباب والسهر والصبر . قضاه في بغداد وحدها ، فلم يبق احد ممن تحدوه الرغبة في العلم الاوحضر مجالسه حين انتصب للتدريس والاملاء ، بل ان كثيرا ممن كانت لهم شهرة سابقة في اللغة والادب قبل حضوره قد تنازل وتواضع له . واقر بمشيخته وامامته وحتى الذين لم يتتلمذوا له ولم يحضروا بعض مجالسه او يأخذوا شيئا من كتبه فقد اصابهم نصيب من هذه الخزانة الكبيرة الثمينة التي حملتها رواحله من بغداد الى قرطبة (ابو علي القالي واثره في الدراسات اللغوية عبد العلي الودغيرى/٤٣٦) .

(٣) ابن خير . الفهرست/٣٩٩ .

(٤) البغدادي . خزانة الادب ١/١٠ .

ان هذه الصورة المحدودة والضيقة تكشف عن الحالة التي يمكن ان تقال بالنسبة لبقية العلوم التي ماتزال مخطوطاتها قابعة في زوايا النسيان او مطمورة في جدر البيوت او المساجد وهو ما يدعو كل المعنيين بشؤون التراث الى التشمير عن ساعد الجد والانصراف الى تكوين فرق العمل ومجاميع البحث لتقييد المخطوطات وتصنيفها وتنسيقها وبيان ما نشر منها وترتيبها بحسب اهميتها للنشر وتهيئة الباحثين الذين يقومون على تحليل موادها ودراسة الظواهر الجديدة فيها والمعرفة التي تتضمنها لتدخل في باب الفهرسة التحليلية وتوضع في الاماكن التي يمكن ان تنتفع بها ..

واليوم وبعد اكثر من ثلاثة قرون على ذكر ديوان عدي بن الرقاع العاملي الذي اعتمده صاحب الخزانة نقف على ديوان هذا الشاعر الذي جعله ابن سلام في الطبقة السابعة(٥).ويبدو ان صاحب الاغاني قد وهم عندما قال بأن الجمحي وضعه في الطبقة الثالثة (٦) .

والنسخة التي وقفنـــا عليها سقط منها ثلاث ورقات من وسطها وآخرها . واوصاف هذه النسخة مطابقة لاوصاف النسخة التي يحتفظ بها الدكتور حسين علي محفوظ والتي اشار اليها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق حيث قال : (ومما كنت اصبته من تلكم الاعلاق المذخورة نسخة عتيقة جدا — هي الوحيدة — من ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رواية ثعلب اللغوي الكبير المشهور . محفوظة بخزانة التاجر الفاضل محمد امين الخنجي البحراني نزيل طهران الذي لم يضن بها عليّ .

قوام هذه النسخة ١٠٣ اوراق من النوع القديم . طول كل ورقة ٢٣,٤ سم في عرض ١٦,٥ . وطول الكتابة ١٧,٩ سم في عرض ١١ من الشعر – و٨.٥ من الشرح . وفي كل صفحة ١٥ سطرا بالخط النسخي القديم .

(٥) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ٢/٦٩٩ .
(٦) ابو الفرج . الاغاني ٩/٣٠٠ (دار الثقافة) .

والنسخة مخرومة بتراء سقط مقدار من آخرها ولا يوجد بها الورقة ٢٠ ولا الورقة ١٠٢ ، ولا الورقة ١٠٥ وفيها اختلال في الترتيب .

والظن انها مكتوبة في الشطر الاول من القرن الخامس الهجري . وقد ملك هذه النسخة جماعة قيدوا عليها اسماءهم في سنة ٩٧٤ — ١١٨٧ هـ وكانت قبل ذلك من كتب دواوين بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وهو اخو السلطان الملك الاشرف عمر . مؤلف كتاب (طرفة الاصحاب) المتوفي سنة ٦٩٦ (ظ) وعليها خطوط قديمة جدا تكاد تخفى .

مجموع اشعار ابن الرقاع في هذه الاثارة الباقية من اوراق الديوان ١٠٩٣ بيتا في ٢٩ قصيدة .

واكثر هذه القصائد في مدح الوليد بن عبدالملك بن مروان . وعمر بن الوليد . وفي الديوان قصيدتان مدح بهما عمر بن عبدالعزيز ، واثنتان — ايضا — قالهما في الاسوار عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ، وواحدة في مرى بن ربيعة بن مسعود بن كعب بن عاصم بن جناب الكلبي ، وابيات في نقض كلمة عبيد بن الحصين الراعي .

اما الشرح فقد سلك فيه ثعلب نهجه اللغوي المعروف الا انه اكثر من الشواهد وعني بالالفاظ . واهتم بالتعابير المستعملة . والجمل والمجازات وهو — عندي — من خيار آثاره الادبية (٧) .

وقد بلغ عدد الأبيات في نسختنا ألفاً وعشرة أبيات ويجرنا هــذا الى الشك في أنّ هــذه النسخة تخالف النسخة التي وصفها الدكتور حسين محفوظ ، أو أنه سها في تعداد الأبيات إذ جاء في الشرح عدد من الأبيات للراعي النميري في هجاء عدي بن الرقاع ، ولشعراء آخرين والله تعالى أعلم .

(٧) مجلة المجمع العلمي بدمشق م ٣٣ سنة ١٩٥٨ .

وعدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي من عاملة ، حي من قضاعة ، ينسب الى الرقاع في موضع والى عاملة في موضع آخر (٨) وكنيته ابو داود وكان من العرجان حيث نزل عن مطيته في الليل ومشى بعد أن اعيا من الركوب فوقعت رجله في جحر من جحرة اليرابيع فانكسرت وبقي اعرج مدة حياته ولم نجد له ذكراً في عرجان الجاحظ وعدّه الجاحظ في البرصان – ٤٣٣ من الأدران جمع ادر وهو العظيم الخصية من داء او فتق، كانت له بنت تقول الشعر فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائبا ، فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم فخرجت اليهم وانشأت تقول :

تجمعتهم من كل اوب وبلدة ... على واحد لازلتم قرن واحد

فأفحمتهم (٩) وكان شاعرا مقدما عند بني امية ، مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبدالملك (١٠) وقال فيه قصائد طويلة .

وكان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي .

وسنان اقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

ويقول : ما قال احد في مثل هذا المعنى احسن منه في هذا الشعر (١١) ، وقال ابو عمرو وهو يسمع بعض ابياته احسن والله عدي بن الرقاع (١٢) .

وقال عنه أبو الفرج :

ينفرد عدي بن الرقاع بوصف المطيّة ويُقدم فيه (١٢أ) .

---

(٨) تنظر ترجمته في طبقات ابن سلام ، ٢/٦٨١ والشعر والشعراء ٢/٦١٨ والاغاني ٩/٣٠٠ وما بعدها والمؤتلف والمختلف /١٦٦ ومعجم الشعراء/ ٨٦ – ٨٧ .

(٩) ينظر الاغاني ٩/٣٠٠ ، ٣٠٣ – ٣٠٤ ومختصرها في الشعر والشعراء/ ٦١٨ وكامل المبرد/٢٢٦ (٣) ابو الفرج الاغاني/٩/٣٠٠ .

(١٠) افرغ الشاعر مديحه للوليد بن عبد الملك وعمر بن الوليد بن عبد الملك وعبد الله بن ابي معاوية .

(١١) ابو الفرج ، الاغاني ٩/٣٠٥ .

(١٢) ابو الفرج الاغاني ٩/٣٠٦ .

(١٢أ) ابو الفرج الاغاني ٩/٣٠٤ .

وبقيت ابياته في قصيدته الميمية من الابيات المشهورة التي نالت استحسان القدامى لرقتها وعذوبة الفاظها ودقة وصفها ، وبقيت قائمة المعجبين تزداد وكل معجب منهم يظهر لونا ويكشف عن زاوية ، ويحدد جانبا جماليا فعندما سؤل جرير من انسب الشعراء قال : ابن الرقاع وذكر قوله : لولا الحياء ......

ثم قال : ما كان يبالي ان لم يقل بعدها شيئاً (١٣) وقال ابن قتيبة وكان شاعرا محسنا وهو احسن من وصف ظبية (١٤) وتعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبدالملك ثم لم تتم بينهما مهاجاة الا ان جريرا هجاه تعريضا في قصيدته ويمكن ان يضمّ عدي بن الرقاع الى قائمة الشعراء الذي عرفوا بتنقيح قصائدهم واختيار الفاظهم وفي ديوانه اشارة الى أن احدى قصائده في مدح عمر بن عبدالعزيز خيرّها سنة وكان الاصمعي يقول لاصحابه الا انشدكم حولية عدي :

حي الهداملة من ذات المواعيس

ولم يصرح لان الوليد حلف ان هو هجاه اسرجه والجمه وحمله على ظهره فلم يصرح بهجائه (١٥) .

ولعل السبب في هذا يعود لحظوته عند الوليد ، ودفاعه عن الخلافة وايمانه بالوفاء للدولة العربية التي وضع نفسه في خدمة اهدافها والوقوف بحزم تجاه كل الحركات التي حاولت ان تقف بوجهها او تستعدى عليها عناصر الشغب والفتنة وقد دفعه هذا الوفاء والالتزام الى اقتصار شعره على قادة الدولة وخلفائها وحمده لهم لما قدموه من جليل الاعمال وعظيم الماثر .

وفي عدي بن الرقاع اصالة تنم عنها اعماله ، ويؤكدها التزامه ووفاؤه، وتحققها تقاليده التي اصبحت جزء من حياته ، فصداقته للناس ورفقته لمن يحسن اليه تظل في عرفه موضع تكريم ، وتبقى في حسابه مجال اعتبار وتذكر.

---

(١٣) نفس المصدر ٣٠٧/٩ .
(١٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء /٦١٨ .
(١٥) ابو الفرج . الاغاني ٣٠٠/٩ .

وفي حديث عبيدة بن عبدالرحمن الذي عزله الوليد بن عبدالملك عن الاردن بعد ان ضربه وحلقه واقامه للناس ما يؤكد اخلاق هذا الشاعر الملتزم ، ووفاءه لمن قدم له جميلا ، واحسن صنيعا ، فقد طلب الوليد من الذي اوكل اليهم مراقبته ان يأتوه بمن يأتيه متوجعا او يثنى عليه . ولكن هذا التخويف والانذار لم يمنع الشاعر عن التعبير ، ولم يثنه عن اظهار مشاعره فقد حضر اليه ووقف عليه وانشأ يقول :

فما عزاؤك مسبوقا ولكن
الى الخيرات سبّاقا جوادا
وكنت اخي وما ولدتك امي
وصولا باذلاً لي مستزادا
وقد هيضت لنكبتك القدامى
كذاك الله يفعل ما ارادا

وعندما وثب الموكلون به . وحملوه الى الوليد وادخلوه عليه ، واخبروه بما قال تغيّظ الوليد وقال له : اتمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت ؟ فقال : يا امير المؤمنين . انه كان اليّ محسنا . ولي مؤثرا ، وبي برا ، ففي اي وقت كنت اكافئه بعد هذا اليوم ؟ وهنا يستجيب الخليفة لهذا الوفاء ، وتعلو في نفسه كرامة الانسان الذي لا تمنعه صروف الزمان عن تناسي الاخوان ، ولا تحول بينه وبين من احسنوا اليه عاديات الدهر . فيثني عليه ويعفو عنه وعن عبيده وينصرفان وهما يشعران بالوفاء لقيم الرجولة ، والاحسان لكرامة الصنيع (١٦) .

وشأن عدي في تحديد سنة ولادته شأن بقية الشعراء الذين لا تعرف اوليات حياتهم او مواليدهم ، لان مواليدهم وقعت في زمن لم تتضح فيه هويتهم ، ولم تعرف منزلتهم ، ولكن اخباره وقصائده وشهرته تظهر وهو في صحبة

(١٦) ابو الفرج . الاغاني ٩/٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

البلاط – ويستطرد صاحب الاغاني ليقول : وكان منزله بدمشق (١٧) .
وتظل دمشق الكبيرة هي منزل الشاعر ، وتظل هذه المدينة العربية هي الارض التي تحرك فوقها فتعرف نشأته ، وترى فتوته وشبابه ، وتشهد ينابيع ثقافته التي وثقت في نفسه حب الدولة والنضال دون رايتها والوقوف بحزم تجاه الحركات التي حاولت التصدي لها ، وعدي كما يقول صاحب الاغاني : وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم (١٨) ، ففي شعره طراوة الحضارة ، وفي الفاظه رقة التحضر وفي تعابيره عبق الصور الزاهية وهي تطرز ببصمات الفن الحضاري وعلاقات الناس وهي تشرق بقسماتها في انماط السلوك الاجتماعي.

ان نشأة الشاعر في هذا الوسط الحضري وفي عاصمة الدولة العربية قد حقق له الاحساس بكيان الدولة وهي تبني حضارتها وترسخ مواعيد بنائها وتقاليدها ، فأمتزج هواه بهوى الدولة ، وارتبط وجوده بوجود خلفائها . يمدح احياءهم ، ويمجد اعمالهم ، ويرثي امواتهم ، ويرى رأيهم ، ويقول بقولهم ، يدافع عن مبادىء الدولة ويؤيد سياستها ، ويتحمس لها ، وظّف شعره لنصرتها ، وشهر سيفه بوجه خصومها ، سالم من سالمها وعادي من عاداها وهو في رأيه هذا لا يصدر عن رهبة، ولاينافق عن خوف وانما يعبر عن الحقيقة كما يراها ، والعقيدة كما يؤمن بها ، والوفاء كما فرضته عليه اخلاقه . لانه يعتقد بأن نصر الدولة هو من نصر الله الذي لم يغلب ... واوشك ان يختص بمدح الوليد الذي وجد في عصره كل ما يدعو الى الاعجاب والفخر فالوليد كما يقول الطبري صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع (١٩) . واعطى المجذمين وقال لهم : لا تسألوا الناس ، واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح في ولايته فتوح عظام ، فتح موسى بن نصير الاندلس وفتح قتيبة كاشغر ، وفتح محمد بن القاسم الهند (٢٠) .

(١٧) الاغاني . ابو الفرج ٩/٣٠٠ .
(١٨) الاغاني . ابو الفرج ٩/٠٠ .
(١٩) تاريخ الطبرى . الطبرى ٦/٤٩٧ .
(٢٠) تاريخ الطبرى . الطبرى ٦/٤٩٦ .

وهو الذي تابع الناس في تعلم القرآن ، وكان يعاقب الذين لا يعرفون قراءته ، ويفرض عليهم العقاب حتى يقرأوه ، ويكافيء الآخرين ويقضي ديون (٢١) ممن عرفوا القراءة وهو بعد هذا اول معرّب الدواوين .

عاصر عدي عبدالملك بن مروان والوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز وقد امتدت خلافة هؤلاء حتى سنة ١٠١ للهجرة وهي نهاية خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مدائح في عمر بن الوليد ولكننا لا نستطيع تحديد المراحل التي مدحه بها ، لان عمر بن الوليد كان حيا سنة (١٢٦) وهو تاريخ متأخر . وان الشاعر قد مات قبل هذا التاريخ . ولابد ان تكون حظوته عند خلفاء بني امية ووفاؤه الاصيل لهم ، وتفانيه في الدفاع عنهم ؛ والسير وراءهم قد جرت عليه خصومه الحساد ، وغيظ اللاهثين خلف المديح الكاذب ، والحب المصطنع ، فاستثيرت حوله الشكوك وعرض به في اكثر من مجلس ، وقيل بشأنه وبشعره ما قيل ، وقد تجرع من غصصها ما اثقل عليه لذة الحياة ، ونغص طعم اللذة ، ولكن الايمان بالنهج السليم الذي يرتضيه الانسان ، والوفاء للحقيقة التي تظل اصداؤها حية في نفسه تفسد على الحاسدين مطامعهم ، وتقتل في قلوبهم نزوة التطلع غير المشروع وبقي الشاعر عدي بن الرقاع يحمل هذا الوفاء للرجال الذين وجد فيهم اصالة الانتماء ، ووفاء العروبة ، وشرف الدفاع عن وجودها والحفاظ على شخصيتها العربية الخالصة . ولم تكن ظاهرة ضياع شعره غريبة بعد ان عرف بحبه لدولة العرب ، ووقوفه الى جانبها . واشادته برجالها ومدحه لقادتها وخلفائها ، وقد ترك هذا اثره في نفوس الذين زرعوا الحقد في قلوب الآخرين نكاية بها ، واضعافا لدورها الحضاري ، ومحاولة لاسقاط مرحلتها التاريخية المهمة ، وقد تعرضت الدولة في زمانه الى احداث كبيرة ، هزت وجدان الشاعر .

---

(٢١) تاريخ الطبري . الطبرى ٤٩٦/٦ .

خصائص شعره :

ان ازدهار الشعر في العصر الاموى كان من الظواهر التي عرفها النقاد وحكموا بموجبها على الشعراء لما عرفوه في ادب هذه الفترة من رقة ، ولمسوه من جمال فني رائع ، فهو عصر الرقة والغزل وعصر الاناقة وتثقيف الشعر وتهذيب القوافي وصقل القصائد ، وقد لمعت فيه من الاسماء من رق شعرهم وعذبت الفاظهم ، وانسابت روائعهم على السن الناس والرواة اناشيد عذبة واغان حضارية رقيقة وعدي بن الرقاع من اولئك الشعراء الذين حسنت ديباجتهم ، وصفت الفاظهم ورقت معانيهم ، وعبر عدي عن اهتمامه بتهذيب قوافيه وتثقيف شعره وتقويم عيوبها واصلاح سنادها وميلها ، وحديثه في هذا الجانب حديث الشاعر الحاذق الذي يحسن الصنعة ، ويجيد الحرفة ويمتلك زمام التثقيف البارع حيث يقول :

وقصيدة قد بت اجمع بينها
حتى اقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منادها

ولم يكن هذا التثقيف غريبا على شاعر الدولة الذي عاصر خلفاءها وتأثر بطراز حضارتها وتأنق الحياة التي اصبحت سمة من سمات العصر وقد استطاعت الدولة ان ترسخ قواعدها وتضع ركائز الوجه التنظيمي والحضاري لكثير من اوجه تعاملها ، واساليب منهجها وعلاقاتها مع الدول . وربما كان هذا التثقيف سبباً من اسباب الاستشهاد الكثير ببعض ابياته التي اصبحت مضربا للمثل ، ومدعاة للاستشهاد في مواضع مختلفة فابياته التي يصف فيها العين والنظر والتي يقول فيها :

لولا الحياء وان راسي قد عسا
فيه المشيب لزرت ام القاسم
فكأنها بين النساء اعارها
عينيه احور من جاذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم

استشهد بها المفسرون واصحاب المعاجم والبلاغيون وأصحاب كتب الادب والامالي ومجاميع الشعر حتى تجاوزت اعدادهم الثلاثين . اما البلدانيون فقد وجدوا فيها جانبا من جوانب توثيق المواضع كما صنع البكري وياقوت ، وكان كل واحد منهم يعقب عليها بما يظهر اعجابه ويكشف عن الجانب الجمالي الذي برع في صياغته الشاعر ، ومما يروى عن الاصمعي انه قال واحسن بيت قيل في فترة الجفون بيت ابن الرقاع وذكر البيتين (٢٢) ، وكان ابو عبيدة يستحسن البيت الثالث ويقول : ما احد قال في مثل هذا المعنى احسن منه في هذا الشعر (٢٣) ، وعقب عليها الخالديان فقالا : ولعمري ان بيتي ابن الرقاع هذين في نهاية الحسن (٢٤) وقال الثعالبي في الايجاز والاعجاز ولايعرف مثل قوله في وصف المرأة (٢٥) وتتكرر ظاهرة كثرة الاستشهاد في ابيات اخرى لعدي ، فابياته التي وصف فيها الظبية والغزال كانت موضع اعتزاز البلاغيين واصحاب كتب الادب والامالي (٢٦) . .

---

(٢٢) الخالديان . الاشباه والنظائر ١٦٥/١ .
(٢٣) ابو الفرج . الاغاني ٣١١/٩ .
وينظر مصادر تخريج القصيدة .
(٢٤) الخالديان . الاشباه والنظائر ١٦٥/١ .
(٢٥) الثعالبي . الايجاز والاعجاز/٤٤ .
(٢٦) تنظر مصادر تخريج القصيدة الدالية .

وتبقى ابياته :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
اليها شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت : الفضل للمتقدم

من الابيات التي قيلت بشأنها اقوال كثيرة ، وعرضت لها الكتب الادبية واستشهدت بها في مواضع متعددة وهي تشيد بقائلها وتعجب من قدرته البلاغية . .

وكذلك ابياته التي وصف فيها حمارا واتانه . .

يتعاوران من الغبار ملاءة
بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا جاسيا
واذا السنابك اسهلت نشراها

حيث عقب عليها صاحب الخزانة (٢٧) بقوله : وهذا احسن ما قيل في وصف الغبار والعجاج ان اجماع المصادر البلاغية والادبية على الاشادة بالصور التي قدمها الشاعر وبرع في تقديم الاوصاف التي اخذت حجمها في مواضع الاستشهاد الفني تعطي الشاعر المكانة المتميزة ، في اعداد الشعراء الذين توزعت ابياتهم في كتب البلاغة والصناعة والمعاني

ومن ظواهر الاستشهاد الغريب ان ياقوتا الحموي قد استشهد له في اكثر من مائة وعشرة ابيات وهو عدد غير قليل بالنسبة لما يستشهد به ياقوت لشعراء اخرين .

---

(٢٧) البغدادي . خزانة الادب ٢٧٧/٣ .

ان كثرة الاستشهاد عند ياقوت تؤكد عدد المواضع الكثيرة التي وقف عندها الشاعر وتحدث عنها واستثارت في نفسه الخواطر والهواجس ، وتؤكد شدة ارتباطه بارضه وعمق انتمائه لها . وهي بالتالي توثق صحة المواضع التي تحدث عنها حتى كانت شواهد معتمدة لياقوت .

اما اصحاب المعاجم فقد كانت شواهد عدي من النماذج المعتمدة عندهم فقد استشهد له صاحب اللسان في اكثر من مائة موضع واعتمد بعضها صاحب التاج . ولكن الجديد في الاستشهاد هو ان صاحب التاج قد استشهد له باكثر من ثلاثين مرة في مواضع لم يستشهد له فيها صاحب اللسان ، وهي ظاهرة تؤكد اعتماد اللغويين على شعره ووقوفهم على ديوانه ويمكن الوقوف على هذه المواضع في تخريج شعر الشاعر . . .

والشاعر كما تؤكد كثير من ابياته . ومفرداته كان شاعرا حضريا ، يتسلسل ظل النعيم في ابياته . وينساب رونق الحضارة في شعره ، وتتناثر مفردات الحياة الاجتماعية في صوره وهو يستعيد التشبيهات التي املتها عليه طبيعة الحياة . ولونتها رفاهية الواقع الجديد الذي عاشه الانسان العربي في ظل التقاليد الحضرية . ولابد ان يكون هذا الاتجاه قد حمله مهمة الاحسان في مخاطبة الخلفاء . واجادته في اختيار الالفاظ المقبولة والمناسبة ، وانتقائه جمالية الصور المناسبة . والتعبير عن الوجهة السياسية التي كانت تأخذ طريقها في بناء الدولة العربية ، والالتزام بالمبادىء الانسانية التي اصبحت واجهة من واجهات الدولة في التعريب والتحرير والتعامل وما يمكن ان يقدمه الخليفة او يضطلع به من جلائل الاعمال وعظائم المسؤوليات .

يسلك عدي بن الرقاع مسلك القدامى في بنائه الشعري فالدار كعنوان الكتاب وقد عيت بالجواب ، لايهتدى الى موضع الانضاد الا لايا ، والسيل قد صد مجرى التلعة . ضربته مملوكة بغراب الفأس وهي بدايات تثير فينا الاحساس بالصورة التي افتتح بها النابغة مطولته وتوشك ان تكون المفردات المستعملة

في الصورتين واحدة وفي الفاظ (عيت جوابا) و(لأيا) و (النضد) و(الوليدة) و (ضربها) هي الالفاظ الواردة في مطلع قصيدة عدي . حتى اذا اوشك ان يغادر المقدمة ليتخلص من هموم الوقوف ، ويترك انسكاب العبرات ومتاعب الاعياء وسكون الدار انصرف الى عبارة (ذر اللهو لمن يلهو بها) وهي تقابل عبارة النابغة (فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له) واذا كانت ناقة النابغة عظيمة الفقار ، مقتدرة على حمل راكبها مدة طويلة فشد عليها اعواد رحله فأن شاعرنا يكسو اقتاده بعيرا اسود نشيطا وهي محاولة اخرى من محاولات الاقتداء التي التزم بها وهو يواصل بناء قصيدته ويستمر في هذا النمط الشعري باضفاء صفات القوة فهي (بازل) غليظة شديدة من حيث القوة والحدة لايحمل من رحله غير اقتاد وقطع وقراب وتتعاظم عباراته ، وهو يغور في اعماق الوادي ليتحدث عن الفلاة والآل والسراب ، وتغلظ صوره وهي تشرف على الصوى لتستدل بها على الاعلام ومسايل الوديان او تعتسفها على غير بيان وهدى وتثبت ، حتى اذا اوردهن واتبع آثارهن اتان مجدول . . . وتنقطع الصورة ولم نجد للقصيدة تتمة . . وهذا يدل على ان الصورة لم تنته (٢٨) .

وتبقى مطالع قصائده صورة تقليدية لما الفناه عند الشعراء القدامى فالدار مثل خط الكتاب وقد انتصبت في المواضع المحددة بعد ان جرت الريح فوقها ترابا سريعا وتصاحب هذا الحديث احاديث الجيرة الذين احسنوا ضيافتهم واكرموا وفادتهم وتقاربت اعمدة بيوتهم وكان الدخان ينسلي من وراء الحجاب قدما . وهم يوقدون النيران في بيوتهم من شدة البرد . ويقترن هذا الحديث برد (رويمة) بعد بعد وصدود واجتناب وقد ذهبت بقلبه وقد تطل عليه بوجه ناصع اللون ، صورتها مجلوة بماء الذهب ، او هي مهاة انكشف الليل عنها عند انسفار الصبح بين موضعين ، لورآها الناشي ، المسبغ ازاره ، المختال بحسنه وفتوته لج في

---

(٢٨) تنظر القصيدة الاولى .

تصابيه ، وهنا يقف عند الفتيان الذين نزلوا في الليل بالارض القفر بين غرير لم يجرب امره ، او استبد به النعاس فانكب على وجهه كمصاب ، او هجدا فترت عيونهم فكانوا كالثمالى وما هم بثمالى وما انتشوا من شراب افزعتهم دعوة رجل شديد بعد رقدة رقدوها انتشر الشيب في مضر الغسل فكانت دعوتهم لهم دعوة نفذت الى ام رؤوسهم فتحركوا واسرعوا نشيطين فاتقوا ظاهر الحصا برحال مثبتات على ظهور الركاب واسرعن جزعا عاطفات اعناقهن ؛ ماثلات في احد الشقين . يعدون عدوا شديدا وقد امتطاهن الرجال وقد لبسوا الدروع في جيش كبير تعلوه راية وتمنعه شدة وتحت الراية قناة تكون واحدا وعشرين كعبا ، كما حملوا السيوف واكتسوا بالسرابيل تهيئا للضراب ، ولا ينسى الشاعر في غمرة هذا الحديث ان يضفي كل هذه الصفات على قبيلته التي ينتسب اليها من بني قاسط وابناء زهير ويتذكر حليلته التي احزنها تقلبه واغترابه وتتسرب من ثنايا حديثه بعض اللمحات الخفيفة التي توحي بالعتاب وتدل على النأى والصدود وما يمكن ان تثيره مثل هذه الخفقات في خفايا الشاعر وهو يتذكر ويحن ويقترن حنينه بالنياق الشداد التي اخذت مساحتها في المربع المتناهي وقد رعاها غلام اسود كالغراب وقد وجد في ملاعبه الفحل وقد الفه وتنقل الى اوصاف الناقة العظيمة الضخمة البدنة الغليظة وقد بركت في ديار العزيز من ارض كلب بين احياء عامر وجناب (٢٩) .

وتأخذ قصائد المديح نمطها التقليدي حيث يكون النزوح والنأي والبعاد بعد المودة والتدلل والوصال وقد جاء بعد تقدمه بالسن والحبيبة في مطالعه (اسيلة الخدين) (بيضاء) (خود) تثني في مشيها وتميس في حركتها كما يسير الماء على الكثيب غير المتماسك ، ومن الطبيعي ان يتسلل الفخر الى قلب الشاعر ليبعد عن نفسه وقوعه في حبها او تهالكه عليها ، واذا أحبها فهو عفيف طاهر الثوب ؛ نقي السريرة ، واسع المعروف . . وبعد ان تستثار هذه النوازع ويتحقق الجو المؤلم وتنسكب العبرات . ويعلو الشوق - هنا ينتقل الشاعر -

(٢٩) تنظر القصيدة الثانية .

انتقال الشعراء القدامى ، بجسر لفظي يقطع بواسطته دروب الحزن الى دروب الصحراء المقفرة ، ويعبر من خلاله الى الفضاء الرحب بحمل شديد قوي اذا هز عنقه ورأسه اضطرب النعام الساكن وهاجت سرابه نشيط بعض مؤخره افخاذ القطيع ، حتى اذا رمت الهواجر واخضرت الارض بعد اليبس وتبدلت الالوان وانجلت عنهن اسمال الشتاء وشربن كل بقية صادفنها من المطر . . . وهي الصورة التي عودنا الشعراء الجاهليون عليها يقدمها الشاعر بانتصاب هذه التماثيل الجميلة التي يبذل في تزويقها جهده ، ويسوى صورتها لتبدو رائعة متمكنة ، ويحرص على الايفاء برسم اجزائها ويدقق في استكمال منظرها الفريد الذي استهوى الشعراء فقالوا فيها اروع قصائدهم وتحدثوا عنها حديث العشاق المتيمين . . وتقترن بصورة هذا الثور الذي شبهت به الناقة حديث المياه الآجنة التي استقرت في المواضع المجهولة ، وانعزلت في الأماكن التي لم يطرقها انسان او يصل اليها حيوان من قبل ويحرص الشاعر — وفاء بما التزم به الشعراء القدامى — ان يكون الورود بعد اختلاط الظلام . . .

حتى اذا اختلط الظـلام وردنـه ولقـد بكيـن بهيبـة وتجفـل

ويدخل الشاعر بين صورة الثور التي وقف عندها وقفة عابرة وبين صورة الفرس وهو يمد العنان من طول عنقه واعتماره في اللجام ولم يكتف بالانتقال الى صورة الفرس وانما يدقق في صورتها ويصف اجزاءها ويتحدث عن اعضائها بتسعة ابيات وهذا التداخل في القصيدة والانتقال من مرحلة وصف الناقة الى الفرس يمثل الحالة الجديدة في البناء التقليدي للقصيدة العربية بعد ان اصبحت تأخذ شكلا متناسقا من حيث التدرج وموحدا من حيث المتابعة ومنهجيا من حيث استخدام الحيوانات المتعارف عليها في مثل هذه اللوحات .

وفي الابيات التي يعقب فيها على وصف الفرس اثارة جديدة لانه يباشر الحديث عن رسوم المنزل ثانية بعد ان انصرف الى حشر اللوحات الكثيرة في اطار الحديث عن الممدوح ولكن يبدو ان تعلق الشاعر بالمقدمة وتمسكه بالديار حمله على العودة الى ان يستذكر رسوم المنزل ثانية وقد عفيت حججا وتتكرر الصــور التي تعودنا على قراءتهــا في استواء الارض ولعب الرياح والدعاء بالسقيا والعروج على اهل الدار التي كانوا زينة فأستبدلوا بها قفرا وبقيت اخاديد وحصى صغارا ورماد نار . هذه المقدمة الطويلة التي استغرقت هذا الوصف تنتهي الى الممدوح الذي ترك الفواحش وترعرع يافعا ونما الى حسب رفيع من منصب العرب الذي ما فوقه للناس من شرف .

وفي هذا التأكيد تتضح اصالة الشاعر وحسّه القومي الذي وجد في هذا البيت العربي وجاهة الاصالة وبيت الندا والسخاء وكل الصفات التي تلحق بالممدوحين الذين تعرفهم من سماتهم وتهتدى اليهم من سؤددهم وتتبين انسانيتهم من نسبهم العريق ابا وجدا وفعلا بعد ان قام بالحق فجزى افضل الجزاء ، ونال احسن الثواب (٣٠) .

ويبدو ان شاعرنا يواكب الواجهة التقليدية التي وجد فيها مداخل جيدة ، ويساير النمط المحكم في بناء القصيدة الذي يمنحه المرونة الشعرية لمواجهة الموقف المطلوب ويعطيه حقوق المشاركة الوجدانية والذاتية لما يسعى اليه من استذكار طلل وهياج احزان ومصائب دهر وربما كانت حالته وهو يواجه هذا الموقف قد فرض عليه الاختزال العاطفي او الانتقال السريع الذي لم يجد فيه من ادوات المباشرة ما يحمله على الاستمرار في معايشة عالم تبدو غرائبه كثيرة واولياته غير منسجمة الى حد ما ، واذا كانت ادوات الشاعر او وسائله المتنوعة التي اكتملت من حيث البناء او توافقت من حيث الشكل قد

(٣٠) تنظر القصيدة الثالثة .

مهدت له الخوض في غمار بعض المحاولات ، واستطاع ان يقف فيها الموقف المناسب الى حد ما فأن حالة الجذب او الانقطاع التي كانت تشد اسباب التواصل اقوى من تأجج المشاعر التي تتفاعل في اعماقه ذاتا واستذكارا . وربما تكون هذه الصورة هي الحقيقة الماثلة في حالة التضاد احيانا عند شاعر توفرت له اسباب الحضارة وتذوق صنوف الترف واستمع الى الرقيق من الشعر ولكنه يمتد في شعره الى عصر متقدم وينهج نهج نماذج بعيدة في كثير من حالاتها عن طبيعة العصر وقد ولد هذا الجو النفسي في داخله اسباب المواجهة لاكثر من تيار ، وحالات الانشداد لطرفين غير مؤتلفين ، اعتمل في نفسه طرف فأنساق لمجاراته ، وغلب عليه الطرف الثاني فغلب عليه ، وهو في الحالتين مجيد محكم ، وفي التعبيرين موفق بارع . . . واذا كانت المقدمة القصيرة التي حاول ان يقدم بها لقصيدة المديح هذه قد انتهت الى بيتين جمع فيهما من الصور والتراكيب ما اغناه عن بقية التفاصيل فأن انتقاله الى الحديث عن الانسان والقوة وطول الزمان والسلاح الذي يفلك تلك القوة كانت احاديث الشاعر تدخل في اطار الفلسفة الواضحة التي ظل الانسان المحور الاساس في تحقيقها ولعل اهتزازات الطلل وارتعاشات الصورة الكامنة في بقاياه المندثرة ارتبطت في ذهنه بصورة الضعف الذي يعتريه وهو يتراجع امام ابسط العوامل ويتردد عند اقل الاسباب تأثيرا انها الواجهة الكبيرة التي وقف عندها الشعراء وهم يستثيرون في دواخلهم اسباب المخاطبة ويهيئون الاجواء التي توحي لهم بعوامل الوقوف والحيرة والذهول وهو محور اخر من محـــاور الانتقـال المتحرك في الامتداد الزمني ويطوي اسفار الحياة ويبقى المستقبل المجهول الذي يحاوله الانسان غيبا وسرا غامضا لا يقوى على معرفته ولا يهتدى الى عناصره . وتظل المنيّة تلاحق الانسان وهو غير قادر على الاحتراز مما قدر عليه وهنا لم يجد الشاعر غير صورة الاعصم (الرمز التقليدي) لمجابهة الموت والصراع الابدي الذي لازم بعض القصائد . تعبيرا عن الفكرة المرادة ،

وايحاء بالقدرة الخلاقة التي يريد الشاعر ان يضيفها على ممدوحه . وطائرا من عتاق الطير يسكن ماعلا وارتفع ولا ينزل الا فوق شاهقة وقت الظلام ولولا الليل ما نزل وبعد ان تتكاثر هموم الصراع ، ويشتد هاجس الاحزان ، وترتفع اصوات القوة وهي تتحول في ابياته الى قدرة خارقة .. هنا تتبادر الى ذهن الشاعر صورة الانتقالة اللفظية التي عودتنا قصائد الشعراء على استعمالها في بناء القصيدة وهم يستذكرون الربع والديار ويسكبون الدموع والعبرات... انه الهم الذي يدعو الشاعر الى تجاوزه ولابد ان يكون تسريبه عن طريق الناقة الصلبة القوية التي لا تتشكى ولا تتضجر . لتكون اقدر على المقاومة واطول في المطاولة واصبر على متاعب الرحلة الشاقة . وفي هذا المقام المنبسط تترأى له تقليدا او عيانا صورة القطاة المنسوبة الى موضع كثير الحجارة اتخذت من الارض المستوية في غلظ مسكنا لها فوضعت فيه بيضها ، اذا اصابه البلل نفض جانبيه . واذا اطمأن الى موضع غادره الى موضع اخر ، واذا لبس شعرة جديدة سقطت شعرة قديمة يمتلك حريته وارادته ، ويصون نفسه من التبذل .. هنا يجد المدخل صالحا للممدوح وهي مقدمة قد تبدو فيها جدة ، لاننا نتعود على مثلها في مديح العصر ولم نجد تسلسل موضوعها في المقدمات التقليدية التي عرفها .. وهي خصيصة اخرى من خصائص الشاعر الذي ظل الجانب البدوي التقليدي يلح عليه في كثير من تقاليده ويفرض عليها وجها من الالتزام وفاء لتوجهه الذي تتوفر فيه صفات المجد والكرم والخير والكمال اليه يسعى المبتغون ويهرع المستغيثون وفي كنفه تطلب النجاة ويأمن المذعور(٣١)

وقال عنها ابو عمرو انها خيار قصائده وهي قصيدة عزيزة وقف عند بعض ابياتها البلاغيون وحسده عليها فحول الشعراء .

---

(٣١) تنظر القصيدة الرابعة .

ولم يسبق اليه في بعض صورها ولا يعرف لا حد مثل قوله في بعض ابياتها ، وقيل غير هذا في الحديث عنها او الاقتباس منها او عند الاستشهاد ببعض ابياتها . وهي من اكثر القصائد توزعا في مواضع الاستشهاد ولم يقتصر الاستشهاد بهـا على علم من علوم العربية وانمـا تجاوزها الى معظم علوم العربية من لغة وادب وبلاغة ونقد وتفسير ونحو وبلدان واختيارات .

والقصيدة فيها نفس المقدمات الطللية معنى وتراكيب وصور فالديار تعرف توهماً فتعاد زيارتها وقد شمل البلى آثارها ولم يبق فيها غير الأثافي التي اصطلت بالنار الحمراء ، وقد عريت من القدور التي ظلت تحملها امادا ، فاستلب الزمان رمادها ، واوشكت ان نزول رسوم حياضها ، وكأنها تنكرت لما وقع عليها من تغير ..... ان الابيات الخمسة التي قدم بها الشاعر كانت بداية الدخول الى الحديث المطلوب عن الخريدة الحبيبة ، والظبية البكر الفريدة التي يرتقي ومعها شادنها وهي تسوق سوقا رقيقا وقد صعدت به موضعا صعب المرتقى وبعد ابيات يعود الى (سعاد) التي بانت واخلفت الميعاد وتباعدت لتمنع الزاد . ولابد ان يدفعه هذا الحديث الى النزوع للوطن والحديث عنه بعد ان اصابته الشدة والتعب ولازمه الحنين والفراق ويقترن حديثه هنا بالفروسية التي تضع المرأة جانبا وغيرها تصبح وسادة ، يسرى يده وسادة لها وتضع الجانب الثاني من فروسيته لمصاحبة الجيش العرمرم فارسا يشهد كر الخيل وطرادها .... وقد يسر له هـذا التسلسل الحديث عن نفسه التي اصابت من المعيشة لذتها ، ولقيت من شدة الامور صعابها فستر عيب معيشته بتكرم واتى في سعة النعيم قصدها . ويتخذ الشاعر من حديث الانواء بداية للحديث عن الممدوح للعلاقة التي تشد بين العطاء وجود المطر والغيث وما يتبعه من خير . كما يتخذ من الفعل (نزل) بداية ويجانس بين الغيث والاغاثة وهو ما يعتقده بعد ان القت البرية كلها امورها اليه وسلمته مقادها ، وانها ارادة الله التي تولي الخليفة امر هذه الامة لتأخذ بيدها الى الصلاح والرشاد فعمر ارض المسلمين ونفى عنها من يريد فسادها .. ونزلت في ارض الاعداء مصائبا

فنصره الله وأعزّه بالظفر الذي لم ينل مثله احد من الخلفاء من قبل وان انتساب الوليد الى قريش يكفيها سيادة لما عرف به من سماحة ، ويبقى الشاعر يشيد بمأثر الخليفة الاموي الذي اخذ للحرب اهبتها ..

ولم يغرب عن بال الشاعر قدرة الوليد الحربية وما خطط له في مجال التحرير والفتح وانما كانت هذه الاحاديث تأتي في القصيدة (تأتيه اسلاب الاعزة عنوة) (يجمع للحروب عتادها) و (اذا رأى نار العدو تضرمت) و (بعرمرم يئد الروابي) و (اطفأت نيران العدو) ولم ينس اولئك الذين اتبعوا الهدى فكانوا من الخليفة لانهم كانوا ينظرون الى الامور ببصيرة وهدى . ولكن الحسّاد الذين اشار اليهم اصيبوا بحر شرار الحرب التي الهبت قلوبهم (٣٢)

وينحو فيها منحى قصائده الاخرى في المديح من وقوف على طلل واهتياج الشوق . ولكنه يطيل من اوصاف المرأة في هذه القصيدة ، وترق لغتها ، وتدق اوصافها ويصل في الحديث عنها ، وتأخذ صورة الحدوج لونا زاهيا والكواعب وجها بكرا وبعد الاستفاضة في اوصاف الناقة القوية التي اذهب لحمها السفر ، وهي تقطع المسافات الطويلة وتتجاوز الآكام في الهاجرة (وهنا تتكاثر الاوصاف التقليدية التي تقال في مدح الناقة السريعة والقوية) وفي هذه اللوحة تبرز قدرة الشاعر في حديثه عن الناقة وفق الصيغة المعروفة والتزامه بما سلكه القدامى في هذا المسلك ... وبعد ستة عشر بيتا من الوصف ينتقل الحديث عن حمار الوحش الذي تبع الاتان وهي الصورة التي ظلت في القاموس البلاغي صورة رائعة وقف عندها العسكري في ديوان المعاني (٣٣) فقال وقد احسن عدي بن الرقاع في وصف ثورين وما يثيران

(٣٢) تنظر القصيدة الخامسة .

(٣٣) العسكري ــ ديوان المعاني ١٣١/٢ .

في عدوهما من الغبار . . ثم قال : ولا اعرف في صفة الغبار احسن ولا اتم من هذا . ويكاد يجمع البلاغيون والنقاد على اجادته وبراعته (٣٤) (ينظر المرزباني – ٢٥٣ والسمط ١ – ١٣٩ وابن الشجري – ٩٢٥ والخزانة ٣–٢٣٧ ومجموعة المعاني – ٢٠٣) ويستكمل ابعاد الصورة بما يضاف اليها من لواحق وما تلون به من اشكال تعود الشعراء على الاتيان بها وهم يتحدثون عن الحمار واتانه . ليستقر ليلا عند ماء عين وعلا فيه نقيق الضفادع وتختم القصيدة التي لم نجد فيها بيتا للمديح . ولعل القسم الخاص بالممدوح قد سقط وهو الارجح لان عنوان القصيدة وقال عدي يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان وان التمهيد الطويل والسياق الفني كان يوحي بالامتداد الشعري للحديث عن الممدوح وهي ظاهرة نجدها في بعض قصائده (٣٥) .

ويتخذ من الحديث عن الشيب بابا الذي علاه فغشي المفارق والقذالا للدخول وقد اقترن بالحلم بعد الجهل واللهو . والتذكر الذي اعاد له ايام لهوه ثم يعرج على الديار التي مضت عليها حجج ولكنه يقطع على نفسه بأن الحب بعدها غاب ولم يجد في غانيه دلالا . . . . ويحملها اللوم الذي لا يغني . . تمهيدا للدخول الى الفلاة التي يجار الركب فيها لتقطعها بفتية ونياق يقف على بعض اوصافها لتكون مهيئة للوصول الى الممدوح الذي وجدت من نداه خيرا لانه (فتى قريش) كرما وفضلا واحلاما تزن الجبال . وان قريشا تعلم ان فيها سيوفا حين يحتضر القتال . وتتولى خصائص المديح وصفاته ولم يتحرج الشاعر من طلب الجائزة (٣٦) .

---

(٣٤) ينزل الهامش .
(٣٥) تنظر القصيدة السادسة .
(٣٦) تنظر القصيدة السابعة .

ويفتتح مديحه لعمر بن الوليد بن عبد الملك بالحديث عن الفراق والوقوف على الديار الذي يطيل في وصف عفائها وامتناعها عن الاجابة وما اصاب آثافيها وما صنع المستوقدون بها وما تفعله النار وما احيط بها من نؤى وانتصب بها من اوتاد وبقي من بقايا ، وما تثيره في نفسه من تطلع . وبعدها يدخل الى المديح الذي يباشر به الخليفة لما يذكره من اياد عليه ونعم يشكرها ومعروف يصفه ، وان كل ارض يهبط بها لايراه فيها تتنكر له وتتجهم في وجهه . فهو الاغر الاروع الرزين من شيمته اللين والكرم والقول الثبت والانتماء الاصيل والمكانة الرفيعة كانت لآبائهم وهم يتولون الامر فيحسنون اداءه ؛ ويتحملون مسؤوليتهم فلم يملوا ولم يسئموا ، صبر في الحرب ؛ يناضلون عن احسابهم عدول في القضاء، فزادهم ربهم خيرا وفضلهم بخير ما فضل السلطان والامم (٣٧) .

ويفتتح مديحه للوليد بن عبد الملك بالوقوف على الطلل المتقادم الذي يثير في نفسه من الاكتئاب والتذكر ولكنه يعود الى نفسه ليستفيق بعد هذه اللجاجة فالطلل اخرس صامت . . وكما اجمع النقاد والبلاغيون على تفرده ببعض الابيات المتقدمة فقد اجمعوا على تمرده في وصف المرأة وعندما تعلو ذكريات الشباب وتتسع دائرة الهجر يهرع الى الناقة التي يفرج فيها همه ويتخذها سريعة وهنا يتابع اوصافها لتصل به الى الوليد الذي وجد في كنفه ملجأ للحمد في مذاهب لا تنتهي ومكارم تعلو المكارم ومن الشرف في الذروة . اصالته معروفة يهب القينات ذوات الشعر الاسود والخيل والنعم والنجائب والحلائب من النوق والحوافل والروائم . وهي صور تذكرنا بصور النابغة التي كان يقدم بها لمديح النعمان .

يمدح عمر بن عبد العزيز ويفتتحها بالوقوف على الطلل الذي يمنحه الاوصاف التقليدية فيتوهمها بعد حول وقد خلت من اهلها (٣٨) .

---

(٣٧) تنظر القصيدة الثامنة .

(٣٨) تنظر القصيدة التاسعة .

ويتجلى في قصيدته التي فقد اولها وآخرها معرفته وتضمنه لبعض القصص القرآني فقد جاء على قصة نوح وداود وثمود واشار تفصيلاً الى قصة السفينة والطوفان وانتهى الى أن الانسان غير خالد ..

ولابد لنا ونحن ننشر ديوان شعر عدي بن الرقاع ان نذكر بالاعتزاز محاولة الاستاذ الجليل المرحوم خليل مردم لجمع شعر الشاعر بعد ان آلمه ضياع الديوان على الرغم من ورود بعض الاشارات . وقد استطاع ان يقدم باقة من شعره بعد ان جمعها من بطون كتب الادب واللغة والتاريخ والتراجم وكتب البلدان ، وهي مأثرة جليلة من مآثر العالم الجليل الى جانب مآثره الاخرى في جمع شعر الشعراء الشاميين ، وقد اضطره حبه الى ان يجمع الابيات المفرقة من الامكنة المتعددة ليضم بعضها الى بعض ، وقد يجد ابياتا من بحر واحد وقافية واحدة مبعثرة على سبيل الاستشهاد في كتب اللغة وكتب البلدان فيجتهد في ترتيبها ويجعلها قطعة واحدة متتالية .. وعلى الرغم من اعتزازنا بهذا الاهتمام والحرص على تقديم النصوص الا اننا نعتقد بانها طريقة خطيرة لانها تفقد النص ترتيبه وتمثل فيه وحدته التي ارادها الشاعر .

ويقف الاستاذ عبدالعزيز الميمني رحمه الله في كتاب الطرائف الادبية على ثلاث قصائد لعدي بن الرقاع ويشير الى مصدرها فيقول انها من المجموعة الموصوفة في مقدمة شعر حميد بن ثور وعند مراجعتنا لهذا المجموع وجدنا قول الميمني انه كانت توجد عند المرحوم احمد زكي مجموعة عشر قصائد وهي نسخة عتيقة عنوانها (منتخبات من كتاب المنتخب في محاسن اشعار العرب) ثبت عليها بخط حديث انها للثعالبي بظنٍّ باعد فيه الصواب صاحبه وربما تكون لابن السكيت والله اعلم لم اجتلها ولا ادري هل بقيت الى الان في خزانته ام لا غير ان المرحوم احمد تيمور كان قد نشر منها دالية ابن الرقاع في مجلة الآثار (السنة الثانية ص ٤٤٤) ثم يقول :

وبيدي الآن نسخة نقلها محمد بن محمد الباجوري سنة ١٣٢٨ لاحمد تيمور فصحف وحرف . وفي الهامش حاشية تذكر القصائد الثلاث (الطللا) و (اعتادها) و (سواها) ، وهي المذكورة في الطرائف وعند وقوفنا على القسم المتبقي من الديوان وجدنا هذه القصائد ولكننا وجدنا اختلافا ظاهرا في اللامية تمثل في .

١ – ان عدد ابيات اللامية في الطرائف هو ثمانية وعشرون بيتا في حين جاءت في قطعة الديوان واحداً وثلاثين بيتا مع اختلاف .

٢ – تلتقي القصيدتان في تسعة عشر بيتا وتختلف في الابيات الباقية .

٣ – هناك اثنا عشر بيتا في الطرائف غير موجودة في قطعة الديوان وعشرة ابيات في قطعة الديوان غير مذكورة في نسخة الطرائف .

٤ – الابيات في قطعة الديوان مشروحة تفصيلا في حين تشرح بعض الابيات في نسخة الطرائف .

٥ – تلتقي بعض الشروح نصا مع زيادة في شرح قطعة الديوان ويبدو ان الشرح المثبت في الطرائف قد اقتصر على بعض المفردات وهذا يعني ان الشرح اعتمد الديوان وقد حاولنا تلفيق القصيدتين منتفعين من الاشارات الواردة في النصين مع مراعاة البناء التقليدي للقصيدة والمعتمدة في بقية قصائد الديوان وطريقة الشاعر .

٦ – وعند مقارنتنا للقصيدتين المنشورتين في الطرائف وجدنا الاختلاف يتكرر الا ان فروق الابيات في الزيادة كانت اقل وان الاستاذ الميمني قد اجتهد في اضافة بعض الابيات التي عثر عليها في مواقع تخالف مواقفها في نص الديوان .

ويتضح لنا من دراسة القصائد الثلاث بعد معارضتها على القصائد الموجودة في الديوان انها جاءت موافقة لتسلسلها في الديوان وان شروحها مأخوذة من شروح الديوان بعد اختزالها واقتصارها على بعض المفردات وانها نقلت عن هذه النسخة او نسخة اخرى من الديوان . وان اوهاما من عيوب التحريف والتصحيف قد تسربت الى النسخة سيقف عليها القارىء .

مطالع قصائد الديوان وعدد ابيات كلّ قصيدة

١ — لمن الـدار كعنوان الكتـاب
هـاجت الشوق وعيّت بالجـواب
وتقع في أربعة وعشرين بيتاً .

٢ — لمن الدار مثل خـط الكتـاب
بالمـراقيـد أو بوكـر العقـاب
وتقع في أربعة واربعين بيتاً .

٣ — شطت بجـارتك النـوى فتحمـل
ونأتك بعـد مـودّة وتـدلّـل
وتقع في ستين بيتاً .

٤ — أتعـرف الـدار أم لاتعـرف الطللا
بلى فهيجت الأحـزان والوجـلا
وتقع في واحد وثلاثين بيتاً .

٥ — عـرف الديـار توهمـاً فاعتادها
من بعـد ماشمل البـلى ابلادهـا
وتقع في اثنين واربعين بيتـاً .

٦ — ما هاج شوقك من مغاني دمنـة
ومنـازل شعـف الفـؤاد بلاهـا
وتقع في ثمانية واربعين بيتاً .

٧ — عـلاني الشيب واشتعل اشتعـالا
وقـد غشي المفـارق والقـذالا
وتقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً .

٨ – بانت سعاد وليس الود ينصرم
وداخل الهم مالم تمضه سقم
وتقع في ثلاثة وثلاثين بيتاً .

٩ – الم على طلل عفا متقادم
بين الذويب وبين غيب الناعم
وتقع في سبعة وثلاثين بيتاً .

١٠ – لمن رسم دار كالكتاب المنمنم
بمنعرج الوادي فويق المهزم
وتقع في اثنين وخمسين بيتاً .

١١ – منع النوم طارقات الهموم
وأسيٌ وادكار خطب قديم
وتقع في ستة وثلاثين بيتاً .

١٢ – جزعت ان شتّ صرف الحي فانفرقوا
وأجمعوا البين بالرهن الذي علقوا
وتقع في ثمانية وعشرين بيتاً .

١٣ – أرواحٌ أم بكرة فاغتداء
بديون لم تقضهن الشفاء
وتقع في تسعة وستين بيتاً .

١٤ – لمن المنازل أقفرت بقباء
لو شئت هيجت الغداة بكائي
وتقع في تسعة وعشرين بيتاً .

١٥ – نزع الفؤاد عن البطالة والصبى
وقضى لبانته فأقصر وانتهى
وتقع في سبعة عشر بيتاً .

١٦ – بانت حسينة وائتمت بمن بانا
واستحدثت لك بعد الوصل هجرانا
وتقع في واحد وخمسين بيتاً .

١٧ – حدثت أن رويعي الإبل يشتمني
والله يصرف أقواماً عن الرشد
وتقع في ستة أبيات .

١٨ – ليت شعري هل تخبرني الديار
بيقين عن أهلها أين ساروا
وتقع في اثنين وخمسين بيتاً .

١٩ – غدا ولم يقض من سلومة الوطرا
وما تلبث اذ ولى وما انتظرا
وتقع في خمسة وثلاثين بيتاً .

٢٠ – عما يا ابنتي قيس صباحا ومظلما
وان كنتما أجمعتما البين فأسلما
وتقع في خمسة وأربعين بيتاً .

٢١ – أهمّ سرى أم عاد للعين عائر
أم انتابنا من آخر الليل زائر
وتقع في ستة واربعين بيتاً .

٢٢ – أطربت أم رفعت لعينك غدوة
بين المكيمن والرجيع حمول
وتقع في خمسين بيتاً .

٢٣ – نأتك حسينة فيمن نأى
وكانت نواها بها تسعف
وتقع في واحد واربعين بيتاً .

٢٤ ـ طال الكرى وألم الهم فاكتنعا
وما تذكر من قد فات وانقطعا
وتقع في واحد وخمسين بيتاً .

٢٥ ـ غشيت بعفرى أو برجلتها ربعا
رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
وتقع في خمسة وعشرين بيتاً .

٢٦ ـ أتعرف بالصحراء شرقي شابك
منازل أغراها الأنيس وملعبا
وتقع في أربعين بيتاً .

٢٧ ـ أحبّ ذا لقرينة لم تصحب
وحبل اللبانة لم يقضب
وتقع في سبعة عشر بيتاً :

٢٨ ـ إن الخليط أجد البين فانقذفوا
وامتعوك بشوق أية صرفوا
وتقع في اثنين وثلاثين بيتاً .

٢٩ ـ ألاربّ لهو آنس ولذاذة
من العيش يغبيه الحياء المستر
وتقع في واحد وعشرين بيتاً .

المعجم الذي نريده

الدكتور يوسف عز الدين

من لفتات مجمع اللغـــة العربيـــة الاهتمام الواضح بالمعجم العربي منـذ نشـأته ، وملاحقة تطوره ، ودراسة جذور المعاجم العربية وأصولها ، لأن المعجم أي معجم ولاية لغة من لغات العالم هو الذي يحفظ لغتها ،والمصدر الذي يعود اليه الباحث ، والاصل الذي يستعين به الدارس لمعرفة أصالة اللغة وتراثها الحضاري ،وهو الوعاء اللغوي والمرجع الحضاري للدارس ؛ فلابد اذن من ان يتطور هذا المعجم ليلائم الحياة المعاصرة ،لان المعجم العربي القديم على حسب قول الاستاذ الدكتور ابراهيم مدكور . . (على غزارة مادته وتنوع أساليبه أضحى لايواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته ، ففي شروحه غموض ، وفي بعض تعاريفه خطأ ،وفي تبويبه لبس (١) اضافة الى الحرص الذي سيطر على علماء اللغة فلم يأخذوا الا من مصادر محددة وفي زمن محدد ومكان محدد .

وقد حفل المعجم العربي برغم تنوع أصول لغتنا واختلاف اتجاهاتها الفكرية على مدار عمرها الطويل جانبا كبيرا من التراث اللغوي والارث اللساني للامة العربية دون متابعة لحركة اللغة المستمرة التي تحتوي اللفظة الجديدة والمصطلح الحديث ودخول أساليب تعبير تتغير بتغير الفكر الانساني عندما يريد الاستفادة من المستجدات في ساحة الفكر والحضارة .

(*) مقدمة المعجم الوسيط الطبعة الثانية بقلم الاستاذ الدكتـور ابراهيم مدكور .

ان الانسان المثقف الرائد هو صانع اللغة ، وكلما اتسعت آفاقه الفكرية ونمت حضارة مجتمعه كبرت ساحة التعبير وارتفعت طرائق الكتاب وتنوعت أساليبهم حسب ثقافتهم ومحتويات أذهانهم واتساع خيالهم وحاجتهم الى الابداع .

اول صلة بالمعجم :

وعندما كنت طالبا في كلية الآداب لفت أنظارنا صدور «مقاييس اللغة» لابن فارس الذي حققه الاستاذ عبدالسلام محمد هارون وسارعنا الى اقتنائه حباً بالاستاذ الذي له مكانة خاصة في نفوسنا ورغبة في علمه ، وتدارسناه فوجدناه معجما جديدا لا يشابه لسان العرب ولا القاموس المحيط ،انه الاشتقاق الكبير . وقرأنا المقدمة التي حوت مختلف النصوص الجميلة والاخبار المستفيضة عندما تحدث عن ابن فارس وأخباره وحياة النقد والادب وما ألفه ابن فارس ، وكانت المقدمة باعثا لاكثرنا لمعرفة أسماء المعاجم كالجمهرة والصحاح وغيرهما من المعجمات التي لا يدرسها الطلاب ولايشار اليها الا قليلا .

وكان هذا سببا لنا لدراسة الجاسوس الذي أخرجه أحمد فارس الشدياق لاننا اردنا أن نتعرف على أغلاط الزبيدي الذي ملاء نفوسنا اعجابا بشرحه واستفاضة علمه .

مع المعاجم :

دُرِسَ تطور المعجم العربي ونشأته وتطوره بعد أن لفت المجمع الموقر الى أهميته منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فظهرت عدة دراسات وبحوث ملأت جانبا من الساحة العلمية . ولكن المعجم العربي بقي محتاجا الى ادخال الجديد فيه فبالرغم من أن بعض هذه المعجمات صنفت حسب الحروف الهجائية وطبعت طبعات ممتازة فقد بقي بحاجة جادة الى تجديد لأن جمع كلمات المعجم واختيار ما يناسب العصر الحديث بحاجة الى وقت طويل وصبر لا يدخل الوقت في حسابه .

لم يكن العرب في حياتهم الأولى بحاجة الى معجم يلم شتات أدبهم ولغتهم لانهم يتكلمون العربية الصافية ويعرفون اللهجات ويتحدثون بها برغم اختلاف هذه اللهجات ،لأن العرب كانت تحضر المواسم وتحج ،وهذا الاختلاط عرفهم على اللهجات فابتعدوا عن الكشكشة وهي في لغة ربيعة ومضر (١) ،والعنعنة التي كانت كثيرة عند العرب وبخاصة لغة قيس وتميم (٢) . والفخفخة عند هذيل (٣) والوكم في لغة ربيعة ومازال بقية في العراق في الموصل . تقول عليكم وبكم اذا كان قبل الياء كسرة أو (ياء) ، والوهم في لغة كلب يقول منهم وعنهم ،وان لم يكن قبل الهاء ياءاً أو كسرة مثل هذه موجودة اللهجة في العراق حتى اليوم ،ومن العرب من يجعل الكاف جيما ،وفي العراق من يقول للكلب جلب عند الشتيمة ، ولكن يسمونه الكلب بغير شتائم . وقد ذكر الثعالبي في «فقه اللغة» والسيوطي في «المزهر» وغيرهما من كتب العربية ، أشياء كثيرة .

وقد حافظت قريش على اللغة العالية او اللغة (الارستقراطية) المشذبة الرقيقة الجميلة وساعدهم على احترام هذه اللغة مكانتهم من المقدسات وانهم سدنة الكعبة المشرفة ،فنظم في هذه اللغة الشعر العربي وخطب فيها حتى غدت

(١) الكشكشة يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث سيناً فيقولون : رأيكش وبكش وعليكش ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف مثل منش وعليش ؛ وقرا بعضهم قد جعل ربش تحتش سريا لقوله تعالى « قد جعل ربك تحتك سريا واهل العراق مازالوا يقلبون الكاف ج فيقولون عليج وتحتج وقال الثعالبي في لغة تميم والكسكسة في لغة بكر (المزهر ص ٢٢١) .
الثعالبي انها في لغة قضاعة ، وفي الخصائص العنعنة عند تميم والكشكشة عند ربيعة والكسكسة عند هوازن : المزهر ص ٢٢١ .

(٢) الفخفخة : جعل الحاء (عينا) .

(٣) المصدر السابق ــ ص ٢٢٢ .

افصح العرب ، والغريب ان قريشاً لم تخرج شـــاعرا واحدا قبل الاسلام برغم انها فخرهم وانهم كانوا يحكمون بين الشعراء والادباء وانهم نقدة اللغة والمحافظون عليها والحريصون على التمسك بها .

دخــول غير العرب :ـ

كان العربي يعتمد على ذاكرته في حفظ الشعر ورواية الاخبـــار والايام وكان يملك ذاكرة قـــوية واعيـة ، وهي نعمة كبيرة ؛ لكنهـــا كانت سببا مباشرا في ضياع الكثير من حضارة العرب قبل الاسلام اذ لم يعرفوا التدوين الذي يسجل المـــاثر في النصوص والأخبار ، وهو ادق من الذاكرة وبقي هذا ديدن العرب حتى ظهرت العجمة بين ابنائهم واراد المسلمون من الشعوب الأخرى تعلم اللغة العربية لفهم القرآن الكريم ومعرفة الغريب فيه فنشـــأت جماعة من المسلمين تشـــوب لغتهـــم العربيـــة العجمـــة في النطق منهم زياد الاعجم وأبو العلاء السندي والمحدثان مكحول ونافع ،وكانت البلية ان تسرب اللحن والعجمة الى العرب مثل عبيدالله بن زياد فقد كان يرتضخ لكنة فارسية أتته من امه . وخالد بن عبدالله القسري (٥) .

بداية المعجم :ـ

ان فهم غوامض الالفاظ في القرآن الكريم والحديث النبوي دعاهم الى وضع معجم يفسر هذه الغوامض.وكانت هذه معاجم فردية تتتبع الكلمات الصعبة وتشرح المواد غير المفهومة حتى ظهرت فكرة التدوين والتسجيل العلمي فكانت مثل هذه المعاجم الصغيرة من ضمن المعجم الجديد وبداياته . اضافة الى ما كان يجمعه علماء العربية من الاعراب ، وما وجد عند الصحابة شبه كراسة للمعاني لانهم كان يحفظون ما يسألون عنه الرسول الكريم من الكلمات التي لا يفهمونها .

فالمرحلة الاولى كانت فهم الكلمات الغامضة دون كتابة.ثم كتبت بعض الشروح بصورة فردية.ثم بدأ يجمعها علمـــاء اللغـــة لفهم المعنى ، وكان

(٥) المعجم العربي للدكتور حسين نصار ص ٢٣ و ٢٤ .

من نتائج هذه الكلمات ومعــانيها تأليف بعض الرســائل . ثم تطورت الى جمع شتات هذه المعاني في معاجم . ومن تلك الرسائل او المجاميع كتب أبي حاتم في الازمنة والحشرات والطير ،وكتب الاصمعي في السلاح والابل والنخيل واسماء الوحوش والنبات والشجر ، وكتب ابي زيد في المطر وغيرها .

أي ان جمع المعاني بدأ منفردا وبصورة شخصية في جمع مواد متشابهة سواء أكانت في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي أو النوادر وبعض مايمليه الاعراب دون تنسيق او تبويب علمي .

قدم المعاجــم :ـ

ان المعاجم ليست جديدة على الفكر العلمي ولا حديثة على تجارب الانسانية فقد وجــدت في الرقم الطينية في مكتبة آشور بانبال في نينوى معاجم سومرية اكدية بالخط المسماري ،وهي معاجم مزدوجة قريبة من ترجمة الكلمات لفهم لغة السومريين وأدبهم وشرائعهم (٦) ، والاستفادة من الحضارة التي سبقتهم ، كما وجدت معاجم يونانية رومانية واشار باحث الى معجم وجــد حوالي ميلاد المسيح هو معجم فاليروس فلا كوس فيه معاني الكلمات وما اشترك من الكلمات (٧) . فهل وصلت انباء هذه المعاجم القديمة وتعرف فيها العرب لاسيما الخليل وعلى نماذج منها فاوحت لهم بوضع المعجمات ام ان الحاجة عند جميع الامم هي التي دعت الى الاختراع

العين للفراهيدي :ـ

شك في نسبة العين بعض العلماء للفراهيدي كالاخفش والنضر بن شميل والسدوسي والازهري وابن دريد،ولعل مبعث هذا الشك جدة العمل،وهو

---

(٦) حدثني الدكتور حسن ظاظا بأن عددا كبيرا منها في متحف اللوفر .
(٧) فقه اللغة للدكتور عبدالواحد وافي ص ١٢٩ ــ ٢٨١ .

عمل رائد لم يألفه معاصروه ، ومن طبيعة كل جديد ان يلقي الهجوم ولكنه وجد انصارا مثل ابن فارس والمبرد وابن الانباري والزجاج، وقد اختلفوا فيمن كتب العين ومقدار المساهمة التي قدمها الخليل، لكنهم اتفقوا على ان الخليل هو صاحب الفكرة وصاحب المنهج واسلوبه. وقد ناقش مدى اسهام الخليل جمهرة من الباحثين وعرضت اراؤهم في «المزهر» و«تهذيب اللغة» و«مقاييس اللغة» و«الجمهرة» و«نزهة الالباء» وقد تحدث الاستاذ الدكتور علي عبدالواحد وافي في نسبته ومنهجه الدقيق في تركيب الكلمات (٨) .

ومن القدماء الذين تعرضوا للعين السيوطي فقال : —

« أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد . ألف في ذلك كتاب العين المشهور . قال فخر الدين في «المحصول»: أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب العين . وقد اطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه . وقال السيرافي في « طبقات النحاة » — في ترجمة الخليل عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة، وهذه العبارة من السيرافي صريحة في أن الخليل لم يكمل كتاب العين ...) (٩)

ومن الطريف ما رُوي عن ابن المعتز : —

كان الخليل منقطعا الى الليث، فلما صنف كتاب العين خصّه به فحظي عنده جدا . ووقع منه موقعا عظيما . ووهب له مئة ألف درهم، واقبل على حفظه وملازمته . فحفظ منه النصف، وكانت تحته ابنة عمه، واتفق ان اشترى جارية نفيسة . فغارت ابنة عمه وقالت : والله لا غيظنه، إن غظته في المال فذاك مالا يبالي، ولكني اراه مكبا ليلة ونهاره على هذا الكتاب، والله لا غيظنه به . فاحرقته، فلما علم اشتد اسفه، ولم يكن عند غيره منه نسخة، وكان الخليل

(٨) فقه اللغة ص ٢٨٢ وكلام العرب ١٧٢ والمعاجم العربية ص ٢٣ .
(٩) المزهر ص ٧٦ .

قد مات فاملى النصف من حفظه وجمع علماء عصره وأمرهم ان يكملوه على نمطه (١٠) وقد بحث فيها المزهر واستقصى الاراء فيها (١١) .

ان الرسائل والكراريس التي جمعت اخبار العرب ومنها ماحقق ونشر حفظت كثيرا من اللغة.وجهود الاستاذ عبدالسلام هارون مشكورة في تحقيقها مثل كتب ابن فارس والاصمعي وابي عبيدة،فكانت مادة اولية استفاد منها المعجم العربي وقد اشاد صاحب الجيم بمثل هذه المجموعات عندما وضع حرف الراء والعين والفاء والقاف من دواوين سبعة عشر شاعرا مثل امرىء القيس والنابغة وامية ابن ابي الصلت وزهير بن ابي سلمى وغيرهم (١٢) .

جمع اللغة :ـ

وأخذ العلماء يجمعون الالفاظ والكلمات والنصوص المختلفة من الحياة العامة والرواة الفصحاء ، معتمدين على لغة قريش لانها أفصح العرب واسلمها نطقا واحسنها مسموعا،ولم يؤخذ من حضري قط ولا من سكان البراري ممن كان يكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم (١٣) وفي اللغة فصيح وافصح قال في الجمهرة : —

البُرّ افصح من قولهم القمح والحنطة . واللغوب افصح من اللغب وفي الصحاح : ضربة لازب افصح من لازم (١٤) .

وقد دس بعض اللغويين بعض كلمات والفاظ لا اصل لها حباً في المفاخرة والمباهاة والشهرة،وقد عرف بذلك عن صاعد اللغوي والمبرد وابن عمر الزاهد حتى قال الخليل (ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب

(١٠) المزهر ص ٧٧
(١١) المصدر نفسه ٧٦ ـ ٩١ .
(١٢) كتاب الجيم لابي عمر الشيباني تأليف فرنرديم وترجمة الدكتور حسن الشماع ط . الرياض ١٩٨٠ ـ ص ٣٨ .
(١٣) المزهر ص ٢١١ و ٢١٢ .
(١٤) المصدر نفسه ص ٢١٢ و ٢١٣ .

ارادت اللبس والتعنت) ، كما اتهم الازهري والليث وابن دريد وابن قتيبة والجاحظ بشيء من ذلك، كما اتهم ابن فارس ابن دريد صراحة (١٥) لذلك دخل فيها بعض الكلمات والالفاظ التي لا أساس لها في اللغة العربية مما يقتضى الاحتراس من الاعتماد عليها في وضع المعجم الجديد ، وهي معروفة لدى ذوي الاختصاص من اعلام اللغة أكثر من غيرهم .

واتسعت العربية اتساعا كبيرا على مرّ العصور والاجيال وقد احصاها العلماء فقيل « ان مبلغ ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الاربعة من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمئة ألف وخمسة آلاف واربعمائة واثنا عشر) (١٦) ولا ادري كيف احصى هذا العدد الضخم الذي زاد على اثني عشر مليونا ونصف المليون. قال ابن فارس : (ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها،وان الذي جاء من العرب قليل من كثير،وان كثيراً من الكلام ذهب بذهاب اهله ...) (١٧) ترى كم عدد الكلمات الان بعد ان وصلت الحضارة مرحلة متطورة ودخل عليها من الالفاظ المولدة والمعربة والدخيلة ؟ .

ولا عجب ان قال بعض الفقهاء (كلام العرب لا يحيط به الا نبي) (١٨)

تطور المعجم :ـ

مر المعجم بعدة ادوار حتى استكمل ولائم الحياة الفكرية.واتفق اللغويون على ان العين اول معجم رتب مستفيدا من الرسائل والمجموعات التي جمعها أصحاب اللغةو صنفت حسب مخارج الصوت، وكان حرف العين الأول ثم الحاءو الهاء..

ثم ألفت أو جمعت بعده معجمات كالجمهرة ثم « البارع » لأبي علي القالي و«التهذيب» للأزهري و«المحيط» للصاحب و«الصحاح» للجوهري ، وغيرها .

(١٥) المعجم العربي ـ ص ٧٤٩ ج ٢ .
(١٦) المزهر ـ ص ٧٤ .
(١٧) المصدر نفسه ص ٦٦ .
(١٨) المصدر نفسه ص ٦٤ .

وقف الازهري ناقدا واراد ان يغربل اللغة العربية مما دخلها من شوائب وتصحيف على يد سابقيه ومعاصريه لانه كما قال (قصدت بما جمعت فيه نفي ما ادخل في لغات العرب من الألفاظ التي ازالتها الاغبياء عن صيغتها الغتم عن سننها وتهذيب ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي ...) (١٩) .

وظهرت بعد ذلك عدة معجمات معروفة ، ثم تبعتها المعاجم الأخرى بداية من العين وانتهاء بالوجيز والوسيط والكبير .

ان الجهد المخلص ومواصلة هذا العمل بصبر واناة وتؤدة والتفرغ التام لجمع اللغة كان رائده العقيدة والعلم ، وظهرت المنافسة والغيرة التي وصلت الى درجة الهجاء بين المتنافسين على جلالة قدرهم،فعندما اصدر ابن دريد « جمهرة الكلام » استفاد من العين كثيرا حتى ظهر شَبَه كبير بينهما وولدت إحن بينهما ، فقال نفطويه ابراهيم بن محمد بن عرفة :—

ابن دريد بقرة
وفيه عي وشره
ويدعي من حمقه
وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين
الا أنه قد غيّره

فرد عليه ابن دريد : —

وشاعر يدعى بنصف اسمه
مستأهل للصفع في أخذعيه
احرقه الله بنصف اسمه
وصيّر الباقي صراخا عليه

(١٩) المعجم العربي جـ ٢ ص ٣٣١ .

وتلك سجية معروفة بين المتعاصرين . و «كلام الاقران في بعضهم لايقدح» كما قال السيوطي وهو ممن دافع عن ابن دريد ولم يقبل طعن نفطويه لما كانت بينهما من منافرة عظيمة أدت الى الهجاء (٢٠) .

فائدة المعاجم القديمة :ـ

لاجدال في ان المعاجم العربية على اختلاف مؤلفيها وعصورها هي المادة الاولى الغزيرة التي يقوم عليها حتى هذا اليوم، فقد بذل العلماء جهوداً كبيرة وافنوا اعمارهم في جمع الشوارد والشواهد والنصوص المختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والامثال وغيرها . ويكفي ابن منظور أنه هو المعول عليه حتى اليوم . * جمع المعجم منفردا وفيه غني للدارس والباحث والمستفيد ، غير ان الحياة الجديدة وتطور الحضارة التي تحاول ان تسهل كل الامور لطلاب البحث بأقرب الطرق وأبسطها وجدت ترتيب المعاجم التي جاءت على حروف المعجم وحسب اواخرها تدعو الى العودة الى الفعل الثلاثي لمعرفة جذر الكلمة واصلها ، اضافة الى عقبة اخرى يراها الدارس المعاصر شي وضع حرف الواو بعد حرف النون من بعدها الهاء والياء وهي طريقة لايفهمها أو يقدر على السير عليها طالب العلم المعاصر الذي لا يعرف حتى ترتيب حروف الهجاء وحفظها فلا يجد الكلمة التي يريدها ، وان كان قصد صاحب المحيط علمياً صرفاً لانه احتاط للفصل ما بين اوله (واو) وما اوله (ياء) ووضع لذلك الرموز كيلا يطول المعجم . .

والمشكلة الكبرى ان كثيرا من الطلاب من محدودي الثقافة بالنحو والصرف يصعب عليهم معرفة حذور مادة البحث للتعرف على أصلها واشتقاقها وما فيها من زيادة . فالطالب لا يقدر ان يعرف ان : —

(يوسف) موجودة في أسف وان اصل كلمة

(سيد) موجودة في سود وان كان ثلاثياً

(٢٠) المزهر ص ٩٣ و ٩٤ .

(السِنة) للنعاس هو وسن

(التوارة)موجودة في ورى

واشهد بان المحيط أكثر ما نعتمد عليه ودائماً . لصغر حجمه وكثرة موارده

المعاجم الجديدة في الغرب :ـ

وقد تطورت المعاجم في الغرب كثيراً،وبدأ العلماء يعيدون النظر في معاجمهم القديمة على ضوء حاجات العلوم الحديثة والتقنية المتنامية والنصوص التي كتبها رواد الادب المبدعون في الشعر والقصة والمسرحية وأدخلوا الكلمات المعاصرة التي شاع استعمالها .

ووضعوا معاجم مختصة في الطب والهندسة والحُسّابة (الكومبيوتر) والاقتصاد والزراعة،وخصصوا معاجم للشعراء والكتاب،ومعاجم للعصور الادبية والتاريخية،ليلائم كل معجم صاحب الاختصاص وكيلا تكون فوضى في وضع المصطلحات الحديثة بالرغم من اعتماد دول الغرب في الاعم على اللغة اللاتنية .

وقد قام مجمع اللغة العربية بعمل رائد عندما اخرج الوسيط ثم نقحه وخلصه من الزوائد وأصبح من خيرة المعاجم المعاصرة،وهو جاد في العمل لاخراج المعجمات المتخصصة حرصا على صفاء اللغة واصالتها وتطوير لغة المعاجم بما يناسب لغة العصر الحديث،لان اللغة العربية تطورت تطورا واضحا اضافة الى تراثها العريق الثر الغزير .

ومن مظاهر سعة العربية خروج الكلمة عن معناها بالاشتقاق أو الكناية أو المجاز أو الوصف فمن تلك الامثلة ق

١ ـ الابهام ـ الفعل أبهم صعب فيه الرؤية لكثافتها،ولان البهائم لاتوضح او لا تنطق سميت بهيمة الانعام .

٢ ـ الغموض ـ من اغلاق العين .

٣ ـ الكلام ـ من كلم جرح ثم خرجت الى عدة معاني .

٤ — الجرة — سميت لانها تسحب وتجر من عروتها .
٥ — التأكيد والتوكيد — من اكد السرج قواه ومكنه .
٦ — الجمهور — كثرة الرمل .
٧ — راجح — من رجحان الميزان .

عمل المجمع :—

ولم يغفل مجمع اللغة العربية التطور الذي طرأ على اللغة وما فيها من ترادف واشتراك واضداد واشارات معنوية أو حسية ومصطلحات الفلسفة وعلم الاجتماع والنقد .

وقد تحمل مجمع اللغة العربية في القاهرة عملا كبيرا متسع الاغراض بعيد الهدف واضح المنهج سهل الأسلوب للدارس والباحث فلم يسجل المعجم للغة العربية وحدها بمعانيها وشواهدها وامثلتها ، انما اعطانا صورة حية للحضارة العربية وتراثها الفني وثروتها اللغوية التي تهم المثقف والكاتب المحترف والصحافي والاديب الذين يحتاجون الى الكتابة فناً والافصاح مذهباً. وقد حدد ذلك كله في المقدمة مع ما اخذه من المصطلحات . فقال بتواضع كبير

(فلا ينبغي ان تنتظر ان تجد في هذا المعجم كل ما تحتاج الى فهمه من من الألفاظ فليس هو معجما علميا ، ولن يأخذ من مصطلحات العلوم على اختلافها الا ما يشيع بين المثقفين ويصبح جزءاً من اللغة العامة: لغة الكتابة والكلام . .) (٢١)

وأبرز المعجم البحث عن الجذور التي تتصل باللغة العربية باخوانها القريبة منها، فكان جهدا ممتازا قدّم لكل كاتب ومثقف ما تهمه من الكلمات والألفاظ . كما استفاد منه المؤرخ والأديب واستاذ الجغرافية والفلسفة، فقد حوى من اللغة

---

(٢١) مقدمة المعجم الكبير بقلم الدكتور ابراهيم مدكور .

الحضارية والتطور الأصيل . وقـد نخـل كل من المعجمين الكبيـر والوسيط النصوص العربية من الحواشي والمهجور وما لايستعمله الكتاب وما لا ضرورة له، واعتمد على النصوص العربية الفصيحة والمعتمدة كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغـة رواد الفصاحة من الشعـراء والكتاب، وبذلك حفظ اللغة العربية على امتداد حضارتها بأجمل صورها اللغوية، وطوّعها حسب حاجة العصر الجديد برغم طول المدة الزمنية وعرضها في حياة لغتنا .

وافاد الوجيز الذي كان رائدا طبقة عريضـة من الطلاب ومتوسطي الثقافة وكثيراً من المتعلمين الذين يحتاجون الى اللغة اليومية حيث أنه :

« اورد الألفاظ حسب نطقها لا حسب تعريفها، مقدما الافعال على الاسماء والفعل المجرد على المزيد ، واللازم على المتعدي ، والدلالة الحسيـة على الدلالة المعنوية؛ واكتفى في المادة اللغوية بما يتلائم مع مراحل التعليم العام » (٢٢) .

إن المعاجم التي اخرجها مجمع اللغة العربية تتجلى فيها الدقة والسهولة والوضوح والتزام الترتيب اللفظي مسايرا خصائص اللغـة وما فيها من اشتقاق معتمدة على النصوص والشواهد ومراجعة كتب العرب في الادب والعلم ، فأن اللغة (كل متصل الاجزاء يرتبط حاضره بماضيه، وهما معا يعدان لمستقبله وللعربية قديمها الخالد وحاضرها الحي ومستقبلها الزاهر) (٢٣) ولم يقف عند مدة زمنية أو عصر من عصور الحضارة ، انهـا معاجم دقيقة الترتيب واضحة التبويب ، عرضت فيها اللغة العربية على صورة جيدة سهلة المأخذ والفهم .

المعجم الذي نريده :ــ

بعد أن جلت هذه الجولة التي ليست بقصيرة، ومررت سريعا ببعض المعاجم القديمة والحديثة وجدت ان المعجم الذي اتمني ان أراه لا يختلف كثيرا عن

---

(٢٢) مقدمة الوجيز ط ١ بقلم الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور .

(٢٣) مقدمة المعجم الكبير ط ١ سنة ١٩٧٠ الاستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور .

معاجم اللغة العربية التي اخرجهـا مجمع اللغـة العربية، الخص الصورة التي اتمناها وان وردت في المعاجم على النحو التالي :

١ – ان يبعـد المعجم الألفاظ العـامية جميعهـا حتى اذا كانت تستعمل الجرائد والمجلات التي كثرت فحيرت الجيل بين الأصل الدخيل وتسربت الى الوسيط الذي فيه كلمات يكثر استعمالها في قطر من الأقطار العربية وقلما تستعمل في غيرها .

٢ – ان يكون المعجم سهل المأخذ، بعيدا عن الحشو في وصف الألفاظ وشرح الغوامض من المعاني، وكثرة الشواهد عن كلمة واحدة، وابعاد ما مات من اللغة والمفرد منها، وما لم يستعمل منذ زمن امرئ القيس والفرزدق وما تحذلق فيه اللغوي أو غلط فيه البدوي أو ما هو خاص بلهجة واحدة .

٣ – ان تكون شروح المعاني دقيقة المعنى محدودة الهدف مركزة كل التركيز بعيدة عن التصحيف والاغلاط المطبعية التي انتشرت في الكتب .

٤ – اعادة تصنيف «المحيط» و«لسان العرب» و«العين» و«الجيم» حسب الترتيب الابجدي تحت اشراف علمي، فقد رتب «لسان العرب» ولكن اضيف اليه ما لم يكن بحسبان ابن منظور من مصطلحات جديدة .

٥ – ان تعد معجمات للشعراء وكتّاب النثر في كل فترة من فترات اللغة العربية كالجاهلي والاموي والأسلامي اضافة الى جهود المجمع الكبيرة في المصطلحات لربط التطور الحضاري بالنمو اللغوي . فمن قاموس البحتري، وأبن تمام، والمتنبي نعرف تطور الحضارة في عصرهم، ومن لغة عبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وابن عبد ربه نتعرف على المفهوم اللغوي للمجتمع المثقف والعام والتطور الاجتماعي والفني .

٦ – وضع معجم نقدي للغة ابن سلام، والامدي، وابن قتيبة، والجرجاني، وابن المعتز .

٧ – وضع معجم للدلالة الاجتماعية والتاريخيـة .

فيقال في بعض الأقطار العـربية (عيش) وفي العراق (تمن) وفي مصر (رز) . ويقال في بعض الأقطار العربية (سم) ويعنون سمعاً وطاعة لهذا يدهش السامع عندما يتحدث معك هذا العربي الأصيل ولما يريد اعادة الكلمة يقـول لك سم . وفي العراق نقول (تالة) وهي الفسيلة وغيرها من الدلالة الحضارية والتـاريخية للكلمـة .

كتاب السموم

المنسوب لجابر بن حيان

الدكتور جابر الشكري
عضو المجمع العلمي

تمهيـد :

جابر بن حيّان علم من أعلام العباقرة في التاريخ العلمي العربي ، وغير العربي . فهو الفيلسوف والعالم والرائد الأول لعلم الكيمياء .

ولد (أبو موسى) جابر بن حيّان بن عبدالله الكوفي الأزدي في طوس . في حدود سنة ١٠٠ هـ ـ ٧٢٠م . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ومكانها. وممّا قيل في ذلك انه توفى في الكوفة او في غيرها من المدن الاسلاميّة سنة ٢٠٠ هـ ـ ٨١٥ م (١) . او سنة ١٩٥ هـ ـ ٨١٠م (٢) ، أو سنة ١٦٠هـ(٣)

كان جابر بن حيّان من أغزر العلماء العرب في الكتابة والتأليف . فقد ذكر ابن النديم (٤) نحو ثلاثين ومئتين كتابا او رسالة . ويقال ان هذه القائمة ناقصة . حيث فقدت اكثر كتبه .

وتبلغ أشهر الكتب المعروفة لجابر بن حيّان نحو تسعين كتابا مقسمة على النحو الآتي : ـ

١ ـ الكتب التي توجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة . (وعددها بحدود ٣٢ كتاباً) .

٢ ـ الكتب التي عرفت في اوربا ، ولم تعرف في العالم العربيّ الحديث . (وعددها ١٢ كتاباً) .

٣ — الكتب التي ذكرت في الفهرست ، وهي امّا معروفة بالاسم فقط ، واما موجودة بالفعل . (وعددها ٣٦ كتابا) .

٤ — الكتب التي لم تعرف الاّ عناوينها . (وعددها ١١ كتاباً) .

كتاب السموم :

لم يرد ذكر هذا الكتاب مطلقاً في أيّ مصدر من المصادر التاريخيّة القديمة او الحديثة . فلا ذكر له في الفهرست او في كشف الظنون ، ولا في مصنّفات هولميارد او بول كراوس (٥) . وقد ذكره سوزكين (٦) وبركلمان (٧) ، ولكن المصادر التي اعتمدا عليها لم تزد على المصادر التي سنذكرها في بحثنا هذا .

نشرت مجلة المقتطف في سنة ١٩٢١ م موضوعاً موجزاً بعنوان « كتاب السموم لابي موسى جابر بن حيّان الصوفي » (٨) . وممّا جاء فيه : « ولعلّ المخطوطات القديمة من القرن السادس الهجري الى العاشر كثيرة في كلّ دور الكتب في هذا القطر وغيره من الأقطار ، ولكن النادر منها قليل ، ومن أندرها فيما نظن وقفنا عليه الآن وهو كتاب السموم لابي موسى جابر بن حيّان الصوفي تلميذ جعفر الصادق ، وهو من مخطوطات كثيرة ابتاعها حديثاً البّحاثة المدقّق أحمد باشا تيمور . يقال في آخره انه كتب بشيراز سنة ثلث وخمسمائة خراجيّة — وتحت ذلك — ما نصّه — طالعهُ منصور بن علي ونقله لنفسه باجمعه تعليقاً في سنة ٦٣٩ هجرية كما ظهر من رسم الصفحة الأخيرة التي صوّرناها بالفوتو غرافيا . وقد دخل هذا الكتاب في ملك كثيرين في ازمنة مختلفة منهم الصلاح الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هجرية ومحمد عبدالرحمن الانصاري وقد دخل في ملكه سنة ٨٢٢ وأحمد بن علي ودخل في ملكه سنة ٨٣٠ وذلك كلّهُ واضح من الصفحة الأولى التي نقلنانا عنه بالفوتوغرافيا » .

ثم ذكر كاتب البحث شيئاً مما جاء في مقدّمة الكتاب ، وفصوله الست ومحتوياتها . ومنذ سنة ١٩٢١ ظهر الكتاب للعيان وتناوله المؤرخون والكتّاب .

نسخ الكتاب :

١ — النسخة التي كتبت بشيراز سنة ثلاث وخمسمائة (٥٠٣) الخراجيّة من نسخة سقيمة . وعلى هذه النسخة التعليق الآتي : طالعه منصور بن علي ونقله لنفسه بأجمعه تعليقاً في سنة ٦٣٩ . ويقول أيضاً : انتسخت هذا الكتاب من نسخة سقيمة واجتهدت في الاصلاح وما لم يتيسّر اصلاحه علمت في حاشية الورقة نقطة وكتب كيْخُسْرُو بن العلا الشيرازي بالتاريخ المذكور والحمد لله وحده .

وتحتوي هذه النسخة على (١٩٣) ورقة ، في كل ورقة صفحتان (أي ٣٨٦ صفحة) وفي كل صفحة (١٥) سطراً . وهي النسخة التي اشتراها المرحوم أحمد باشا تيمور . (صورة رقم ١و٢) .

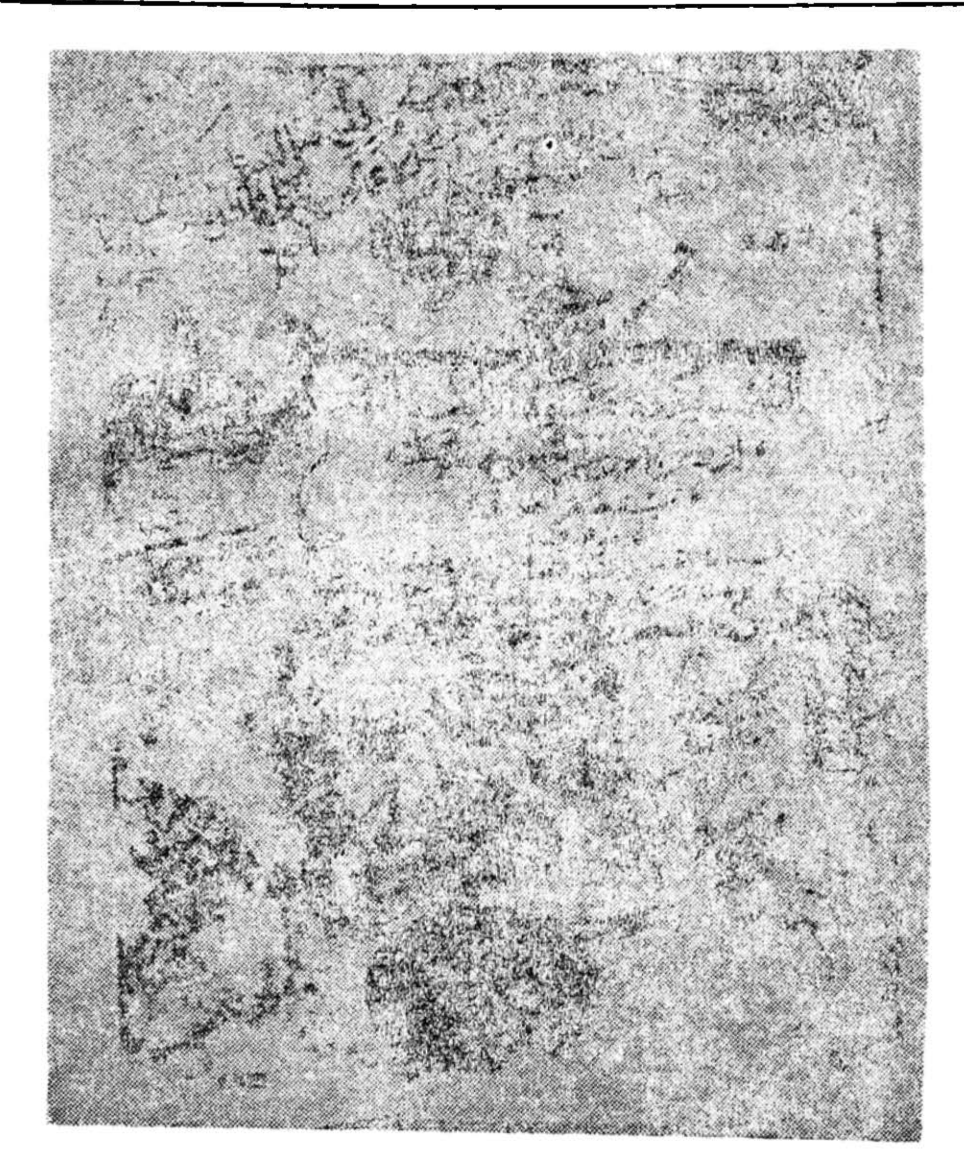
٢ — نسخة دار الكتب المصريّة :

وهي نسخة منقولة عن النسخة التيموريّة ، وقد نسخها محمود حمدي سنة ١٣٤١ هـ ، وتضم (٢٧٨) صفحة . في كل صفحة (٢١) سطراً ، وخطّها واضح جداً . وتوجد صورة من هذه النسخة (أي نسخة دار الكتب) في المتحف العراقي . وقد صوّرت عنها نسخة للمجمع العلمي العراقي (رقمها ١٧٢١ وتاريخها ١-٢-١٩٨٧ م) (صورة رقم ٣و٤ و٥) .

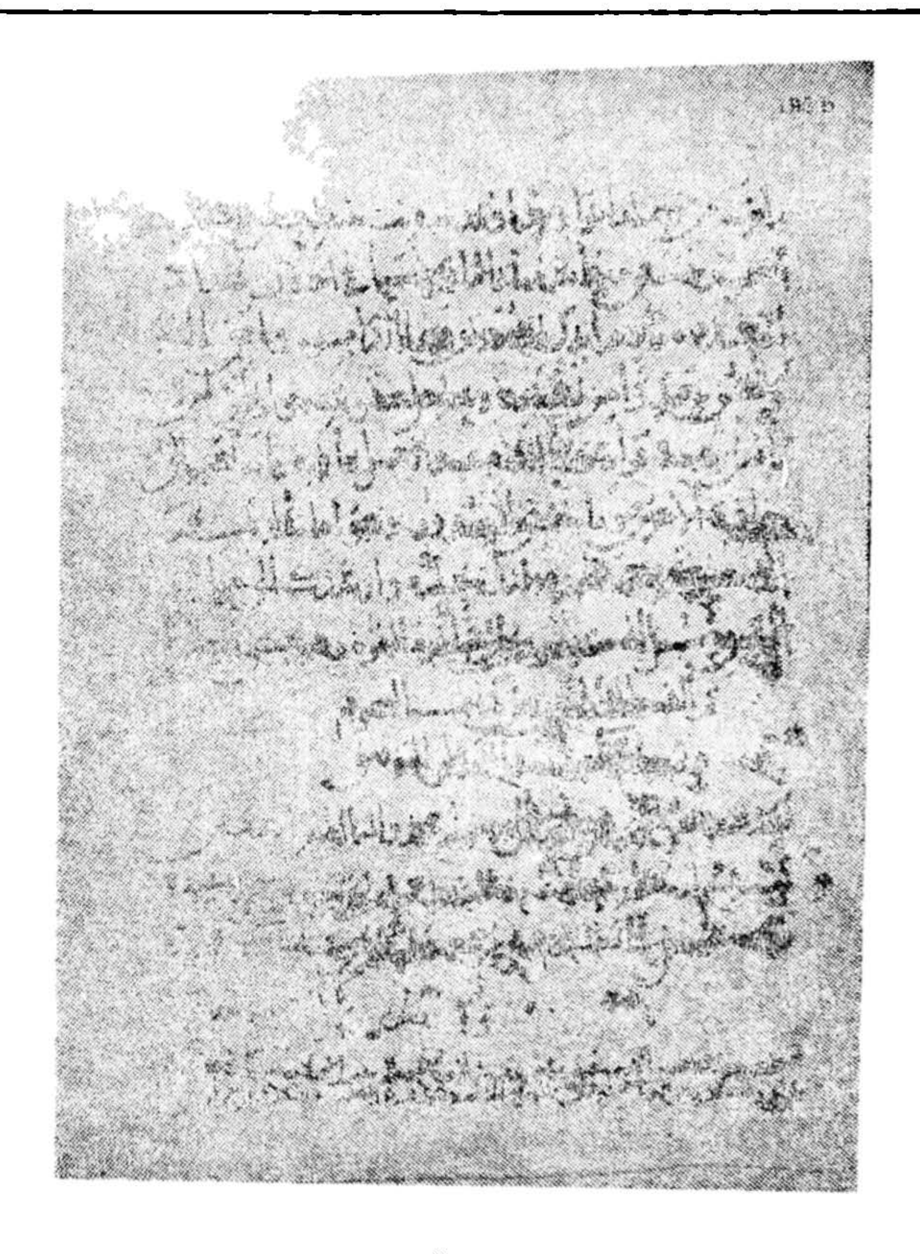
٣ — وهناك نسخ أخرى مصوّرة عن النسخة التيموريّة ، منها في حلب (أسعد أفندي) وفي برلين (معهد العلوم الطبيعيّة والطب) .

قام البحاثة الألماني «الفريد زيكّل Alred Siggel =» بترجمة الكتاب الى اللّغة الألمانية.مع تعليق وشروحات وافية.وقد اعتمد على النسخة التيموريّة .

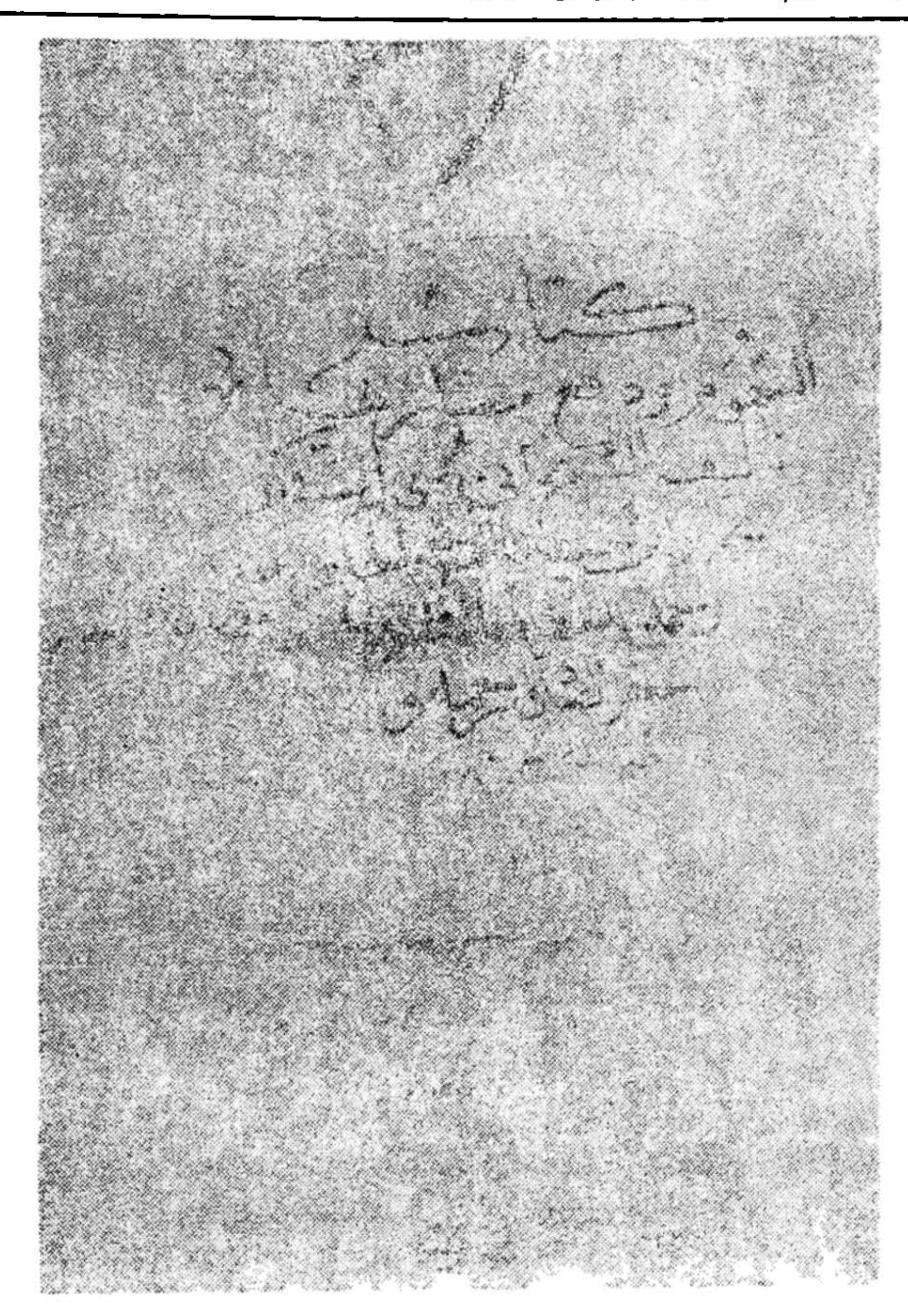
ويقول السيد « زيكّل » في المقدّمة : — « منذ سنة ١٩٣٠ م حاول «بول كراوس » تحقيق ونشر كتاب السموم . ولكنه اضطر لمغادرة المانيا سنة ١٩٣٣ م . واستقر في القاهرة . وهنا نشر كتابه (٩) عن جابر بن حيّان بجزأين سنة ١٩٤٢ الى ١٩٤٣ م ، ثم توفي بعد ذلك .



صورة رقم (١)
الصفحة الاولى من النسخة التيمورية

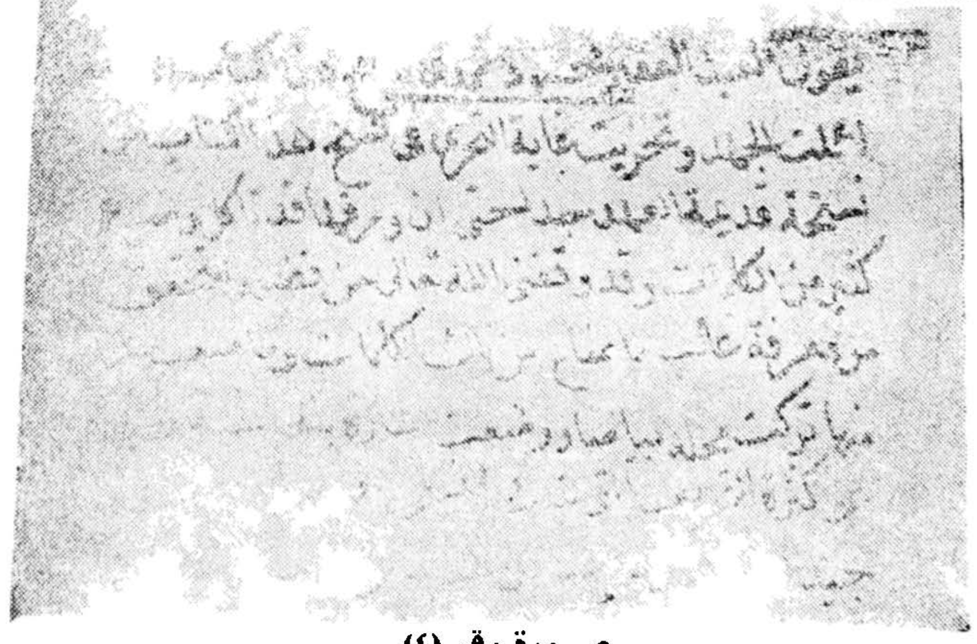


صــورة رقم (٢)
الصفحة الاخيرة من النسخة التيمورية



صورة رقم (٣)

الصفحة الاولى من نسخة المتحف العراقي



صورة رقم (٤)

الصفحة قبل الاخيرة من نسخة المتحف العراقي



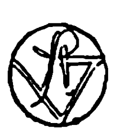
صورة رقم (٥)
الصفحة الاخيرة من نسخة المتحف العراقي

وعلمت انه لم يترجم الكتاب . لذلك أخذت أدرس الكتاب ، وشرعت بترجمته في سنة ١٩٥٠ م ، وانتهيت من ترجمة المخطوطة (التيمورية) في سنة ١٩٥٨ ، ونشر الكتاب في هذه السنة . (صورة رقم ٦) .

DAS BUCH DER GIFTE DES GABIR IBN HAYYAN

ARABISCHER TEXT IN FAKSIMILE
(HS. TAYMŪR, ṬIBB 393, KAIRO)

ÜBERSETZT UND ERLÄUTERT
VON
ALFRED SIGGEL



FRANZ STEINER VERLAG GMBH
WIESBADEN 1958

صــورة رقم (٦)

الصفحة الاولى من الكتاب الالماني

تقع الترجمة الألمانية للمخطوطة في (٢٢٢) صفحة من الحجم الكبير . منها (٢٠٠) صفحة في النص الألماني . والباقي فهارس وتعليقات . وقد أردف بالكتاب صورة للمخطوطة كاملة .

درسنا الكتاب الألماني ، وقارنّاه مع النصّ العربيّ (نسخة دار الكتب المصريّة ، لانها واضحة جداً كما قلنا) فوجدناه مطابقا له . وقد لمسنا ان المترجم الفاضل قد بذل جهداً كبيراً في اخراج هذا السفر الكبير الى لغته الألمانية ، مما يستحق عليه الثناء والشكر ، لأنه أظهر لنا كتاباً عربياً تراثياً مهماً أمام العالم الغربي .

دراسة الكتاب :

يبدأ « كتاب السموم ودفع مضارها » بالبسملة فقط ، ثم يقول :

قال أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي :

قد أتسمت أطال الله بقاك ما أمرت به ، واحدثت من الشرح ما علمت أنك من الفهم بحسبه وانتهيت الى ارادتك وأتيت على حاجتك وارجو أن تبلغ فيه تحيتك وتنال منه بغيتك .... وتنتهي المقدّمة .... وقد جعلت كتابي هذا ستة فصول .

الفصل الأوّل : — في خلق الأبدان وأوضاع القوى الاربع فيها وحالها مع الأدوية المسهلة والسموم القاتلة وحال تغير الطبائع والكيموسات المركب منها أبدان الحيوان . (ص ١ الى ٥٩) .

الفصل الثاني : — في أسماء السموم ومعرفة الجيّد منها والريدي (كذا — ولعلها الردىء) وكميّة ما يسقى من كل واحد منها وكيف يسقى ووجه ايصالها الى الأبدان . (ص ٥٩ — ١٠٠) .

الفصل الثالث : — في ذكر السموم العامة الفعل في سائر الأبدان والتي تخصّ بعض الأبدان دون بعض والتي تخصّ بعض الاعضاء من ابدان الحيوان دون بعض . (ص ١٠٠ — ١١٤) .

الفصل الرابع : —في علامات السموم المسقات (كذا) والحوادث العارضة منها في الأبدان والانذار منها بالخلاص والمبادرة الى علاجه والحكم باليأس مما لا حيلة فيه (ص ١١٤ — ١٦٨) .

الفصل الخامس : – في ذكر السموم المركبّة وذكر الحوادث الحادثة منها . (ص ١٦٨ – ٢٢٣) .

الفصل السادس : – في الاحتراس من أخذ السموم قبل أخذ ها فاذا أخذت لم تكد تضر وذكر الادوية النافعة من السموم إذا شربت من قبل أن يُقدم الاحتراس منها إن شاء الله . (ص ٢٢٣ – ٢٧٧) .

الفلاسفة القدماء الذين ذكروا في الكتاب :

وردت في الكتاب أسماء بعض الفلاسفة اليونانيين ، فقد ذكر بعضهم في سياق شرح الناحية الطبيّة للمادة التي يتكلّم عنها ، والبعض الآخر في شرح حوادث وقصص استشهد بهم ، ومثال ذلك : –

أمَرَ بقراط .... ص ٣٠

أبان ذلك جالينوس ... ص ٣٠

أجاد ذلك ارسطو طاليس وفوثاغورس ... ص ١٠٧ .

حكى اندروماخس ص ١١١ .

والفلاسفة هم : –

١ – جالينوس	(ذكره نحو ٢٥ مرّة)
٢ – ابقراط	(ذكره نحو ١٢ مرّة)
٣ – ارسطو طاليس	(ذكره نحو ٧ مرّات)
٤ – اندرو ماخس	٦ مرّات
٥ – فوثاغورس (فيثاغورس)	٤ مرات
٦ – افلاطون	مرّتين
٧ – فيلون	مرّة واحدة

وقال في (ص ٢٦٣) : وإن سقيته من شراب ديمقراطيس المعمول بالافسنتين كان نافعاً ..... (ولا ندري ما هو شراب ديمقراطيس ؟؟)

والغريب ، بل الغريب جداً ان المؤلّف – وليكن جابر بن حيّان – لم يذكر مطلقاً العشّاب الكبير « ديسقوريدس » مع العلم ان جابراً ذكر ديسقوريدسَ في كتب اخرى من كتبه ، وكان من المفروض أن يذكر هنا في هذا الكتاب ، لأن معظم المواد واردة في « مفردات ديسقوريدس) أو هيولي علاج الطب » .

أسماء الكتب :

ذكرت في المخطوطة كتبٌ عدّة ، وعلى ما يبدو من سياق الكلام أنها مؤلّفات شخص واحد ، والكتب هي : –

١ – كتاب المزاج (ص ١١) .

٢ – الكتاب الكبير في الطب (ص ١٤) وفي مكان أخر ذكر كتاب الطب الكبير . وقال أيضا : ألّفت في الطب كتاباً عظيماً .

٣ – كتاب الحيوان (ص ٦٥ و١١١ و١٦٦) .

٤ – كتاب النبات وأنواعه وسائر توابعه (ص ٧١ وفي مكان آخر قال : كتابي في النبات (ص ٨١) .

٥ – كتاب الموازين (ص ٨٩) .

٦ – كتاب المزاج (ص ١٠٥) .

٧ – كتاب الأدوية المفردة (ص ١٦٦ و ٢٧٥) .

٨ – كتاب الحشائش (ص ١٦٦) .

٩ – كتاب الحجارة (ص ١٦٦) .

١٠ – كتاب النواميس والرّد على افلاطن (ص ١٩٤) .

١١ – كتب الموازين (ص ١٩٤) وذكر أيضا كتب الموازين المائة والأربعة والاربعون .

١٢ – كتب الحيل الحروبيّة والمكائد (ص ١٩٦) .

المواد التي وردت في الكتاب :

أورد المؤلّف في كتابه نحو خمس وسبعين ومئتين (٢٧٥) مادة ، موزّعة على النحو الآتي : –

أ – ١٩٢ أعشاب ونباتات كبيرة .

ب – ٣٨ مادة حيوانية وحيوانات .

جـ – ٤٥ مادة معدنية .

وتقع السموم بين هذه المجموعة من المواد ، وقد قسّمها على ثلاثة أصناف أيضا . وهي سموم نباتية ، وسموم حيوانية ، وسموم معدنيّة . ونذكر فيما يأتي أسماءها كما وردت في المخطوطة . وقد وجدنا من المناسب ذكر أسمائها العلميّة الحديثة أيضاً . (ومرتّبة بحسب حروف الهجاء) ، كذلك ذكرنا بعض أسمائها الاخرى الواردة في كتب المفردات .

السموم النباتية الواردة في الكتاب (١٠)	الاسم العلمي للنباتات وأهم المواد الكيميائية الكامنة فيها
١ – أفيون	Opium Morphin C17 H19 NO3
٢ – أنْجُره قُريص . نبات النار محرقة للجلد	Urtica Organic Acids
٣ – بزر القطونيا	Planlgo Psyllium Pentasans,oil ,protein

٤ ـ بَلاذُرْ

بلاذر . حب الفهم . زيت
لاذع جـداً

Anacardium Offocinalle
(Oils)

٥ ـ بَنْج

Hyoscyamus Niger
Hyoscyamine C_{17} H_{23} No_3

٦ ـ بيش

Aeonitum Napellus
Aconitine C_{34} H_{47} Noll

٧ ـ جَلَنْبُهْنَـك

بُلَيْحاء ، البليخة نسبة إلى
بلخ . بليحة (أصباغ صفراء)

Resedo
Scopolamine
Hyoscyamine

٨ ـ جوز ماثل

داتورة ماثل . مرقّـد . بنج
سام . مخدّر .

Datura Stramonium
daturin

٩ ـ جوز القيئ

Strychnus Nuxvomica
Strychnine C_{21} H_{22} O_2 N_2

١٠ ـ دند

حب السلاطين . حب الملوك.
ماهودانة
(زيت مسهل شديد)

Turgier Croton
(Croton Tigilium)
(aliphatic Acids)

١١ ـ حلتيت

أَنْجُذان . نبات الحلتيت.
صمغ الحلتيت.

Aso Foedida

١٢ ـ حنظل

هبيد . حدج . علقم
(مسهل خطر)

Citrus Colocynthis
Colocynthin C_{56} H_{54} O_{23}

١٣ ــ حَرْبق أبيض	Veratrum album Veratridine, Germidine
١٤ ــ خيار نوع سام ، مثل خيار الحيّات (لم نجد ماهو النوع السام)	Cucumis
١٥ ــ دفلــة	Nerium Oleander Oleandrin
١٦ ــ سذّاب فيجن	Ruto Graveolens rutin
١٧ ــ شُبْرُم . سام ، شديد الضرر . وهو أنواع كثيرة . شرنب حجازي (مصر) . منها بنت القنصل قال ابن البيطار : وقد قتل به أطباء الطرقات خلقاً من الناس لقلّة علمهم به (٣ــ٥٢)	Euphorbia Pithyusa resims
١٨ ــ شوكران سم سقراط . قونيون	Conium Maculatum Coniine C8 H17 N
١٩ ــ شليم بذوره تنوم وتخدر . سامة رويطه . زؤان . حبة رزنه زُجّان في الشام . زكّيم .	Tolium Temalentum Temiline C7 H12 N2O
٢٠ ــ عَرْ طنيثا بَخُورُ مريم . خبز المشايخ . مُقيّيء (مخــدر للسمــك ويستعمل في صيده)	Artanita Cyclamen

٢١ – عنب الثعلب
أنواع كثيرة
Salanum Nigrum
Solanine $C_{45} H_{73} O_{15} N$

٢٢ – عنصل .
بصل الفأر . اشقيل
Scilla Maritima
digittalis

٢٣ – قرون السنبل
نوع من السنبل الابيض ، سام
(يشبه الشوكران)
Secale Cornutum

٢٤ – قنطاريون
قنطريون . راوند بلدي .
شعرة الناقة . سُرّة الناقة .
أنواع كثيرة .
Centaurea Centaurium

٢٥ – كافور
Cinnamomum Camphora
Camphor $C_{10} H_{16} O$

٢٦ – كزبرة
Coriandrum Sativum
(Oils)

٢٧ – كُندس
حشيشة العطاس .
سطروبيون . الكندس الطي ر
هو الزعرور ؟
Kundus

٢٨ – مازَرْيُون . (دَفْنه)
Mezereum
resins

٢٩ – ما هي زهرة
سّم السمك
Anamirta Cocculus
picratin

٣٠ – يربوح . لُفّاح
عاوز روح – سريانيـــة
كان يستعمل في العمليات الجراحية قديماً
ثماره اللفّاح (توراة) . تفّاح الجنّ
Mandragora Officinarum
Scopolamine,
Hyoscyamine
Mandragorine

اهم السموم الحيوانية (ومصادرها) :

١ – الأرنب البحري .
٢ – التمساح .
٣ – الحيّة .
٤ – ذيل الأبّل .
٥ – سام أبرص .
٦ – ضفدع بحري .
٧ – عقارب .
٨ – عناكب .
٩ – فراشات .
١١ – مرارة الأفاعي .
١٢ – مرارة النمور .

اهم السموم المعدنية :

١ – اسفيداج .
٢ – إثمد Sb2 S3
٣ – برادة الحديد والصدأ .
٤ – جبس .
٥ – زاج
٦ – زئبق
٧ – زرنيخ
٨ – زنجار
٩ – زُنْجُفْر HgS
١٠ – سُكّ (مركبات الزرنيخ)
١١ – كلس
١٢ – مُرتك Pbo
١٣ – نوشادر .

لو ألقينا نظرة على المواد النباتية ـ خاصة ـ وجدنا البعض منها مواد سامّة جداً ، مثال ذلك جوز القيء ، وهو سمٌّ زُعاف ، والشوكران وهو من أشدّ السموم ، وهو الذي شربه سقراط عندما حكم عليه بالاعدام ، لذا سمّي سم سقراط .

ومن بين هذه الأعشاب مواد مُخدِّرة او بطيئة التأثير ، مثل الخشخاش والكافور . وبعض المواد تسبّب عوارض جانبيّة مُزعجة ، كالقيء والمغص المعويّ ، وما شابه ذلك .

ويظهر ان المؤلّف لم يقصد السموم المُميتة حصراً ، وإنّما أراد شرح المواد الضارة للجسم الحيّ بصورة عامّة . والوقاية من تناولها ، وسُبل علاجها ، وما مشاكل ذلك من الأمور الطبيّة .

صفة الكتاب :

إن كتاب السموم ودفع مضارها المنسوب لجابر بن حيّان كتاب علميّ تراثيّ قيمٌ جداً . وبحسب رأينا المتواضع هو كتاب طبيّ من الدرجة الممتازة ، ويختلف عن كتاب « شاناق الهندي في السموم والترياق ، وكتاب السموم لزنطاح الحكيم » من حيث المادة العلميّة والاسلوب .

يقول مترجم الكتاب السيد « زيكـّل » في مقدّمته : لقد حاولت قبل سنة ١٩٥٠ م دراسة المخطوطة بالاشتراك مع طبيبٍ او صيدلانيّ ، وممّا يؤسف عليه انه لم يتيسّر لي ذلك . وممّا قاله أيضاً : ان الكتاب جامع لعلم السموم ومفرداتها . Summa Toxicology ، لذا نأمل أن يدرس من قبل جماعة من المتخصّصين بعلم السموم وخصائصها .

ونضيف الى قول السيد « زيكـّل » انّنا نوجو ان تُدرس المخطوطة دراسة علميّة طبيّة كيميائيّة ، بغية إغناء المكتبة العربيّة بمثل هذا الكتاب التراثي العلميّ .

إن الاحاطة بالمواد السّامة عمليّة ليست صعبة ، فكلّ المواد المذكورة في المخطوطة معروفة من قبل ؛ وليس فيها شيء جديد . ولكن المهم ظواهر التسمّم ، فلا يستطيع تشخيصها الاّ الطبيب ، وأعراض التسمم لا يدركها الاّ المتخصّص . فهل كان جابر بن حيّان طبيباً بهذه الدرجة من المهارة الطبيّة ؟؟؟

هذا سؤال علينا تمحيصه قبل الاجابة عنه .

لا يخلو كتاب من كتب جابر بن حيّان المعروفة لنا من ذكر عبارات عامّة ، مثل « سيّدي » و « سيّدي جعفر » و « صلواة الله عليه » وكذلك عبارات وجمل تُنسب الى الصوفيّة . ولكن هذا الكتاب خالٍ تماماً من مثل هذه العبارات ، واسلوبه الانشائي لا يتناسب واسلوب جابر بن حيّان .

هذا بعض ما وجدناه في المخطوطة ، ونعرض الموضوع على القاري الكريم . ولا نقول إطلاقا ان هذا دليل على ان الكتاب ليس لجابر بن حيّان .

الخلاصـــة :

لدينا الآن مخطوطة كتاب علميّ تراثيّ نفيس ، وعلينا أن نسعى لاظهاره مطبوعاً ، مُنقحاً ، ومشروحا شرحا وافيا .

ويقول الفقير الى ربّه ، ان المخطوطة التي بحوزتنا واضحة جداً ، ولا صعوبة البتّة في قراءتها . وقد سبقنا الباحث الفاضل « زيكّل » بنشره في لغته الألمانية ، فجزاه الله خير جزاء ، على اهتمامه بتراثنا الخالد .

ومن خلال دراستنا ســوف نستطيع ــ بعون الله ــ اظهــار حقيقة المؤلّف ؛ سواء أكان جابر بن حيّان نفسه ، أم كان شخصاً آخر ، وَضَعَ الكتاب ونسبه الى مُعلّمنا الأوّل رحمــه اللّه . « وليس للانســـان الاّ ما سعى » .

ملاحظــة :

حدثّنا مشكوراً الاستاذ الفاضل كوركيس عوّاد ـ عضو المجمع ـ ان هذه النسخة من جملة الكتب المهداة الى المتحف العراقي من مكتبة الأب أنستاس الكرملي ٠

وقد لاحظنا أن الأب الكرملي دوّن على الصفحة الأولى اسمه وتوقيعه والتاريخ أيضا (١٥ شباط ١٩٣٤م) ٠

المصادر

١ – الاعلام للزركلي ، ٢ لى ٩٠ .
عمر فرّوخ – تاريخ العلوم عند العرب . ص ٢٤٣ – بيروت ١٩٧٠ م .
٢ – اسماعيل مظهر – تاريخ الفكر العربي ، ص ٨٥ لى بيروت .
٣ – اسماعيل باشا البغدادي – هديّة العارفين ، ص ٢٤٩ . (وعلى هذا التاريخ نقدٌ كثير) .
٤ – الفهرست – ص ٤٢٠ .
٥ – مصنّفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن جيّان الصوفي – هوطيارد ج ١ – م ١ – ١٩٢٨ م .
مختار رسائل جابر بن جيّان الى بول كراوس – ١٣٥٤ هـ القاهرة .
٦ – سوزكين – B. IV,S, 213
٧ – تاريخ الأدب العربي – ج ٤ – ص ٣٠٧ .
٨ – المقطف – ج ١ – م ٥٨ – يناير – كانون الثاني ١٩٢١ م . ص ٤٠–٤٣
جاء في العنوان – لابي جابر ابن حيان الصوفي – وهذا بلاشك خطأً مطبعي ، إذ الصحيح لابي موسى .
٩ – مختار رسائل جابر بن حيّان .
١٠ – يُراج :
أ – الجامع لمفرادت الأدوية والأغدية – لابن البيطار .
ب – إحياء التذكرة – د . رمزي مفتاح – القاهرة ١٩٥٣ م .
جـ – P.Karrer / Organic ChemistryElsev. 1950.
د – Claus and Tyler / Pharmacocnosy Philad. 1968.

فَضَائِلُ القرآن وأَهلِهِ وأَخلاقِهُم

للمقرىء : احمـد بن أبي عُمَرَ
(المتوفى سنة ٤٧٠ هـ)

تحقيق

الدكتور احمد نصيف الجنابي

كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

« المقدمة »

إِنَّ البحث في « فضائل القرآن وأهله » من الموضوعات التي يتسع لها الحديث ويحلو ، لأنَّ القرآن كلام الله ولا تنقضي عجائبه . وأنَّ أهل القرآن هم أهل الله وخاصته (كما يقول النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم) .

وقد بدأ التأليف فيه الامام الشافعيّ (ت ٢٠٤هـ) ، بكتابه «فضائل القرآن» .

وظل البحث والتأليف في الموضوع مستمراً على المدى ، ولكلٍ منهجه وطريقته ومصادره .

وتمثل هذه الرسالة (فضائل القرآن وأهله واخلاقهم) ، للمقرىء : أحمد بن أبي عمر (المتوفى سنـة ٤٧٠ هـ) حلقة من حلقات التأليف في هذا الموضوع ، على مدار الزمان ، ما دام قرآنٌ يُتلى .

وكل المؤلفات تعطي صورة واضحة للجهود العظيمة التي بذلها المسلمون – على اختلاف شعوبهم – من اجل كتاب الله وحفظه .

لقد بذلت وسعي لاخراج هذه الرسالة محررة متقنة على الرغم من وجود نسخة وحيدة منها ، في العالم ، حسب علمي ... « وفوق كل ذي علم عليم» .

وجاء عملي في قسمين :

القسم الاول : الدراسة ......

القسم الثاني : النص المحقق ....

ولعلي قد وفقت في عملي ، وما توفيقي الاّ بالله ، عليه توكلت واليه أنيب وهو حسبي .

القِسْمُ الأول

الدِّراسَة

إنّ هذه الدراسة موجزة كلّ الايجاز ، لأنني قد هيأتُ دراسة موسعة عن المؤلف ، وعن كتابه القيم : (الايضاح في القراءات) ، لتكون مدخلاً للكتاب الذي انتهيت من تحقيق القسم الأول منه .

وتتضمن هذه الدراسة الموجزة محورين :

المحور الأول : لمحة سريعة عن المؤلف واساتذته الذين يمثلون منابع ثقافته واتجاهاتها . . .

المحور الثاني : جهود المؤلف العلمية . وتمثل محصوله العلمي ، وما أضافه الى صرح علوم القرآن ولا سيما علم القراءات . . .

المحورُ الأوّلُ

لمحةٌ سريعة عن المؤلفِ واساتذته

من المعروف بداهة أنّ معرفة أساتذة عالم من علماء القرون الخالية جزء لايتجزأ من معرفة ثقافته وبيئته العلمية ، لأسباب كثيرة أهمها أننا لانملك وثائق تفصيلية عن حياة اولئك الافذاذ سوى اساتذتهم وكتبهم (إن وجدت) ، وما تقوله عنهم المراجع المختصة والمظان ، إنْ جادت بما يُغني . . . وهي لا تجود في الأغلب . . . !!

ولذلك اعتمدت على ماكتب المؤلف في معرفة ثقافته واساتذته ولا سيما كتابه (قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين) : الذي يُعَدّ وثيقة تاريخية وثقافية مهمة جداً في تقدير الحركة الثقافية التي أحاطت به ومثّلت بيئته العلمية . وهي المكون الاساسيّ لاتجاهه . ولولا هذا الكتاب (وغيره) لضاعت معلومات دقيقة عن حياة المؤلف العلمية وثقافته . وهنا

أدركت أهمية قول أبي جعفر أحمد بن عليّ الانصاري المعروف بابن الباذش (المتوفى ٥٤٠ هـ) : (وسأضع إن شاء الله كتاباً يشتمل على الطرق التي قرأتُ بها تلاوة) (١) .

ومن الغريب أنّ ابن الجزريّ (ت ٨٣٣ هـ) ، وهو المتبحر في تراجم القراء وعلمهم قد ترجم « للاندرابيّ » في « غاية النهاية » لكنه أخطأ في تاريخ وفاته ، كما أنه كان غير دقيق في تسمية كتابه « الايضاح » اذ قال : إنه في القراءات العشر » (٢) وليس كذلك .

فالكتاب لايقتصر على القراءات ، بل هو قسمان : قسم في علوم القرآن ويشمل أربعة وعشرين باباً،من مجموع ثلاثة وخمسين باباً . والقسم الآخر : في مباحث علم القراءات ويشمل بقية الابواب . أما القراءات في الكتاب فهي تسع من العشر ، هي : (٣)

(١) قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٢٨هـ او ١٣٠ هـ) .
(٢) قراءة نافع بن أبي نُعيم (ت ١٦٩ هـ) .
(٣) قراءة عبد الله بن كثير (ت١٢٠ هـ) .
(٤) قراءة عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) .
(٥) قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) .
(٦) قراءة عاصم بن أبي النَّجود (ت ١٢٧ هـ) .
(٧) قراءة حمزة بن حبيب (ت ١٥٦ هـ) .
(٨) قراءة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) .
(٩) قراءة يعقوب الحضرميّ (ت ٢٠٥ هـ) .

---

(١) الاقناع فى القراءات السبع ١٢٣/١ .
(٢) غاية النهاية ٩٣/١ .
(٣) تنظر : مقدمة كتاب : قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين صفحات : ٢٧ ــ ٢٨ (بتحقيقي) .

وقد أوضحت تفاصيل الخلل في ترجمة « الأندرابيّ » عند ابن الجزريّ في مكان آخر .

أما كتب التراجم العامة والحوليات فلم أجد فيهـا شيئاً عن حيـاة « الاندرابيّ » ، ونادراً ما وجدت معلومات دقيقة ومفصلّة عن أساتذته او قُلْ : عن بعض اساتذته . . . ! !

وهذه الأسباب مجتمعة جعلت اعتمادي على كتبه ورسائله ضربة لازب ، وانْ كنت قد استفدت من مراجع أخرى تعدّ ثانوية اذا قيست بكتبه ورسائله...

وقـد استفدت من كل ما وقع تحت يدي من مراجع حتى كتب البلدان (وهي لاتخلو من فوائد تتصل ببحثي) ، ومن المخطوطات ، وإن كان ما يتصل منها بالاندرابي أندر من الكبريت الاحمر . . . . .

وسأعطي في هذه العجالة موجزاً عن حياته وعن أشهر أساتذته الذين يترددون في مؤلفاته . وأفصل القول في الدراسة التي أعددتها لتحقيق كتابه القيمّ : « الايضاح » .

فمن هو الاندرابي . . ؟

هو أحمد بن أبي عمرَ المعروف « بالزاهد الاندرابيّ » ، ولد في مدينة (أندراب) : وقد ذكرها ياقوت فضبطها قائلاً : (الدال مهملة مفتوحة ، وراء وباء موحدة) (٤) . وهي (بلدة بين غزنين وبلخ . . . . ومنها تدخل القوافل الى كابُل . وهي مدينة حسنة . نُسب اليها جماعة من أهل العلم).... (٥)

ومن محصول الدراسة يبدو أنه دخل « نيسابور » في شبابه ووقت تحصيله العلميّ فاستقر فيها استقراراً نهائياً . كما يظهر أنّ جل أساتذته من هذه المدينة . وهي (مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة . معدن الفضلاء ومنبع العلماء)(٦) ... فكيف يتجاوزها الى غيرها ، وهي بهذه المنزلة العلمية ؟ !

(٤ ـ ٥) معجم البلدان (اندراب) .
(٦) معجم البلدان (نيسابور) .

أما صفات صاحبنا الأخلاقية فقد وصفوه بأنه (ثقة ، زاهد ، عابد) .

أما صفاته الخَلْقيّة فهو (بهيّ المنظر) .

أما صفاته العلمية فهو (عالم بالقراءات ، له التصانيف الحسنة في علم القراءات) كما وصف بأنه (عالم نيسابور) ، أيْ : في القراءات .

أما أشهر أساتذته فهم :

* أبو عليّ الحسن بن الحسين بن الحسن المقرىء البخاري . وهذه النسبة الى مدينة (بُخارى) : بضمّ الباء وفتح الراء . « من أعظم مدن ما وراء النهر ، كثيرة البساتين ، واسعة الفواكه ، بينها وبين سمرقند سبعة أيام . . . » (٧) .

وقد وصفه تلميذه « الأندرابيّ » بالمقرىء . وهو مصطلح يدل على (العالم بالقراءات ، وقد رواها مشافهة) (٨) .

ووصفه ابن الجزري « بالمقرىء الفقيه الامام » (٩) .

وكان أبو عليّ البخاري (حياً) يقرىء سنة ٤٩٣ هـ (كما يذكر ابنُ الجزري) (١٠) .

وقد روى عن أستاذه قراءة (نافع) برواية (المُسَيّبي) (١١) ، وقراءة (أبي عمرو بن العلاء) برواية (عبد الوارث) (١٢) ، وقراءة

---

(٧) معجم البلدان (بخارى) .
(٨) منجد المقرئين . لابن الجزري /٣ .
(٩) غاية النهاية ٢١٠/١ .
(١٠) نفسه ٢١٠/١ .
(١١) قراءات القراء المعروفين /٥٩ .
(١٢) المرجع نفسه /٩٢ .

(عاصم) برواية أبي بكر شعبة بن عيّاش (١٣) ، وقراءة الكسائي برواية نُصير بن يوسف (١٤) .

كما روى عن أستاذه أحاديث شريفة (١٥) .

وكل هذه الروايات هي (بالاجازة) من غير قراءة ولا سماع (١٦) .

والاجازة في اصطلاح علماء الحديث : أنْ يقول الشيخ لتلميذه أجزت لك أن تروي عنّي ما أرويه ، وما صحّ عندك من مسموعاتي ومصنفاتي(١٧) .

* سعيد بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن بحير أبو عثمان(البحيري).

وهذه النسبة (البَحيريّ) هي الى جدّ البحيريين : بحير بن نوح . وضبطها ابن حجر : بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة ، ثم ياء أخيرة (١٨) .

وصفه تلميذه الاندرابيّ (بالشيخ الزكيّ) (١٩) .

ووصفه من ترجم له بأنه (شيخ جليل كبير ثقة في الحديث) . وتغلب عليه رواية الحديث .

توفي سنة ٤٥١ هـ .

أخذ الاندرابيّ عن أبي عثمان البحيريّ : قراءة نافع برواية قالون (٢٠)، وقراءة ابن كثير برواية القوّاس (٢١) . وقراءة عاصم برواية ابي بكر بن عيّاش (٢٢) .

(١٣) المرجع نفسه /١٠٠ .
(١٤) المرجع نفسه /١٢٥ .
(١٥) الايضاح في القراءات . ورقة ٥ : أ .
(١٦) قراءات القراء المعروفين /٥٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ .
(١٧) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث . لابن كثير/١٣٣ .
(١٨) تبصير المنتبه ١/١٢٤ .
(١٩) قراءات القراء المعروفين /٥٥ .
(٢٠) المرجع نفسه /٥٧ .
(٢١) المرجع نفسه /٦٩ .
(٢٢) المرجع نفسه / ١٠١ .

* أبو القاسم عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن عبدان ، العطار . محدّث ومقرىء .

سمع الكثير . واكثر من رواية الحديث عن الحاكم النيسابوري : أبي عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ) .

وقرأ على أبي الحسين الخبّازيّ : عليّ بن محمد بن الحسن (٢٣) المقرىء الامام الثقة (ت ٣٩٨ هـ) . وهو والد المقرىء محمد بن عليّ .

وصف ابو القاسم العطار بأنه (شيخ فاضل ثقة) .

وتوفى سنة خمسين واربع مائة .

واخذ الاندرابي عن شيخه العطار قراءة (يعقوب الحضرميّ) ، بثلاث روايات (٢٤) .

* عليّ بن محمد بن عبدالله بن محمد أبو الحسن المقرىء .

وهو مقرىء معروف في عصره . وكان مرجعاً في علم القراءات ، ولهذا وصفوه بانه (إمام في فنّه) (٢٥) .

توفى سنة ٤٣١ هـ .

أخذ عنه الاندرابيّ جُلّ القراءات . وقرأ عليه القرآن الكريم من أوله الى آخره مرات عديدة (٢٦) . وهو اكثر اساتذته تأثيراً في مباحثه المتصلة بالقراءات . واذا قال « قرأتُ عليه » فاياه يريد (٢٧) .

* أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن حسن الخبّازي أشهر المقرئين في عصره — بعد والده —

---

(٢٣) غاية النهاية ١/٥٧٧ .

(٢٤) قراءات القراء المعروفين /١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢٥) غاية النهاية ١/٥٧٢ .

(٢٦) قراءات القراء المعروفين /٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ .

(٢٧) قراءات القراء المعروفين /٦٧ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٨ (وغيرها من المواضع) .

أتقن القراءات علماً ، وأغناها رواية . وقد وصفه مترجموه بانه (المقرىء الامام .... المنظور إليه . المشاوَرُ في الامور ، المبجَّلُ في المحافل والمشاهد) .

ووصفه الصفدي وغيره بأنه كان عارفاً بالقراءات ووجوهها مكثراً من الروايات ..... وصنف كتاب « الابصار في القراءات » ، محتوياً على أصول الروايات وغرائبها (٢٨) .

وقد تخرج على يده ألوف الطلبة (٢٩) .

قرأ عليه الاندرابي قراءة (نافع) برواية المُسيّبيّ (٣٠) ، وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع برواية عيسى بن وردان (٣١) .

وتوفي (رحمه الله) سنة ٤٤٩ هـ .

• أبو سعيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حبيب الصفّار، المعروف بالخَشّاب .

شيخ مشهور بالحديث . وبيته بيت الصلاح والحديث « كتب الاصول وجمع الأبواب ، ورُزق الاسناد العالي ، وصار اكثر أقرانه سماعاً وأصولاً » .

وقد روى عنه الاندرابيّ الحديث في الباب الثالث والعشرين ، من كتاب الايضاح : (في ذكر تفضيل اعراب القرآن والحثّ على تعلمه وذم اللحن)(٣٢) كما روى عنه في الباب الخامس والعشرين منه (في ذكر ما يستحبّ للقارىء من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن) (٣٣) .

ولد سنة احدى وثلاثين وثلاث مائة .

وتوفي سنة ست وخمسين واربع مائة .

---

(٢٨) الوافي بالوفيات ١٣٠/٤ .
(٢٩) غاية النهاية ٢٠٧/٢ .
(٣٠) قراءات القراء المعروفين /٥٩ .
(٣١) قراءات القراء المعروفين /٤٢ .
(٣٢) الايضاح في القراءات ، ورقة ٦١ ب وما بعدها .
(٣٣) المرجع نفسه ، ورقة ٦٤ ب وما بعدها .

* محمد بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عليّ بن عاصم ، أبو عمرو .
محدّث « عارف برسوم الحديث وسننه » .

وصفه من ترجم له بأنه « ثقة ، مُحِبٌّ للحديث وأهله ، مُعَظِّمٌ للشريعة، حسن الاخلاق ، مرضيّ السيرة » .

فماذا بعد هذا من منزلة يطمح اليها العالم ؟

وقد روى عنه الاندرابيّ في « الايضاح » أحاديث شريفة ، في الباب الاول (٣٤) ، والثاني (٣٥) ، والتاسع (٣٦) ، والخامس والعشرين (٣٧) .

سمع بخراسان والعراق ، وحدّث عن أبي بكر بن عبدان ، وأبي الحسن بن المظفر ، وابن شاهين ، وطبقتهم .

توفي سنة سبع وعشرين واربع مائة .

* أبو منصور نصرين بكر بن احمد بن الحسين المهراني .

جده المقرىء الامام أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١ هـ) ، صاحب كتاب (الغاية في القراءات العشر) ، الذي يعد من مراجع القراءات المهمة(٣٨)

وهذا (نصر) الحفيد . كان من أفراد الوعاظ المذكورين كما وصفه عبدالغافر (رحمه الله) في كتابه (السياق) . سمع من جَدّه الحديث ، وروى عنه كتاب « الغاية في القراءات العشر » .

واللافت للنظر أنه يروى عن جده (احمد بن الحسين) وليس عن أبيه ، فالراجح أنّ أباه لم يكن من علماء الحديث ولا من علماء القراءات .

---

(٣٤) الايضاح فى القراءات ، ورقة ٣ : ١ .
(٣٥) المرجع نفسه ، ورقة ٩ : ١ .
(٣٦) الايضاح فى القراءات ، ورقة ٣٧ : ب .
(٣٧) المرجع نفسه ، ورقة ٦٤ : ب وما بعدها .
(٣٨) النشر فى القراءات العشر ١/٨٩ وغاية النهاية ١/٤٩ .

أخذ الاندرابيّ عن استاذه (نصر) قراءة حمزة برواية أبي عمر الدوري، من طريق ابن فرح (٣٩) . وقراءة الكسائي برواية الدوري (أيضاً) ، من طريق أحمد بن كامل (٤٠) .

وتوفي سنة ٤٤٧ هـ .

المحور الثاني
جهوده العلميّة

ألف المقرئ (أحمد بن أبي عمر) :

- اختيار أبي عُبيد القاسم بن سلاّم .
- اختيار أبي حاتم سهل بن محمد .
- الايضاح في القراءات . . . . .
- فضائل القرآن وأهله واخلاقهم ونُعوتهم وصفاتهم . . . .
- قراءات القُراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين

أما كتاباه الأول والثاني فقد ذكرهما له (ابن الجزري) ، غير أنهما يعدان في حكم الكتب المفقودة (الآن) . والله أعلم بما يخبّئه المستقبل .

لكن الباحث يجد أن المؤلف ذكر أشياء عنهما – لا بأس بها – في كتابه (قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين) .

قال عن « اختيار أبي عُبيد » :

(كان ابو عُبيد إمام المسلمين في زمانه في علم القراءات والحديث والفقه والعربية ، وله في كلّ نوع من ذلك كتب مصنفة مشهورة ، مرضية عند العلماء . وكان ذا دين وصدق وورع واتّباع .

---

(٣٩) قراءات القراء المعروفين /١١٣ .
(٤٠) المرجع نفسه /١٢٤ .

قد عرف وجوه القراءات ، فاختار منها للعامة قراءة ، اكثرها من الائمة أصلاً ، واعربها في كلام العرب لغةً ، وأصحها في التأويل مذهباً عنده ، من غير أن يخالف في شيء من ذلك الائمة) (٤١) .

أما سند رواية هذا الاختيار فقد رواه عن أستاذه : محمد بن عبد العزيز الحيري عن أبي عبدالله الحاكم المحدِّث المقرىء المشهور بسنده الى أبي عبيد ، أنه قال :

حدثنا بقراءة أهل المدينة إسماعيل بن جعفر عن عيسى بن وَردان عن أبي جعفر بحروفه . وحدثنا اسماعيل عن شيبة ونافع بحروفهما (٤٢) .

وحدثنا بقراءة أهل مكة حجّاجُ بنُ محمدٍ عن أبي عبدالله هرونَ بنِ موسى العتكيّ ، عنهم (٤٣) .

وحدثنا بقراءة أهل الكوفة عليّ بن حمزة الكسائي فذكر أنه سمع ما كان من قراءة يحيى بن وثّاب عن زائدة بن قُدامة يحدِّث عن الاعمش عن يحيى (٤٤) .

وما كان من قراءة عاصم فانه سمعه من أبي بكر بن عيّاش عنه (٤٥) .

وما كان من قراءة حمزة فانه سمعه منه .

وما كان من قراءة الاعمش فانه سمعه من حمزة يحدّث عنه (٤٦) .

* قال أبو عُبيد : وحدّثنا بقراءة أهل البصرة حجاج بن محمد عن هرون بن موسى الاعور عن أبي عمرو . وابن أبي اسحاق . قال : وحدّثنا ابو نُعيم شجاع بن أبي نصر عن أبي عمرو نفسه (٤٧) .

(٤١) قراءات القرّاء المعروفين /١٤٢ .
(٤٢) قراءات القراء المعروفين /١٤٤ .
(٤٣) المرجع نفسه /١٤٤ .
(٤٤) المرجع نفسه /١٤٤ .
(٤٥) المرجع نفسه /١٤٤ .
(٤٦ ـ ٤٧) قراءات القراء المعروفين /١٤٤ .

« قال أبو عُبيد : وحدثنا بقراءة أهل الشام عمّار الدمشقي عن أيوب بن تميم القارّي عن يحيى بن الحارث عن عبد الله بن عامر (٤٨) .

ثم قال أبو عُبيد – بعد أن أسند هذه القراءات – : (إنما توخينا في جميع ما أخبرنا من القراءات أكثرها من القرأة أصلاً وأعربها في كلام العرب لغةً . وأصحّها في التأويل مذهباً) (٤٩) .

أما في اختيار أبي حاتم سهل بن محمد فقد اختصر كلّ الاختصار فقال في اوله :

(كان امام أهل البصرة في زمانه . واعلم الناس في وقته وأوانه ، وكان عالماً بوجوده القراءات بصيراً بالنحو والعربية واختلاف اللغات . واختار لنفسه اختياراً حسَناً اتّبع فيه الاثر والنظر . وما صحّ عنده في الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وعن الصحابة والتابعين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين) ((٥٠) .

أما كتابه « الايضاح في القراءات » فقد حققت القسم الاول منه لأن الكتاب في وضعه المخطوط (الآن) كبير . ويحتاج الى جهود كبيرة لاحراجه... وأنا لا املك الاّ نفسي وجهد المقلّ .

أما كتابه « قراءات القُرّاء المعروفين بروايات الرواة المشهورين » فقد حققته ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت (١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م) . (وطبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، في الجمهورية العراقية) .

وصدرت الطبعة الثانية منه عن المؤسسة نفسها ، سنة ١٩٨٥ م . وعليها كان اعتمادي . في هذا البحث .

(٤٨) المرجع نفسه /١٤٤ – ١٤٥ .
(٤٩) المرجع نفسه/١٤٥ .
(٥٠) قراءات القراء المعروفين /١٥١ .

*** – رسالة : فضائل القرآن واهله**

هي جزء من مخطوطة محفوظة بمكتبة معهد الدراسات الشرقية (باسطنبول) .
برقم ١٣٥٠ – مخطوطات عربية :

وعنوانها الكامل :

« ما جاء في فضائل القرآن وأهله واخلاقهم ونعوتهم وصفاتهم ، وما يُكره لهم »

وقد اختصرته الى : « فضائل القرآن وأهله وأخلاقهم » .

فهي إذن في موضوع يتصل باداب القراءة القرآنية ، وآداب المقرئين .
واذا أخذنا بلغة عصرنا قلنا : إنها في سلوك قراء القرآن وتقاليد القراءة . وتتضمن الرسالة الموضوعات الآتيـة :

(١) فضل القرآن وفضل قراءته .
(٢) فضل حملة القرآن ، وفضل من تعلَّمَهُ وعلَّمه .
(٣) فضل السبع الطُوَل والمِئين والمثاني . . . . .
(٤) فضائل سور مخصوصة من القرآن . . . . . .
(٥) أخلاقُ حملة القرآن . . . .
(٦) عقاب من حفظ القرآن وعَلِمَهُ فخالفه . . . .
(٧) حكم من جادل في آيات القرآن .
(٨) عقوبة من قال في القرآن برأيه . من غير علم .

وتحتوي الرسالة – التي أنشرها لأول مرة – على (ستين) نصاً او أثراً، أكثرها أحاديث مروية بسند متصل الى (٥١) النبي (صلى الله عليه وسلم) .
وقسم من هذه الآثار قد حذف المؤلف أسانيدها محتجاً بقوله : (انما حذفتُ

(٥١) تنظر الاحاديث ، رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ (الخ) ..

أسانيد هذه الاحاديث طلباً للخفة . ولاشتهارها عند رواة الحديث) (٥٢) . وقسم منها آثار موقوفة على الصحابة ؛ وقسم منها آثار مختلفة رويت عن التابعين (٥٣) وغيرهم من حملة القرآن (٥٤) ، من علماء هذه الامة العظيمة ، التي تستحقّ تسمية : (أُمة القرآن) .

والطابع الغالب على الرسالة هو طابع علماء الحديث . اذ يحرص المؤلف على ايراد اسانيد اكثر الاحاديث التي يرويها.ويحرص على ايراد السبب الذي جعله يحذف أسانيد قسم من الاحاديث . . . . مخافة الاعتراض . . . . ! !

وقد حاولت (على قدر طاقتي وما تيسر لي من كتب الحديث الشريف) أن أجد سنداً لكل حديث حُذف سنده . معتمداً على كتب الحديث المشهورة. ولم أغفل من الاحاديث الاّ ما لم يتيسر لي ما يسنده .

مصادر الرسالة

لايستطيع الباحث أن يتلمس مصادر الرسالة إلاّ عن طريق الموازنة بين النصوص والاستنتاج . لأنّ المؤلف لايذكر اسماء الكتب التي ينقل منها ...

وأول الكتب التي تظهر آثارها في رسالة « فضائل القرآن وأهله » هو كتاب أبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ) الموسوم « بفضائل القرآن ». وهو موجود مخطوطاً . . . في دار الآثار بالموصل ، وعليه كان اعتمادي ، أعارني فضورته مشكوراً الدكتور غانم قدوري الحمد .

ولكتاب « فضائل القرآن » لأبي عبيد أهمية خاصة في دراسة موضوع الرسالة المحققة لأكثر من سبب : فهو من مؤلفات « الامام المقرئ المحدِّث اللغويّ » أبي عبيد . . . وهو أهم كتب فضائل القرآن التي وصلت الينا من

(٥٢) تنظر الآثار ، رقم ٥ ، ٣١ ، ٤٢ (الخ) . . .
(٥٣) تنظر الآثار : رقم ١١ ، ٤٤ .
(٥٤) ينظر الاثر رقم ٥١ .

القرن الثالث الهجريّ . وأخيراً ــ وليس آخراً ــ انه كتاب يخلو من الاقوال الضعيفة غير المسندة ، ويخلو من الاساطير ، وتغلب عليه السمة العلمية الحديثية .

وقد أخذ (الاندرابيّ) كتاب « فضائل القرآن » (رواية) عن أستاذه : أبي بكر محمد بن عبد العزيز الحيريّ .

فهو يذكر سند الرواية في أول الرسالة ، ثم يأخذ عن الكتاب (بالسند) فيبدأ الحديث والاثر ، بالعبارة الآتية : أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد العزيز الحيريّ (٥٥) . . . . . . او يأخذ عن الكتاب مباشرة بالصورة الآتية : (أبو عُبيد قال : حدثنا . . . . . .) (٥٦) .

أو قال أبو عُبيد : حدثنا . . . . . .) (٥٧) .

ومن مصادر الرسالة كتاب « فضائل الأعمال » (٥٨) للمحدِّث : حُميد بن مخلد بن قتيبة الازدي (ت ٢٤٨ هـ) او (٢٥١ هـ) ، المعروف بحميد بن زنجويه . وزنجويه لقب أبيه (٥٩) .

ويروي الاندرابي هذا الكتاب عن أستاذه : أبي مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله البجليّ (٦٠) .

ويذكر الاندرابي الاحاديث التي ينقلها من كتاب « فضائل الاعمال » أولاً بسنده ، ثم يفعل ما فعل بكتاب أبي عبيد : فضائل القرآن ، فيذكر في صدر كل حديث عبارة : (حُميد بن زَنجويه قال : حدثنا . . .) (٦١)، او (حميد قال : حدثنا . . . . . .) .

---

(٥٥) ينظر الحديث رقم (٤) .
(٥٦) ينظر الحديثين (٥ ــ ٦) .
(٥٧) ينظر الحديث رقم ٥٠ .
(٥٨) الرسالة المستطرفة : للكتاني /٥٧ .
(٥٩) تاريخ بغداد ٨/١٦٠ ، ١٦٢ وسير اعلام النبلاء ١٢/١٩ (رقم ٣) .
(٦٠) ينظر الحديث رقم (٧) .
(٦١) ينظر الحديثين رقم ٨ ــ ٩ .

وكتاب « حُميد » من مصادر البغويّ : الحسين بن مسعود (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) ، في تفسيره المعروف (بمعالم التنزيل) . كما يظهر من النصوص والاسانيد في تفسير البغوي ورسالة الاندرابيّ (٦٢) .

ومن مراجع الاندرابيّ كتب الاحاديث : الصحاح والسنن والمسانيد . فقد أخذ قسماً من أحاديث رسالته من :

(١) صحيح الامام البخاريّ : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

(٢) وصحيح الامام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)

(٣) وسنن ابن ماجة : محمد بن يزيد (ت ٢٧٣ هـ)

(٤) وسنن الترمذيّ : محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)

(٥) وسنن أبي داود : سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥ هـ)

(٦) ومسند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠ هـ)

(٧) والمستدرك على الصحيحين . لابي عبد الله : محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ) .

وقد أوضحت هذه المنابع في هوامش الرسالة .

(٨) وأخذ « الاندرابيّ » مجموعة من الاخبار والآثار المتصلة بالتفسير من كتاب الطبريّ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . المعروف « بتفسير الطبريّ » .

* * * *

(٦٢) ينظر تفسير البغويّ ١/٩ ــ ١١ ويقارن بالرسالة : بالحديثين ٧ ــ ٨ .

القسمُ الثاني
النصُّ المحقَّقُ
فَضائِلُ القرآنِ واهلِه واَخلاقُهم

(١)

أخبرنا أبو عمرو محمد بن يحيى بن الحسين – رحمه الله – قال : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ابراهيم ، قراءة عليه ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن الحسين القاضي ، قال : حدثنا اسحاق بن منصور ومحمد بن كيسان . قال اسحاق : أخبرنا اسحاق بن سليمان الرازي عن جرّاح الكندي ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ (١) عن عثمانَ بنِ عفّان – رضى الله عنه – قال :

قال رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلّم :

(خيارُكم مَنْ تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ) (٢) .

قال ابو عبد الرحمن : وذاك الذي أجلسني هذا المجلس (وكان يُقرئُ القرآن) (٣) ثم قال :

(فضلُ القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه ، وذاك لأنه منه) (٤) .

---

(١) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة . مقرئ معروف . وتابعيّ مشهور . اول من أقرأ المصحف الامام بالكوفة . وهو تلميذ عبدالله بن مسعود فى التجويد ، توفى سنة ٧٤ هـ .
(ينظر : معرفة القراء الكبار ٥٢/١ وغاية النهاية ٤١٥/١) .

(٢) رواه الامام البخارى في صحيحه ٢٣٦/٦ والامام احمد في المسند ٦٩/١ وابن ماجة في سننه ٧٦/١ (رقم ٢١١) ، ورواه النسائي في كتابه : فضائل القرآن /٨٧ (وغيرهم) .

(٣) أقرأ أبو عبدالرحمن السلمي في مسجد الكوفة من خلافة عثمان الى امرة الحجاج بن يوسف الثقفى (البخاري ٢٣٦/٦) .

(٤) هذا من كلام أبي عبد الرحمن السلمى (ينظر : سنن الترمذي بشرح ابن العربي ٤٦/١١) .

(٢)

وأخبرنا أبو عمــرو قال : أخبرنا أبو سعيــد (٥) قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن العباس بن حمزة ، ومؤمل بن الحسين بن عيسى قالا : حدثنا الحسن بن محمد الصباح قال : حدثنا يعقوبُ بنُ اسحاقَ الحضرميّ قال : أخبرنا عبد الرحمن بن بُدَيْلٍ قال : قال أبي ، عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :

(إنّ لله أَهلينَ من الناس . قيل من هم يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن ، هم أهل الله (٦) وخاصّتُهُ) (٧) . [٣ : ب]

(٣)

وأخبرنا محمد بن يحيى قال : أخبرنا أبو سعيد قال : حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق السرّاج – إملاءً – قال : حدثنا العباس بن أبي طالب قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن بسّام قال : حدثنا سعد بن سعيد الجرجانيّ ، وذكر من فضائله عن نَهْشَلٍ : أبي عبد الله، عن الضحاك، عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه (وسلّم) :

(أشرافُ أمّتي حَمَلةُ القرآن ، وأصحابُ الليل) (٨) .

(٤)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد العزيز الحِيريّ ، قراءة عليه (رحمه الله) ، قال : أخبرنا أبو نصر عُبيد الله بن أحمد قال : حدثني أبي : أبو بكر أحمدُ

---

(٥) ابو سعيد : هو احمد بن محمد بن ابراهيم يراجع الحديث رقم (١) .

(٦) رواه ابن ماجة في سننه ٧٨/١ (رقم ٢١٥) واسناده صحيح . والحاكم في المستدرك ٥٥٦/١ (وقال : روي هذا الحديث من ثلاثة اوجه عن انس) . وورواه الامام احمد والنسائي (ينظر : الجامع الصغير . للسيوطى ٩٥/١) .

(٧) فى الاصل (خلاصته) . والتصحيح من مراجع الحديث .

(٨) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه ، عن ابن عباس .

بنُ عبدانَ بنِ محمد بن أبان بنِ عبدون قال : حدثني أبو بكر أحمد الشارَدِينيّ قال :حدثنا أبو منصور نصر بن داود بن لَهْوَق قال حدثنا أبو عُبيد القاسم بن سلاّم قال : حدثنا أبو اليقظان عمّار بنُ محمد الثوريّ ، أو غيره (٩) . عن (أبي اسحاق الهَجَرِيّ) (١٠) . عن (أبي الأحوص) (١١) عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) . عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم . قال : (١٢) :

(إنّ هذا القرآن مأدبةُ الله فتعلّمُوا (١٣) من مأدبته ما استطعتم . إنّ هذا القرآنَ حبلُ الله . وهو النُّورُ المبين . والشفاءُ النافعُ . عِصْمةٌ لمن تمسّك به . ونجاة لمن تبعه . لايعوجّ (١٤) فيقوّم . ولايزيغُ فيُستعتب ، ولا تنقضي عجائبه . ولا يخلق عن كثرة الردّ ؛ (فاتلوه) (١٥) فانّ الله يأجركم على تلاوته (بكل حرف) (١٦) عشر حسنات . أما أني لا أقول : ألم (حرف) (١٧) ولكنْ ألفٌ عشر ، ولام عشر ، وميم (١٨) عشر)

---

(٩) ينظر : فضائل القرآن ، لابى عبيد ، الورقة ٣ : ١ .
(١٠) في فضائل القرآن ، لابن كثير : (اسحاق) . والصحيح ما أثبته من فضائل القرآن ، لابي عبيد ، الورقة ٣ : ١ ، و عن المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ٥٥٥/١ (واسم أبي اسحاق ابراهيم بن مسلم) .
(١١) فى الاصل : (الاحوص) . والصحيح ما اثبته من المرجعين السابقين .
(١٢) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن ، الورقة ٣ : ١ والحاكم فى المستدرك ٥٥٥/١ .
(١٣) فى المستدرك : (فأقبلوا) .
(١٤) فى المستدرك : (ولايعوج) .
(١٥) فى المستدرك : (اتلوه) .
(١٦) فى المستدرك : (كل حرف) .
(١٧) مابين القوسين من المستدرك .
(١٨) فى المستدرك : ولكنْ : الف ولام وميم .

(٥)

أبو عُبيد قال : حدثنا حجّاج بن محمد عن محمد بن طلحة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن ابن مسعود (رضى الله عنه) . قال : (١٩)

(إنّ كلّ مؤدِّبٍ يُحِبُّ أنْ يؤتى أدبُهُ ، وإنّ أدبَ الله القرآن) .

(٦)

أبو عُبيد قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن عُليّ (٢٠) بن رباح عن أبيه ، عن عُقبة بن عامرٍ الجُهَنيّ ، قال : خرج علينا رسول الله ، صلي الله عليه وسلّم ، ونحن في الصُّفّة ، فقال :

(أيكم يحب أن يغدو كلّ يوم الى بُطحانَ او العقيق فيأخذ ناقتين كوماوين زهراوين في غير إثم ، ولا قطيعة رحم) ؟

قُلنا : كلُّنا يارسول الله يحبّ ذلك .

قال : (فلئن يغدو أحدُكم كلّ يومٍ الى المسجد فيتعلّم آيتين من كتاب الله عزوجل خير له من ناقتين ومن ثلاث . ومن أعدادهنّ من الابل)(٢١) .

---

(١٩) فضائل القرآن ، لابي عبيد ، الورقة ٣ : ب والورقة ١٥ : ب .

(٢٠) عليّ – بالتصغير . ولي اِمرة مصر . وروى عن أبيه والامام الزهري، ومحمد بن المنكدر . وثقه مسلم واحمد والنسائي وتوفى سنة ١٦٣ هـ . (ينظر : تهذيب التهذيب ٣٦٣/١٠) .

(٢١) رواه الامام مسلم فى صحيحه ١٩٧/٢ والامام احمد فى المسند ١٥٤/٤ عن عقبة بن عامر الجهنيّ .

تفسير الالفاظ الغريبة .

بطحان – بضم الباء وسكون الطاء : اسم واد بالمدينة المنورة . والعقيق : على ثلاثة اميال من المدينة .

وكوماوين : تثنية كوماء : ناقة عظيمة السنام .

وزهراوين : تثنية زهراء : سمينة مائلة الى البياض من كثرة السمن .

(٧)

أخبرنا الشيخ الحافظ أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبدالله البَجَلي (رحمه الله) ، قال : أخبرنا أبو النضر محمد بن سليمان . قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبدالجبار (الرذانيّ) (٢٢) ، قال : حدثنا أبو أحمد حُميد بن زنجويه قال : حدثني أبو بكر [٤ : أ] بن أبي شيبة ، قال : حدثنا حسين بن عليّ (٢٣) ، عن حمزة الزيّات عن أبي المختار الطائيّ ، عن ابن أخي الحارث الاعور عن الحارث قال : (دخلتُ المسجد فاذا الناسُ يخوضون في الاحاديث ، فدخلتُ على عليّ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أما ترى الناس يخوضون في الاحاديث ؟ فقال : أوقد فعلوها ؟ قلتُ : نعم ! قال : أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون فتنٌ ، قلتُ : فما المخرجُ منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله : فيه خبَرُ ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلقُ عن كثرة ردّ ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذي مَنْ تركه من جبّار قصَمَهُ الله ، ومن آبتغى الهُدى مِنْ غيره أضله الله . هو حبلُ الله المتين . وهو الصراط المستقيم . هو الذي مَنْ عَمِلَ به أُجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه دعا الى صراط مستقيم) (٢٣) .

---

(٢٢) فى الاصل : (الزاراني) . والصحيح : (الرذانيّ) بفتح الراء والذال المعجمة ، وليس بينهما الف . أبو جعفر احمد بن محمد بن عبد الجبار النسوي . حدّث عن جميد بن زنجويه . حدث عنه عبد الرحمن بن أبي شريح الشريحي .
(ينظر : اكمال الاكمال : لابن نقطة البغدادي ، ج ١ ورقة ٢١٤ ــ ٢١٥ من نسخة الظاهرية) .

(٢٣) رواه الترمذي في سننه ٤/٢٤٥ (رقم ٣٠٧٠) . وقال : هذا حديث لانعرفه الامن حديث حمزة الزيات ، واسناده مجهول . وفى حديث الحارث مقال) .

(٨)

حُميد بن زَنْجَوَيْه قال : حدثنا أبو نُعيم ، قال : حدثنا بشر بن المُهاجر الغَنَوي قال : حدثنا عبدالله بن بُريدة عن أبيه قال : كنتُ جالساً عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسمعته يقول : (٢٤)

(تعلموا سُورةَ البقرة فانّ أخذَها بركة ، وتركها حسرةٌ ، ولا يستطيعها البطلة . ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عِمْرانَ فانهما الزهراوان ، وانهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان او « غيايتان » (٢٥) ، اوفرقتان من طيرٍ صوافّ . وانّ القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حتى ينشقّ عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقــول : ما أعرفُكَ ! فيقــول : أنا صاحبك القرآن ، أظمأتُك بالهواجر وأسهرتُ ليلك ، وإنّ كل تاجر من وراء تجارته ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويُكسى والداه حُلّتين لا يقوم لهما أهــل الدنيا ، فيقولان : لم كُسينا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولدكما القرآن . ثم يقال (٢٦) : اقرأ واصعد في درجِ الجنة وغرفها . فهو في صعود مادام يقرأ ، هَذّاً كان (٢٧) ،

---

(٢٤) رواه الامام مسلم في صحيحه ١٩٧/٢ عن ابي أمامة الباهليّ .
ورواه ايضاً (بلفظ قريب من هذا) ، عن نواس بن سمعان الكلابيّ .
ورواه الترمذي في سننه مختصراً ، عن نواس بن سمعان ٢٣٥/٤ رقم ٣٠٤٥ .

(٢٥) في الاصل : غابتان والصحيح ما اثبته من مراجع الحديث الصحيح .
(والغياية : كلّ شيء أظلّ الانسان فوق راسه ، كالسحابة وغيرها) .
(ينظر : النهاية في غريب الحديث والاثر . لابن الاثير ٤٠٣/٣) .

(٢٦) اي : يقال لولدهما الذي حفظ القرآن في الدنيا ، وعمل به .

(٢٧) هذّ القرآن يهذّه هذّاً : اذا اسرع فيه وتابعه (ينظر : اساس البلاغة : هذذ /١٠٥٥) .

او ترتيلا) (٢٨) .

(٩)

حُميد بن زَنْجَوَيْه قال : حدثنا أبو الاسود ، قال : حدثنا ابنُ لهيعة ، عن حُيَيّ (٢٩) ، عن الحُبُلِيّ (٣٠) ، عن عبدالله بن عمرو أناه قال :

« وكلُّ آيةٍ في القرآن دَرَجةٌ في الجنّة ، ومِصباحٌ في بُيوتِكُم» .

(١٠)

حُميد قال : حدثنا أبو الاسود قال : حدثنا أبن لهيعة عن زَبّان بنِ فايد (٣١) ، عن سهل (٣٢) ، عن أبيه ، عن النبيّ صلى الله عليه [٤:ب] وسلم قال :

(مَنْ قرأ القرآن فأحكمهُ وعمِل بما فيه أُلبس والداه يومَ القيامة تاجاً ضوؤه أحسن من ضوء الشمس ، في بيت من بيوت الدنيا ، لو كان فيه ، فما ظنّكم بالذي عمل به) (٣٣) .

(٢٨) الترتيل : مصدر من رتّل فلانٌ كلامه : اذا أتبع بعضه بعضاً على مكثٍ ، وتفهم من غير عجلة . وعلى هذا نزل القرآن الكريم . قال تعالى : ورتلناه ترتيلاً » (ينظر : النشر في القراءات العشر ٢٠٨/١) .

(٢٩) حيىّ : (بزنة لؤيّ) ابن عبدالله بن شريح المعافري روى عن ابي عبد الرحمن الحبليّ وغيره . وعنه الليث وابن لهيعة وابن وهب . واختلف فى توثيقه . وتوفى سنة ١٤٣ هـ (تهذيب التهذيب ٧٢/٣) .

(٣٠) الحبليّ : بضم الحاء والباء الموحدة . واسمه عبدالله بن يزيد . من تابعي مصر . توفى سنة ١٠٠ هـ (تقريب التقريب ٤٦٢/١ واللباب ٣٣٧/١)

(٣١) هوزبان بن فايد (بالفاء الموحدة) . أبو جوين : بزنة سهيل ، المصري الخمراوي ، ضعّفوه فى الحديث . توفى سنة ١٥٥ هـ (تهذيب التهذيب ٣٠٨/٣) .

(٣٢) هو سهل بن معاذ بن أنس الجهَنيّ . خرّج له البخاري فى « الادب المفرد » . وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (ينظر : تهذيب التهذيب ٢٥٨/٤ ـ ٥٩) .

(٣٣) لفظة (به) تتمه من مسند الامام احمد ٤٤٠/٣ ، ورواه أبو داود (ايضا)، والبغويّ في تفسيره ١٢/١ من طريق حميد بن زنجويه ، وفيه (لو كانت فيه) .

(١١)

حُميد قال : حدثنا الاصبغ بن الفرج قال : حدثنا ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب ، أخبره عن ذُويد عن مالك بن كثير عن عبدالرحمن بن حُجيرة (٣٤) ، قال :

(لأنْ أُقرىء آيةً من القرآن أحبُّ اليّ من أنْ أقرأ مائةَ آيةٍ)

(١٢)

أخبرنا أبو محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بَسطام — رحمه الله — قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن القاسم الفارسي قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد العدّل قال : حدثنا أبو يحيى البزار قال : حدثنا علي بن الحسن الذهلي قال : حدثنا عمر بن هرون عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من قرأ القرآن فرأى أنّ أحداً أُعطيَ أفضلَ ممّا أُعطي فقد عظّم ما حقّر اللهُ ، وحقّر ما عظّم الله) (٣٥) .

(١٣)

واخبرنا أبو محمد قال : أخبرنا أبو الحسن قال : حدثنا ابو بكر محمد بن عبدالله بن قريش قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو نعيم الحلبيّ قال : حدثنا محمد بن اسماعيل بن أبى فديك عن عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

---

(٣٤) حجيرة — بزنة هريرة — وعبد الرحمن ابنه تابعي تولى قضاء مصر وهو ثقة . توفى سنة ٨٣ هـ (تهذيب التهذيب ٦/١٦٠) .

(٣٥) حديث رواه الطبراني بلفظ (من قرأ القرآن . . . فقد عظم ما صغر الله ، وصغّر ماعظمّ الله) .
ينظر : فضائل القرآن . لابن كثير ، الملحق بتفسيره (٧/٥١٩) .

(أفضلَ العبادةِ قراءةُ القرآن) .

(١٤)

واخبرنا أبو محمد قال : أخبرنا أبو الحسن قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد العدل قال : حدثنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ . قال : حدثنا أبو خالد عن حجّاج عن عطية عن آبن عباس — رضي الله عنه — في قول الله تعالى : « قل : بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون » (٣٦) . قال : (فضلُ الله : الاسلامُ ، وبرحمته أنْ جعلكم من أهل القرآن) (٣٧) .

(١٥)

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عُمَرُ بنُ أحمدَ السُّنّيّ — رحمه الله — قال : أخبرنا ابو الحسن محمد بن القاسم الفارسيّ قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن يوسف قال : حدثنا أحمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن داود قال : حدثنا محمد بن عمر المهنّديّ قال : حدثنا محمد بن حفص بن عمر الطنافسيّ قال : حدثنا أبو عمر (٣٨) الدوريّ قال : حدثنا سَورةُ بن الحكم عن حماد بن سَلمة عن ثابت عن أنس — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يا حَملةَ القرآن إنكم المخصوصون برحمة الله ، المعلمون كلامَ الله ، المقرَّبون الى الله . من والاهم فقد والى الله [٥ : أ] ومن عاداهم فقد عادى

---

(٣٦) سورة يونس . الاية ٥٨ (وانهى المؤلف النص بقوله تعالى : خير . فأتممت الاية) .

(٣٧) ينظر : تفسير الطبري ١١/١٢٥ وفيه : (عن ابن عباس قال : فضله : الاسلام . ورحمته : القرآن) .

(٣٨) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الازدي البغدادي . امام القراءة وشيخ الناس في زمانه . ثقة ضابط . قرأ على الكسائي وغيره . وتوفي سنة ٢٤٦ هـ (غاية النهاية ١/٢٥٥) .

الله . يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ، ويدفع عن قارىء القرآن بلوى الآخرة . يا حملة القرآن تحببوا الى الله بتوقير كتابه يَزِدْكُمْ حُبّاً . ويُحَبِّبْكُمْ الى عباده) .

(١٦)

واخبرنا عمر بن أحمد السُّنّيّ قال : أخبرنا أبو الحسن قال : حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر قال : حدثنا الخليل بن محمد بن الخليل الواسطيّ بواسط ، قال : حدثنا تميم بن المنتصر قال : حدثنا اسحاق الازرق عن شريك عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(القرآن غِنىً لا فَقْرَ بَعْدَهُ) (٣٩) .

(١٧)

أخبرنا الشيخ أبو سعيد محمد بن عليّ الخشّاب — رضي الله عنه — قال : اخبرنا محمد بن القاسم الفارسيّ ، قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد قال : حدثنا أبو يحيى البزار . قال : حدثنا عليّ بن الحسن الذهليّ قال : حدثنا عمر بن هرون عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبيدالله عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(مَنْ قرأ القرآنَ فكأنما استُدرجت النبوّة بين جَنبيه إلاّ أنه لا يُوحى اليه) (٤٠)

---

(٣٩) في هامش الاصل : القرآن غِنىً لاغنى دُونه ، ولا فقر بعده).

(٤٠) رواه الحاكم في (المستدرك) ١/٥٥٢ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . يريد بهما : الامامين البخاري ومسلم .
ورواه أبو القاسم الطبراني . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن (ينظر : فضائل القرآن . ملحق الجزء السابع من تفسير ابن كثير ص ٥١٦) (طبعة دار الاندلس — بيروت ١٣٨٥ هـ/١٩٦٦ م) .

(١٨)

واخبرنا محمد بن عليّ قال : أخبرنا محمد بن القاسم قال : حدثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد العدل ، قال : حدثنا أبو يحيى البزار ، قال : حدثنا محمد بن أبان البَلْخيّ ، قال : حدثنا مروان بن معاوية ، قال : حدثنا ابنُ نُمير عن القاسم بنِ عبدالرحمن ، عن أبي أُمامةَ (رضي الله عنه) ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

(من قرأ ثلثَ القرآن أُعطيَ ثُلُثَ النبوّة .

ومن قرأ نصف القرآن أعطيَ نصف النبوّة .

ومن قرأ ثُلُثَي القرآن أعطي ثلثي النبوّة .

ومن قرأ القرآن كله أُعطيَ النبوّة كلها) .

(١٩)

أخبرنا أبو محمد (٤١) ، وأبو القاسم (٤٢) ، وابو سعيد (٤٣) ، قالوا : أخبرنا أبو الحسن الفارسيّ ، قال : حدثنا أبو الحسن عبدالرحمن بن ابراهيم العدل قال حدثنا (أبو الاحرز) محمد بن عمر بن جميل الازدي ، قال : حدثنا موسى بن سهل الوشّاء ، قال : حدثنا أبو النضر قال : حدثنا الهيثم بن جماز عن يحيى بن أبي كثير عن أبى سلمة بن عبدالرحمن قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(أعبدُ الناس اكثرهم تلاوةً للقرآن ، وإنّ أفضلَ العبادةِ كلّها الدعاء) .

---

(٤١) ابو محمد هو : حامد بن احمد بن جعفر بن بسطام (ينظر : الحديث ١٢)

(٤٢) ابو القاسم هو الشيخ عمر بن احمد السنى (ينظر الحديث رقم ١٥)

(٤٣) ابو سعيد هو الشيخ محمد بن علي الخشاب (ينظر : الحديث ١٧) .

(٢٠)

أخبرنا أبو علي الحسن بن الحسين (٤٤) المقرىء البخاري (اجازة) ، قال : أخبرنا ابو الحسين عبدالرحمن بن محمد بن أحمد قال : حدثنا ابو بكر بن مالك قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا أبو عوانة عن قتادة (٤٥) عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [٥ : ب]

(الماهرُ في القرآن مع السَّفَرةِ (٤٦) الكرام البررةِ ، والذي يتعتعُ فيهِ (٤٧) لهُ أجرانِ) (٤٨) .

(٢١)

واخبرنا أبو علي (٤٩) ، قال : أخبرنا ابو الحسين (٥٠) ، قال : حدثنا

---

(٤٤) مقرئ فقيه امام . قرأ بالروايات على أبي عبدالله محمد بن الحسين بن محمد المعروف بالحَرمى . كان حياً سنة ٤٩٣هـ (غاية النهاية ١/٢١٠ و ٢/١٣٣) .

(٤٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري . مقرىء له اختيار في القراءة ، ومفسر . توفى سنة ١١٧ هـ . وهو ثقة وحجة في الحديث . طبقات المفسرين ٢/٤٣ غاية النهاية ٢/٢٥ والجرح والتعديل ٣/٢/١٣٣ .

(٤٦) السفرة الكرام البررة : هم الملائكة .

(٤٧) تعتع في كلامه : تردد فيه من حصر اوعيّ .

(٤٨) رواه الامام مسلم فى صحيحه ٢/١٩٥ عن عائشة الصديقة ، بلفظ : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه ، وهو عليه شاق ؛ له اجران) .
ورواه البخاري فى صحيحه بلفظ : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له . .. الحديث) . وكذلك مسلم ايضاً (ينظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ١/١٥٤ الحديث رقم ٤٦١) .
(ورواه أبو داود ١/٣٣٥ والامام احمد فى مسنده ٦/٤٨ و ٩٤ و ١١٠)

(٤٩) ابو على هو المقرئ البخاري : الحسن بن الحسين (مضى فى الحديث ٢٠) .

(٥٠) هو عبد الرحمن بن محمد بن احمد (ينظر الحديث رقم ٢٠) .

محمد بن أشرف ، قال : حدثنا ابراهيم بن عَمْرَوَيْهِ ، قال : حدثنا محمد بن نصر ، قال : حدثنا عليّ بن حجر ، قال أخبرنا اسماعيل بن عيّاش عن بُرْدٍ عن مكحول أنّ أبا ذرّ جاء الى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله إني أخاف أنْ أتعلم القرآنَ ولا أعمل به . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(لا يُعَذِّبُ اللهُ قلباً أسكنه القرآن) .

(٢٢)

وأخبرنا أبو علي ، قال أخبرنا أبو الحسين ، قال : حدثنا ابو القاسم عبدالله بن الحسن ، قال : حدثنا ابو بكر بن (٥١) الانباري قال : حدثنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا حُسين بن عبدالأوّل ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطية (٥٢) . عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين) (٥٣) .

قال : (وفضل كلام الله عزّ وجلّ على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) .

---

(٥١) ينظر : ايضاح الوقف والابتداء . لابي بكر بن الانباري ١/٤ ــ ٥ .

(٥٢) هو عطية بن عوف العوفي (بفتح العين) . تابعيّ يروي عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر . اختلفوا فى توثيقه . توفى سنة ١٢٧ هـ ينظر : ميزان الاعتدال ، للذهبي ٧٩/٣ والجرح والتعديل ، لابن ابي حاتم ٣٨٢/١/٣) .

(٥٣) رواه الترمذي فى سننه ٢٥٦/٤ رقم ٣٠٩٤ ، ، وقال : (حديث حسن غريب) . ونقله ابن كثير فى فضائل القرآن .

(٢٣)

وأخبرنا أبو عليّ. قال: أخبرنا أبو الحسين. قال : حدثنا أبو بكر بن سلم. قال : حدثنا ابن عبدالخالق. قال : حدثنا قاسم، قال : حدثنا ابنُ نُمَير (٥٤) ، عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(ما اجتمع قوم في مسجد من مساجد الله (٥٥) يتلون كتاب الله ويدارسونه عنهم (٥٦) إلاّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة . وحفّتْ بهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده . ومن أبطأ به (٥٧) عمله لم يُسرع به نسبه) (٥٨) .

(٢٤)

وعن زِرّ بن حُبَيش عن عبدالله بن عمرو قال : (٥٩) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٥٤) هو محمد بن عبدالله بن نمير الهمداني الكوفي الحافظ . روى عن أبيه وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ، وغيرهم . روى عنه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجة . وقال فيه الامام احمد بن حنبل : (هو درة العراق) . توفى سنة ٢٣٤ هـ (ينظر : تهذيب التهذيب ٢٨٢/٩) .

(٥٥ ـ ٥٦) في سنن أبي داود : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ... » الحديث .

(٥٧) فى الاصل : (علمه) . والصحيح ما اثبته .

(٥٨) رواه أبو داود ٣٣٦/١ (وهو حديث صحيح كما قال السيوطي) .

(٥٩) رواه الترمذي فى سننه ٢٥٠/٤ بسنده فقال : احدثنا محمود بن غيلان اخبرنا أبو داود الحَفَري وابو نعيم عن سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زرّ عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن : اقرأ ، وآرق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ؛ فانّ منزلتك عند آخر آية تقرأ بها) . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(يُقال لصاحب القرآن : إقرأ ، وآرق (٦٠) ، ورتّل كما كنتَ ترتل في الدنيا ، فانّ منزلتك (٦١) عند آخر آية تقرؤها) (٦٢) .

(٢٥)

وعن عُقبة بن عامرٍ الجُهَنيّ أنّ النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) قال :
(لو كانَ القُرآنُ في إِهابٍ ما مَسَّهُ النارُ) (٦٣) .

(٢٦)

وعن قيس بن سَكَنٍ عن عبد الله بن مسعود قال :
(ما مِنْ مسلم يقرأ حرفاً من القرآن إلاّ كتب الله له به عشرَ حسناتٍ) .

(٢٧)

وعن أبان عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من علم آيةً من كتاب الله عزّ وجلّ كان له أجرُها مالبث) .

(٢٨)

وعن عطاء عن أبي سعيد الخُدريّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حَمَلَةُ القرآن في الدنيا عرفاءُ أهل الجنة يوم القيامة) .

---

(٦٠) في الاصل : (وارقه) . وهو خطأ واضح .
(٦١) في الاصل : (منزلك) . وما أثبته من مراجع كتب السنة .
(٦٢) رواه الامام احمد في المسند ١٩٢/٢ ، ٤٠/٣ والترمذي في سننه ٢٥٠/٤ ، والحاكم في مستدركه ٥٥٢/١ (وغيرهم) .
(٦٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ورقة ٤ : أ) فقال : حدثنا أبو الاسود المصري عن ابن لهيعة عن أبي المصعب : مشرح بن هامان عن عقبة بن عامر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : (لو كان القرآن في اِهاب ثم ألقي في النار ما آحترق) .
قال ابو عبيد : « ووجه هذا عندنا أن يكون أراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن » .
ورواه البغوي في تفسيره (٩٠/١) مسنداً .
وفسره البغوي بقوله : (قيل : معناه من حمل القرآن وقراه لم تمسه النار يوم القيامة) .

(٢٩)

وعن ابن عُمَرَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إنَّ هذه القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديد . وإنَّ جلاءها تلاوةُ القرآن) .

(٣٠)

وعن عاصم بن ضَمْرَةَ عن عليّ بن أبي طالب (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٦٤)

(من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه أدخله الله الجنة . وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار) .

(٣١)

وعن مُرّة (٦٥) عن ابن مسعود قال :

(اذا أردتم العلم فاقرأوا القرآن . فانّ فيه علمَ الأوّلين والآخرين) .

---

(٦٤) رواه الترمذي في سننه (٣٤٥/٤ رقم ٣٠٦٩) فقال : حدثنا على حَجَر، اخبرنا حفص بن سليمان عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي ابن ابي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فاستظهره فأحلّ حلاله وحرّم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار) .
قال الترمذي : (هذا حديث غريب لانعرفه الاّ من هذا الوجه ، وليس له اسناد صحيح . وحفص بن سليمان ، أبو عمر : بزاز كوفيّ ، يضعّف في الحديث) .
وفي سنن ابن ماجة ٧٨/١ (عاصم بن حمزة) ، وهو تحريف .

(٦٥) هو مرة بن شراحيل الهمداني الكوفيّ . المعروف بمرة الخير ومرة الطيب لعبادته .
روى عن ابي بكر وعمر وعليّ وابي ذرّ وحذيفة وابن مسعود (وغيرهم) .
وعنه : اسماعيل بن ابي خالد وحصين بن عبدالرحمن وطلحة بن مصرّف والشعبي .
وثقه ابن معين وغيره . وتوفى سنة ٧٦ هـ .
(ينظر : تهذيب التهذيب ٨٨/١٠) .

(٣٢)

وعن سعيد عن قتادة في قوله عزّ وجلّ : (٦٦)
(ومن يؤتَ الحكمةَ فقد أوتي خيراً كثيراً) .
قال : هو القرآن (٦٧) .

(٣٣)

وعن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أُعطيتُ السَّبْعَ الطُوَلَ مكانَ (٦٨) التوراة . وأُعطيتُ المئين (٦٩) مكانَ الانجيل ، وأُعطيتُ المثاني (٧٠) مكانَ الزبور . وفُضِّلْتُ (٧١) بالمفصَّلِ) (٧٢) .

(٣٤)

وقال عليه السلام :
(حملةُ القرآن المخصوصونَ برحمة الله ، الملبسون نور الله ، المعلمون كلام الله . من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله . ولقارئ

(٦٦) سورة البقرة ، الاية ٢٦٩ .
(٦٧) تفسير الطبري (٣/٩٠) عن سعيد عن قتادة . لكنه فسّره بقوله : (الحكمة الفقه فى القرآن) .
(٦٨) السبع الطوَل هي : سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس (تفسير الطبري ١/٤٥) .
(٦٩) والمئون هي : ماكان من سور القرآن عدد آيه مائة آية او تزيد قليلاً ، او تنقص شيئاً يسيراً .
(٧٠) اما المثاني فانها مائنى المئين فتلاها وكان المئون لها أوائل ، وكان المثاني لها ثواني . وهي اسم لسبع سور اولها سورة يونس وآخرها سورة النحل (الايضاح فى القراءات . ق ٣٩ : أ) .
(٧١) اما المفصَّل فانها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التى بين سورها ، ببسم الله الرحمن الرحيم (تفسير الطبري ١/٤٦) .
(٧٢) الحديث رواه الطبراني فى معجمه الكبير عن واثلة بن الاسقع (ينظر: الجامع الصغير . للسيوطى ١/٤٦) ، ورواه الطبري فى (تفسيره ١/٤٤ ، ٤٥) وابو عبيد فى فضائل القرآن (ق ٦٤ : أ) .

آيةٍ من كتاب الله أفضلُ مما دون العرش الى أصل التخوم ويدفع الله عن قارئْ القرآن بلوى الآخرة . ثم قال : ياحملة القرآن ، إنّ اهل السماء يسمونكم أحبّاءَ الله . فاستحبّوا الله بتوقير كتابه يزدكم حُبّاً . ويُحَبّبْكم الى عباده) .

(٣٥)

وعن أبي هريرة قال :

(بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فاستُقرئوا القرآنَ على أسنانهم ، ففضلهم شابٌ بسورة البقرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت أمير القوم . قال : فغضب شيخٌ في القوم فقال : يارسول الله : أتؤمِّرُهُ وأنا أكبر منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه اكثركم قرآناً . قال : فقال الشيخ : فوالله يارسول الله : مايمنعني أنْ أتعلَّمَ القرآن إلاّ أنْ أخشى أنْ لا أقومَ به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلَّموا القرآنَ فانما مَثَلُ حامل القرآن كمثلٍ حامل جرابِ مِسْكٍ . إنْ فتَحهُ فتحه طيِّباً . وإنْ وعاه وعاه طيباً (٧٣) .

(٣٦)

وقال عليه السلام :

(ليس أَحَدٌ أولى بالجدّة من حامل القرآن . أقرَّ القرآنَ في جوفه) (٧٤)

---

(٧٣) حديث : « تعلموا القرآن ... فانّ مَثلَ القرآن ، ومن تعلمه فقام به كمثل جراب محشوٍّ مسكاً يفوح ريحه كلَّ مكان . .. » الحديث . (رواه ابن ماجة فى سننه ١/٧٨ الحديث رقم ٢١٧) .

(٧٤) الجدّة ـ بكسر الجيم وتشديد الدال : المنزلة الرفيعة . واذا كانت بضم الجيم فهى الطريقة . وعلى هذا يكون حامل القرآن هو صاحب الطريقة (المثلى) فى الحياة على حذف الصفة . كما فى قوله تعالى : (والعاقبة للتقوى) اي : العاقبة الحسنة .

(٣٧)

وقال عليه السلام :

(من قرأ ثلث القرآن أعطى من ثُلُث النبوّة .

ومن قرأ ثلثي القرآن أعطى من ثلثي النبوة .

ومن قرأ القرآن كله أُعطي النبوّة كلّها ، ويقال له يوم القيامة : اقرأ وآرق بكل آية حتى ينجز ما معه من القرآن) .

(٣٨)

وقال عليه السلام :

(لا ينبغي لحامل القرآن أنْ يرى أنّ أحداً من أهل الارض أغنى منه . ولو ملك الدنيا برحبها) .

(٣٩)

وقال عليه السلام :

(مَنْ أدام النّظرَ في المُصْحَفِ متّعهُ الله ببصره ، مادام في الدنيا) .

(٤٠)

وقال عليه السلام :

(من قرأ القرآن في المصحف كُتبَ له ألفا ألف حسنة . ومن قرأ في غير المصحف فألف ألف حسنة) .

(٤١)

وعن رجاء بن حيوةَ قال : كُنّا ذات يوم أنا وأبي جميعاً فقال مُعاذُ بنُ جبل : « مَنْ هذا يا حيوةُ » ؟ [٦ : ب] فقال : « هذا آبني رجاء ». فقال معاذ : « هل علمته القرآن » ؟ قال : قلتُ : لا . قال : فعلمه القرآن فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه (وسلم) يقول :

(ما من والد علّم ولده القرآن إلاّ تُوِّج أبواه يوم القيامة بتاج المُلْكِ ، وكُسيا حلتين لم ير الناسُ مثلهما) .

ثم ضرب بيده عل كتفي وقال : « يا بُنيَّ إنْ استطعتَ أنْ تكسُوَ أبويك – يومَ القيامة – حلتين ، فافْعَلْ) .

(٤٢)

وعن كعب الاحبار أنه حدّث عمر (رضي الله عنه) ، أنّ في كتاب الله المنزل ، وما أُنزل على موسى : « ما تَعَلَّمَ رجلٌ مُسِنٌّ القرآنَ فاكره نفسَهُ عليه ، وتغلبت عليه ، إلاّ كتَبَ اللهُ له به أجرين . ولا تعلمه غُلامٌ حديثُ السّنِ إلاّ خلطه الله بلحمه ودمه حتى كاتبه الله رفيق السفرة) (٧٥) .

(٤٣)

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال :

« افتخرت السماء على الارض فقالتْ : أنا أفضل في العرشِ ، وفي الكُرسيّ ، وفي جنّةِ المأوى ، وجنةِ عَدْنٍ ، وفي الشمس ، وفي القمر ، والنُّجوم ، وفي أرزاق الخَلْقِ . وفي الرحمة .

فقالت الارض : « وتركت أن تقولَ في الانبياء ، وفي بيت الله » .

فقالت : « بلى ! ولكنْ أليس تقلُّبُ أضلاع حمَلةِ القرآن في بطني» .

فقال الله تعالى : « صدقتِ يا أرضُ » ! !

فكان افتخارُها أنْ قال لها الربُّ : صدقتِ .

(٤٤)

وعن الاعمش (٧٦) عن خيثمة (٧٧) قال :

---

(٧٥) كاتبه الله : كتبه الله .
مع السفرة : مع الملائكة .

(٧٦) الاعمش : سلمان بن مهران الاسدي الكوفي . كان محدث اهل الكوفة في زمانه . وهو مقرئ ايضاً ، ويسمى « المصحف » لصدقه أخذ القراءة عن عاصم وغيره . وتوفى سنة ١٤٨ هـ (غاية النهاية ٣١٥/١ وتهذيب التهذيب ٢٢٢/٤ – ٢٢٣) .

(٧٧) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن ابي سبرة الجعفي الكوفي . لابيه وجده صحبة (ت ٨٠ هـ) (تهذيب التهذيب ١٧٨/٣ – ١٧٩) .

« مرّتْ بعيسى بن مريم آمرأة فقالت : طُوبى لحَجَرٍ حملك ، ولثدي رضعت منه . فقال : بل : طُوبُى لمن قرأ القرآن وعمِل به » (٧٨) .

وقد جاء الخبر مرفوعاً .

وانما حذفتُ أسانيد هذه الاحاديث طلباً للتخفيف ولاشتهارها عند رواة الحديث .

وهذه الكرامات لمن تلا القرآن حقّ تلاوته : وهو أنْ يتبع ما فيه .

(٤٥)

وكذلك روى عكرمة (٧٩) عن ابن عباس ، في قوله عزوجلّ :

(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته) (٨٠) .

قال : يتّبعونه حقّ آتّباعه (٨١) .

(٤٦)

وعن الحسن (٨٢) ، في قوله (عزوجلّ) .

(يتلونه حقّ تلاوته) .

قال : يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلون ما أشكل عليهم الى عالمه (٨٣) .

---

(٧٨) رواه ابو عبيد في فضائل القرآن (الورقة ٤ : ب) . فقال : حدثنا عبد الرحمن ـ أي : بن المهدي ـ عن سفيان عن واصل الأحدب عن ابراهيم ، قال : « مرّتْ ...... » الــــخ .

(٧٩) رواه ابو عبيد فى فضائل القرآن (ورقة ٣٨ : ب) ، فقال (حدثنا عباد ابن العوام عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن آبن عباس فى قوله عزّ وجلّ : (الذين آتيناهم الكتاب) ... الاية .

(٨٠) سورة البقرة . الاية ١٢١ .

(٨١) تفسير الطبري ٥١٩/١ .

(٨٢) هو الامام الحسن البصري المقرئ المفسر (ت ١١٠ هـ) .

(٨٣) تفسير الطبري ٥٢٠/١ .

وانما بدأتُ بذكر فضائل القرآن لأنه أول شيء يحتاج إليه القارىء ، ذلك لأنه اذا عرف فضله وماله من الثواب فيه ، رغب في تعلمه ، واجتهد في تدريسه ، واشتغل بتعرُّفِ وجوهه . وماله وعليه فيه ، ابتغاء وجه ربه ، ورجاء ثوابه .

« فصل »

(٤٧)

أخبرنا أبو بكر محمد بن العزيز باسناده عن أبي عُبيد القاسم بن سَلاّم(٨٤) قال : حدثني أبو أيوب الدمشقيّ (٨٥) ، عن الحسن بن عليّ الخُشَنيّ قال : حدثنا زيد بن واقد . عن بشر بن عبدالله ، عن أبي إدريس الخولانيّ (٨٦) ، عن أبي الدرداء (٨٧) . قال : سُئلت عائشة (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت [٧ : أ] :

(كان خُلُقه القرآن ، يرضى برضاه ويَسْخَطُ بِسَخَطِهِ) (٨٨) .

(٤٨)

قال أبو عُبيد (٨٩) : وحدثنا أحمد بن عثمان عن ابن المبارك (٩٠) ،

---

(٨٤) فضائل القرآن . الورقة ١٥ .

(٨٥) هو سلمانْ بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون التيميّ ، توفى سنة ٢٣٢ هـ ينظر : التاريخ الكبير . للبخاري ٢٤/٤ (رقم ٨٣٨) ، والجرح والتعديل ١٢٩/٤ .

(٨٦) هو عائذ الله بن عبدالله . روى عن عمر وعبادة بن الصامت والمغيرة وغيرهم . وعنه الزهري ومكحول . توفى سنة ٨٠ هـ (تهذيب التهذيب ٨٥/٥) .

(٨٧) هو الصحابي الجليل : عويمر بن زيد ، وقيل ابن مالك الانصاري ، توفى سنة ٣٢ هـ (الاصابة ٧٤٧/٤ رقم ٦١٢١ وتهذيب التهذيب ١٧٥/٨) .

(٨٨) رواه الامام احمد فى المسند ١٨٨/٦ ومسلم وابو داود (ينظر : الجامع الصغير . للسيوطي ١١١/٢) .

(٨٩) فضائل القرآن . الورقة ١٥ : ب .

(٩٠) هو الامام الجليل عبدالله بن المبارك . المتوفى ١٨١ هـ .

قال : حدثنا الحسن عن سعد بن هشام ، قال : قلت لعائشة : « ما كان خُلُق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. ؟ قالت : قال الله عزّ وجلّ : (وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيم) (٩١) ، كان خلقه القرآن » .

(٤٩)

أبو عُبيد (٩٢) قال : حدثنا عليّ بن ثابت عن مالك بن مغول (٩٣) عن رجل (٩٤) ، عن المسيّب بن رافع قال : قال عبدالله (٩٥) :

(ينبغي لقارىء القرآن أنْ يُعْرَفَ بليله اذا الناس نائمون ، وبنهاره اذا الناس مفطرون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبورعه اذا الناس يُخَلِّطون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ، وبخشوعه اذا الناس يختالون) .

قال أبو عبيد : وأحسبه قال : « وبحزنه اذا الناس يفرحون » .

(٥٠)

قال أبو عُبيد : وحدثنا عمرو بن طارق عن يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن ثعلبة بن أبي الكُنُود ، عن عبدالله بن عمرو ، قال (٩٦) :

(مَنْ جَمَعَ القرآنَ فقد حمل أمراً عظيماً ، وقد استُدرجت النبوة بين (٩٧) جنبيه إلاّ أنه لا يوحى إليه . فلا ينبغي لصاحب القرآن أنْ يجد فيمن يجد ، ولا يجهل فيمن يجهل وفي جوفه كلام الله عزوجلّ) .

---

(٩١) سورة القلم . الاية ٤ .
(٩٢) فضائل القرآن . الورقة ١٦ : أ .
(٩٣) مغول بزنة منجل (ينظر : تقريب التقريب ٢٢٦/٢) .
(٩٤) في فضائل القرآن : (قال ابو عبيد : اما عليّ فلم يسمه لنا وسماه غيره ، قال : عن يعقوب عن المسيب بن رافع ...) .
(٩٥) أي : عبدالله بن مسعود الصحابيّ الجليل .
(٩٦) ذكره الحاكم في المستدرك ٥٥٢/١ (أيضاً) .
(٩٧) في الاصل (من) والتصحيح من فضائل القرآن . الورقة ١٦ : أ .

(٥١)

قال أبو عبيد (٩٨) : وحدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي يحيى عن عبدالله بن عمرو ، قال :

(مَنْ قرأ القرآن فقد اضطربت النُبُوَّةُ بين جنبيه ، فلا ينبغي أنْ يلعب مع من يلعب ، ولا يرفث مع من يرفث ، ولا يمطل (٩٩) مع مَنْ يمتطل ، ولا يجهل مع من يجهل) .

(٥٢)

قال أبو عبيد : حدثنا العباس بن أبي العباس — وكان من قدماء أهل الحديث — عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظيّ قال :

(كُنّا نعرف قارىء القرآن او كان يُعْرَفُ قارىء القرآن بصفرة اللون) .

(٥٣)

قال الشعبي (١٠٠)

(اذا غضب حاملُ القرآن قال القرآن : أما تستحيي ، أنا معك في آناء الليل والنهار فلا تقتدي بي ؟ أكرمني في الدنيا اكرمك في الاخرة) .

« **فصل** »

(٥٤)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالعزيز باسناده عن أبي عُبيد قال : حدثنا جرير بن عبدالحميد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن من سمع سعد بن عُبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(٩٨) فضائل القرآن . الورقة ١٦ : أ .

(٩٩) فى فضائل القرآن : « ولا يتبطل مع من يتبطل » .

(١٠٠) هو عامر بن شراحيل . امام مشهور : مقرىء ومفسر ، (توفي سنة ١٠٥ هـ) .

(ما مِنْ أحد تَعَلَّمَ [٧:ب] القرآن ثم نسيه إلاّ لقيَ الله أجذمَ) (١٠١)

(٥٥)

وعن ميمون بن مهران عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال :

(يأتي على الناس زمانٌ يتَعلَّمُون القرآن فيحفَظون حروفه ويضيّعُون حدوده ، فويلٌ لهم ممّا جمعوا ، وويل لهم ممّا ضيّعُوا . إنّ أولى الناس بهذا القرآن من رُؤي عليه أثرُهُ ، وإنْ لم يكنْ جَمَعَهُ ، وإنّ أشقى الناس بهذا القرآن من جمعه فلم يُرَ أثره عليه) .

(٥٦)

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَنْ قال في القرآن بغير علم فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ مِن النار) (١٠٢) .

(٥٧)

وعن قتادة عن أنس ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم ذكر حديث الشفاعة ، وقال في آخره :

(فأشْفَعُ فلا يبقى في النار إلاّ من حبسه القرآن) .

(٥٨)

وعن (أبي) (١٠٣) المبارك عن أبي سعيد قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١٠١) استشهد به الامام النووي وقال : رواه ابو داود والترمذي عن سعيد ابن عبادة . « ينظر : التبيان فى آداب حملة القرآن /٣٦ » .

(١٠٢) رواه الترمذي فى سننه فقال : حدثنا محمود بن غيلان ، اخبرنا بشر ابن السريّ ، اخبرنا سفيان عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ...... « وذكر الحديث بلفظه » . ثم قال « هذا حديث حسن صحيح »
(ينظر : سنن الترمذيّ ٣٦٨/٤ رقم ٤٠٢٢) .

(١٠٣) فى الاصل : (ابن المبارك) . والصحيح ما اثبته من سنن الترمذي .

(ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمَهُ) (١٠٤) .

(٥٩)

وعن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يظهر الدين حتى يجاوز البحار ، وحتى يُخاض بالخيل في سبيل الله ، ثم ينشأ أقوامٌ يقولون : مَنْ أقرأ منّا ؟ ومَنْ أعلمُ منّا ؟ ومن أفقهُ منّا ؟ ثم التفت الى أصحابه فقال : (فهل في اولئك من خير) ؟ قالوا : لا . قال : (فاولئك منكم من هذه الأُمّة . اولئك هم وقود النار) .

(٦٠)

وعن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المِراءُ في القرآن كفر) (١٠٥) .

❋ ★ ❋

قيل : والفائدة للقارىء في ذكر ما في هذا الفصل ، بعد ذكر الفضائل ، أنْ يعلم أنه يحتاج الى العمل بالقرآن مع قراءته ، وأنْ لا يرضى لنفسه باقامة حروفه واضاعة حـــدوده وأنْ لايتكبر على غيره بقراءته ومعرفة علومه ، بل يتواضع لوجه ربه . كي ينال ثوابهُ .

★ ★ ★

(انتهت الرسالة . والحمـــدُ للـــه)

(١٠٤) رواه الترمذي فى سننه فقال : حدثنا محمد بن اسماعيل الواسطي اخبرنا وكيع اخبرنا ابو فروة يزيدين سنان عن ابي المبارك عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ...... « وذكر الحديث بلفظه » . ثم قال : (هذا حديث ليس اسناده بذاك ، وقد خولف وكيع فى روايته . وابو فروة يزيد بن سنان الرهاوي ليس بحديثه بأس) . (ينظر : سنن الترمذي ٢٥٢/٤ رقم الحديث ٣٠٨٥) .

(١٠٥) رواه الامام احمد فى المسند ٣٠٠/٢ والحاكم فى المستدرك ٢٢٣/٢ ، والنسائي فى فضائل القرآن /١٢٠ وقال : اخبرنا قتيبة بن سعيد قال : ثنا انس بن عياض ، عن ابي حازم ، عن ابي سلمة ، عن ابي هريرة أنّ رسول الله صلى االله عليه وسلم قال : (أنزل القرآن على سبعة أحرف . المراء فى القرآن كفر) .

أساليب الإستثناء عند النحاة القدماء
وما الذي أضافه النحاة المتأخرون

الدكتور عبد الحسين الفتلي

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

درس النحاة النحو على أساس العامل ولم يدرسوه على أساس الأساليب التي وردت عن العرب . فقد عكفوا على بيان الحكمة في كل ظاهرة في المفردات والمركبات فجعلوا للبناء وللاعراب عللاً ولامتناع الصرف عللاً ولرفع الفاعل ونصب المفعول عللاً وهكذا ، وعدت حركات الإعراب عنصراً أساساً من عناصر اللغة الغربية اشتملت عليه منذ أقدم العصور ، وكل الذي فعله علماء العربية حياله أنهم استخلصوا مناهجه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الفصحاء ورتبوها وصاغوها في صورة قوافين وقواعد وهذا ما جعل المستشرقين بعد ذلك يرون أنّ الإعراب صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة . وأنّ العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة على الرغم من ظهور اللحن واللهجات والإقليمية في الحواضر (١) . فلو درست الموضوعات النحوية البارزة مثل النداء والاستثناء والاستفهام والقسم والنفي والتوكيد والحذف والتقديم على أنها أساليب لوفرت على المتعلم كثيراً من الجهد ، ولكان شأن النحو غير ما عليه الآن .

ولكان يواكب التطور ولا يوصف بالجمود . ولأصبح محبباً إلى الدارسين. يقبلون على تعلمه دون عناء او سأم . أكبر الظن أنّ العرب وصفوا النحو وصاغوا قواعده على أساس الأساليب التي تحتوى المعاني وتوصل الأفكار الى المتعلمين بسهولة ويسر ، لا هذه القواعد الجافة التي تنفر القارىء من لغته الجميلة

(١) العربية ليوهان فك : ٣٠ .

ولو رجعنا إلى اول كتاب في النحو لرأينا أمام النحاة سيبويه يدرس القواعد في كتابه على اساس العامل والمعمول سوى إشارات قليلة إذا ما قيست بحجم الكتاب . لأن نظرية العامل كانت عنده أقرب إلى التعلم وارسخ في الفكر لوجود قواعد تنظمها وتسهل فهمها .

فالاستثناء أُسلوب له طرائقه واستعمالاته : فللمفرغ منه أُسلوب وللكامل الموجب أُسلوب وللمنفي أُسلوب ثالث وكذلك فيه تقديم وتأخير يحكمه الأُسلوب المبني على المعاني المختلفة . وفيه متصل ومنقطع يوضحه الاستعمال العربي الفصيح ، لكننا مضطرون لمجاراة العرب باستعمال العامل وساطة لدراسة النحو والوصول بقواعده إلى عقول دارسية .

الاّ في الاستثناء

ستكون « إلاّ » مدار هذا البحث من بين ادوات الاستثناء . لأنها الأصل في هذا الباب لسببين :

الأول : أنها حرف . والموضوع لإفادة المعاني الحروف ، كالنفي والاستفهام والنداء والتعجب والتمني والترجي ..

والثاني : أنها تقع في أبواب الاستثناء حسب . وغيرها في أمكنة خاصة بها وتستعمل في أبواب أُخر .

قال سيبويه : فحرف الاستثناء « إلاّ » وما جاء من الأسماء فيه معنى « إلاّ » فغير وسوى . وما جاء من الأفعال فيه معنى « إلاّ » فلايكون وليس وعدا وخلا . وما فيه ذلك المعنى من حروف الإضافة وليس باسم فحاشا وخلا في بعض اللغات (٢) ... « فإلا » حرف يفيد لاستثناء الذي هو اخراج الشيء بها عن حكم ما قبلها حقيقة أو حكماً ، ويسمى المنصوب بها « المستثنى » وما عُدَّ مغايراً « في لحكم المستثنى منه .

---

(٢) الكتاب ١/٣٥٩ .

العامل في المستثنى

لم ينص سيبويه صراحة على العامل في هذا المكان كما قال النحاة بعد ذلك من أن العامل في لمستثنى هو « إلاّ » أو ما قبها من فعل او شبهه . وان الذي ذكره يحتمل تأويلات عدة ، قال : اعلم أنّ « إلاّ » يكون الاسم بعدها على وجهين : —

فأحد الوجهين . أن لا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق ، كما أن لا حين قلت : لا مرحباً ولا سلامٌ ، لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق ، فكذلك « إلاّ » ولكنها تجيء لمعنىً ، كما تجيء « لا » لمعنى (٣) . يشير هنا إلى أنها ملغاة وهي الواقعة في النفي على تفريغ العامل نظير « لا » حين قلت : لا مرحباً ولا سلامٌ لأنها على أصلها في النفي ، فكذلك فكذلك « إلاّ » وهي ملغاة عن العمل وهي على معناها في الاستثناء وهذا الوجه ليس فيه تأويل .

والوجه الآخر : أن يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله عاملاً فيه ما قبله من الكلام كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت : عشرون درهماً (٤) .. فكأنّ سيبويه يشير هنا إلى أسلوبين في أُستعمال « إلاّ » عند العرب الفصحاء . كل أُسلوب له استعمال يختلف عن الثاني .

ثم هو في الاستعمال الثاني « كما تعمل عشرون » فيما بعدها إذا قلت عشرون درهماً ، جعل موقع المستثنى من « إلاّ » موقع الدرهم من العشرين . فهو بهذا لم يرد الفعل ، لأنه منفصل مكتفٍ . بخلاف « إلاّ » فأنها مثل العشرين في الاتصال وعدم الاكتفاء ، فكانت مراده .

و « إلاّ » بسيطة عند سيبويه لا مركبة . فعقد ذكر قول الخليل حين عرض للاسمية بالحروف وما يستتبع ذلك أُو من حملها على الحكاية او عدم

(٣) الكتاب ١/٣٦٠ .
(٤) الكتاب ١/٣٦٠ .

حملها عليها ، فإن كانت بسيطة قدرت مصروفة وإن كانت . مركبة ممنوعة من الصرف او حملت على الحكاية قال : إنّ « إلاّ » التي للاستثناء بمنزلة « دفلي » (٥) .. بدليل . وأمّا « إلاّ » وأما في الجزاء فحكاية (٦) ...

غير أنّ النحاة قسموا الاستثناء كما فعل سيبويه إلى المنفي والموجب والمتصل والمنقطع . والواجب النصب والواجب الرفع وما يحمل على الموضع انسياقاً وراء نظرية العامل التي تختلف على أساسها التراكيب .

« الاستثناء من المنفي »

يجوز عند النحاة في الاستثناء الذي يكون المستثنى فيه بدلاً من الأول إذا وقع في المنفي وكان يصلح تفريغ العامل للثاني أن تبدل الثاني من الأول ، كأنّه قد فرغ له في التقدير . قال سيبويه : وذلك قولك : ما أتاني أحدٌ أحدٌ إلاّ زيدٌ ، وما مررتُ بأحدٍ إلاّ عمرٍو ، وما رأيتُ أحداً إلاّ عمراً ، جعلت المستثنى بدلاً من الأول . فكأنك قلت : ما مررتُ إلاّ بزيدٍ وما أتاني إلاّ زيدٌ .وما لقيتُ إلاّ زيداً . كما أنك إذا قلت : مررت برجلٍ زيدٍ ، فكانك قلت : مررتُ بزيدٍ . فهذا وجه الكلام ، أن تجعل المستثنى بدلاً من الذي قبله . لأنك تدخله فيما أخرجت من الأول (٧) ...

أي أن هذا عنده على البدل لأنه على تفريغ العامل للثاني . وقال : ومن قال : ما أتاني القومُ إلاّ أباكَ . فإنه بمنزلة قوله : أتاني القوم إلاّ أباك ، أي أنّ القوم يجري أمرهم في النفي مجرى الايجاب . فينبغي له أن يقول : ما فعلوه إلاّ قليلاً منهم (٨) ، وعلى هذا لا يجوز في « القوم » ما جاز في « أحد » لأنه على معنى أعم العام الذي لو ترك لكان النفي يدل عليه في قولك :

---

(٥) الكتاب ٢/٦٧ .
(٦) الكتاب ٢/٦٧ .
(٧) الكتاب ١/٣٦٠ .
(٨) النساء : ٦١ . وقراءة النصب هذه قراءة ابن عامر وعيسى بن عمر والرفع أجود عند النحاة . انظر : اعراب القرآن ١/٤٣١ .

ما قام إلا زيدٌ ، وليس كذلك « القوم » لذا ألزمه سيبويه النصب (٩) .. في الآية الكريمة على هذه العلة التي أوجبت عنده : ما قام القومُ إلاّ زيداً .. لكن يونس نقل عن أبي عمرٍو جواز البدل من « القوم » وهو الوجه عنده نحو « ما أتاني القومُ إلاّ عبدُالله » بالرفع إذ أبدل الاسم الذي ليس بجمع من من الاسم الذي هو جمع « القوم » وسيبويه لا يجوز هذا في قوله تعالى « ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم » لأنّ الشهداء جمع وهو أعم والأنفس أخص بمنزلة الواحد من الكل . لأنه يصح أن يبدل الاسم الذي هو مفرد من الاسم الذي ليس بجمع في « أحد » ولا يصلح في « القوم » لأنه جمع ، ثم أن النفي في « القوم » على حد الايجاب على أصل ما يجب في النفي في قولك : ضربتُ زيداً . وما ضربتُ زيداً » فالزمه على هذا ألاّ يجيز « ما أتاني أحدٌ » كما أنه لا يجوز « أتاني أَحدٌ (١٠) ...

أما لماذا جاز البدل من « القوم » في « ما أتاني القومُ إلاّ عمرٌو » وذلك لأنه على قياس البدل في جميع الكلام إذا كان الثاني هو الأول أوبعض الأول كقولك : « رأيتُ قومَك ناساً منهم » او كان المعنى مشتملاً عليه . فلما كان عمرٌو بعض القوم والمعنى مشتملا عليه جاز البدل فيه على قياس غيره من سائر الابدال . وجرى في بابه مجرى « أَحد » وتقول : ما فيهم أَحدٌ اتخذت عنده يداً إلاّ زيدٌ « وما فيهم خيرٌ إلاّ زيدٌ » على البدل من « أَحد » إذا كان زيدٌ هو الخير (١١) .... ويجوز هنا البدل من الهاء في « عنده » كأنك قلت : « إلاّ عند زيدٍ » .

---

(٩) الكتاب : ٣٦٠ .

(١٠) الكتاب ١/٣٦٠ .

(١١) الكتاب ١/٣٦٠ .

وإذا قلت : ما مررت بأحدٍ يقول ذاك إلاّ عبدُالله .. وما رأيت أحداً يقول ذاك إلاّ زيداً .. فيجوز نصب ما بعد « إلاّ » على البدلية من « أحد » وهو الأولى . ونصبه « بالاّ » . كذلك يجيز رفعه سيبويه على أنه بدل من ضمير « يقول » قال ، وإن حملته على الاضمار الذي في الفعل فقلت : ما رأيت أحداً يقول ذاك إلاّ زيدٌ » فعربي (١٢) .. ومثل ذلك قول الشاعر عدي بن زيد .

في ليلةٍ لا نَــرَى بها أحَـــداً
يحكــي عَلَيْنَـــا إلاّ كَوَاكِبُها

فأبدل مما في « يحكي » كأنه قال : لا يحكي علينا إلاّ كواكبها . والاختيار النصب عند سيبويه . قال : وإنما أُختير النصب ها هنا ، لأنهم أرادوا أن يجعلوا المستثنى بمنزلة المبدل منه . وأن لا يكون بدلاً إلاّ من المنفي ؛ فالمبدل منه منصوب منفي ومضمره مَرفوع فأرادوا أن يجعلوا المستثني بدلاً منه ، لأنه هو المنفي وهذا وصف أو خبر (١٣) ....

ما يُحملُ المستثنى فيه على الموضع

ما يجوز في الاستثناء الذي يحمل المستثنى فيه على الموضع إذا تقدم عاملان أحدهما يعمل في الموضع ، والاخر يعمل في اللفظ . إن كان المستثنى يصح على عامل الموضع في المعنى حمل عليه . وإن كان يصح على على اللفظ حُمل عليه وإنْ صح على الأمرين جاز أن يحمل على كل واحد منهما . وذلك قولك (١٤) : « ما أتاني من أحدٍ إلاّ زيدٌ » وما رأيتُ من من أحدٍ إلاّ زيداً .. فيجوز النصب على الاستثناء . والرفع على البدلية من محل « أحدٍ » لأن محله الرفع على الفاعلية في المثال الأول . والنصب على

(١٢) الكتاب ١/٣٦٠ .
(١٣) الكتاب ١/٣٦١ .
(١٤) الكتاب ١/٣٦١ .

المفعولية في المثال الثاني و « من » حرف جر زائد . ولا يجوز فيه الجر على البدلية من لفظ المجرور لأن البدل على نية تكرار العامل ، وهنا لا يجوز أن نكرره . فلا يجوز أن نقول : ما أتاني من أحدٍ إلاّ من زيدٍ » وذلك لأن « من » زائدة لتأكيد النفي وما بعد « إلاّ » مثبت ، لأنه مستثنى من منفي . فلا تدخل عليه « من » قال سيبويه وإنما منعك أن تحمل الكلام على « من » أنه خَلْفٌ (١٥) أن تقول : ما أتاني إلاّ من زيد » فلما كان كذلك حمله على الموضع . فجعله بدلاً منه ، كأنه قال : « ما أتاني أحدٌ إلاّ فلان » لأن المعنى : ما أتاني أحدٌ . وما أتاني من أحدٍ وأحدٌ ولكن « من » دخلت ها هنا توكيداً ، كما تدخل الباء في قولك : كفى بالشيب والإسلام . وفي : ما أنتَ بفاعل ، ولست بفاعل (١٦) ... وهذا لا يكون إلاّ على الموضع ، لأنه لا ينعقد إلاّ بعامل الموضع ، أما الذي لا يكون حمله إلاّ على اللفظ فهو الذي لا ينعقد إلاّ بعامل اللفظ كقولك : ما جاءني أحدٌ إلاّ زيدٌ « فهذا لا يكون إلاّ على اللفظ . أما الذي يصلح على اللفظ والموضع . فهو الذي ينعقد بكل واحد منهما كقولك . ما أحدٌ اتخذتُ عنده يداً إلاّ زيدٌ » وإلاّ زيداً » كأنك قلت : « إلاّ عند زيدٍ (١٧) » .. ومما يحمل على الموضع في مذهب بني تميم قولك : ما أنتَ بشيء إلاّ شيءٌ لا يعبأ به « على اعتبار « ما » غير عاملة من قبل أنّ « بشيء » في موضع رفع في لغة بني تميم (١٨) .. » وعلى مذهب أهل الحجاز لا يصح على اللفظ ولا على الموضع ، لأنّ الباء الزائدة لا تدخل في الواجب وما بعد « إلاّ » واجب ، ولأنّ « بشيء » في موضع نصب خبراً لـ « ما » العاملة عمل « ليس » ولا يُحمل مرفوع على

(١٥) الخَلْفُ : الرديء .
(١٦) الكتاب ١/٣٦٢ .
(١٧) الكتاب ١/٣٦١ .
(١٨) الكتاب ١/٣٦٢ .

منصوب ، ولكنه محمول على تأويل الموضع كأنّه قال : ما أنتَ إلاّ شيء لا يُعبأ به .. وتقول « لستَ بشيء إلاّ شيئاً لا يُعبأُ به » كأنك قلت .. لستَ إلاّ شيئاً لا يُعبأ به . والباء ها هنا بمنزلتها فيما قال الشاعر (١٩) .

يا ابني لُبينَى لَستُمــا بيدٍ إلاّ يداً لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

فانتصب ما بعد « إلاّ » على البدل من موضع الباء .. والتقدير : لستما يداً إلاّ يداً لا عضد لها ، فلو قلت: إلاّ يَدٌ بالرفع ، لم يصلح ، لأنَّ التقدير لستما إلاّ بيدٍ . وهذا محال . لأنَّ الباء إنما تزاد في غير الواجب للتوكيد . ولذا أجرى على الموضع لا على اللفظ أيضاً قولك : لا أحدٌ فيها إلاّ عبدُاللهِ « فلا أحد » في موضع اسم مبتدأ . كما أنَّ « أحَداً » في قولك « ما أتاني من أحدٍ » في موضع اسم فاعل . قال سيبويه « ألا ترى أنك تقول : « ما أتاني من أحدٍ لا عبدُاللهِ ولا زيدٌ » من قبل أنّه خَلْفٌ أن تحمل المعرفة على « مِنْ » في ذا الموضع — لأنها لاستغراق الجنس و « مِن » إذا كانت كذلك لا تدخل على المعرفة . ولا في الواجب — كما تقول : لا أحدَ فيها لا زيدٌ ولا عمروٌ » لأن المعرفة لا تحمل على « لا » وذلك أنّ هذا الكلام جواب لقوله : هل من أحدٍ . أو أتاكَ من أحد » (٢٠) ..

لا يجــوز تقــديم المستثنى

ربما كان التقديم والتأخير في النحو العربي أُسلوباً من الأساليب العربية للاهتمام بالمتقدم مثلا وعدمه فيما تأخر من الكلام وليس نتيجة لعامل خاص تخضع له التراكيب في لغتنا العربية ، لكن سيبويه كعادته في أكثر المواضيع يرجع هذا التقديم والتأخير إلى نظرية العامل ليسهل بها تعلم النحو ما دامت هناك قواعد مطردة . فهو لا يجوز تقديم المستثنى لسببين :

(١٩) الكتاب ٣٦٢/١ .

(٢٠) الكتاب ٣٦٢/١ .

أحدهما : ضعف العامل ، لأنه حرف لايتصرف . والآخر : ضعف ما قام المستثنى منه عن أن يتقدم عليه المستثنى . فلما اجتمع الصنفان لزم طريقة واحدة . فإذا قلت : ما فيها إلاّ زيد . وما علمتُ أنّ فيها إلاّ زيداً « فإن قلبته فجعلته يلي « إن وما » في لغة أهل الحجاز قبح ولم يجز ، لأنهما ليسا بفعل فيحتمل قلبهما (٢١) . فكما لم يجز فيهما التقدم والتأخر . وإذا قلت : إنه لايقول ذلك أحدٌ إلاّ زيدٌ « فإن قدمت « أحداً » فقلت : إنّ أحداً لايقول ذلك إلاّ زيداً « قبح لأنك أوقعت « أحداً » في الواجب ، وإنما حقه أنْ يكون في المنفي وغير الواجب ولكن قد أجازوه على ضعفه ، لأنه داخل في معنى النفي . قال سيبويه فمن أجاز ذلك قال : إنّ أحداً لايقول هذا إلاّ زيداً . كما أنه يقول إلاّ أن سيبويه عاد في مكان آخر فأجاز تقديم المستثنى منه قال : هذا باب ما تقدم فيه المستثنى . وذلك قولك : ما فيها إلاّ أباك أحدٌ ومالي إلاّ أباكَ صديقٌ . وزعم الخليل أنهم انما حملهم على نصب هذا أن المستثنى انما وجهه عندهم أن يكون بدلاً ولا يكون مبدلاً منه . لأنّ الاستثناء إنما حده أن تتداركه بعدما تنفي فتبدله . فلما لم يكن وجه الكلام هذا حملوه على وجه قد يجوز إذا أخرت المستثنى . كما أنهم حيث استقبحوا أن يكون الاسم صفة في قولهم : « فيها قائماً رجلٌ » حملوه على وجه قد يجوز لو أخرت الصفة . وكان هذا الوجه أمثل عندهم من أن يحملوا الكلام على غير وجهه (٢٢) . . . أي أن صفة النكرة إذا تقدمت لايجوز فيها إلاّ النصب لأنك إذا أخرت فقلت : فيها رجلٌ قائم « جاز في « قائم » وجهان : الرفع على النعت والنصب على الحال ، إلاّ أن الحال ضعيف . لأن نعت النكرة أجود من الحال فيها فإذا قدم بطل النعت . وإذا بطل النعت تعين النصب على الحال ضرورة . فصار ما كان جائزاً مختاراً وراجحاً ، ومن تقديم المستثنى

(٢١) الكتاب ١/٣٦٣ .
(٢٢) الكتاب ١/٣٧١ .

قول كعب بن مالك :

الناسُ ألْبٌ علينا فيكَ ليس لَنا　　　　إلاّ السيوف وأطرافَ القَنَاوَزَرُ

فالتقــدير : مالنـــا إلاّ السيـــوفُ بالرفع على البـــدل . والنصب جائز على الاستثناء فلما قدم لم يجز البدل ، لأنه لايكون إلاّ تابعاً فصار النصب بالاستثناء لازماً . قال سيبويه . وذكر يونس أن بعض العرب يقولون : مالي إلاّ أبوك أحد فيجعلون أحداً بدلاً . كما قالوا : ماموررتُ بمثله أحدٍ » فجعلوه بدلاً ، لكن سيبويه يجيز النصب على الحال : مالي إلاّ أبوك صديقاً » (٢٣) ...

على الجواز « رأيتُ أحداً لايقول ذاك إلاّ زيداً» يصير هذا بمنزلة ما أعلم أنّ أحداً يقول ذاك » كما صار هذا بمنزلة : مارأيتُ « حيث دخله معنى النفي (٢٤) . . « ولا يجوز الابتداء بحرف الاستثناء ، لأنه يقيد ما خرج مخرج العموم . ولا يجوز تقيد شيْ لم يوجد بعد . فلهذا لايجوز الابتداء به أصلاً . فقد أشار سيبويه إلى ذلك حين قال : ولا يجوز أن يكون الاستثناء أولاً (٢٥) . . . . فلو قلت : « ما علمتُ إلاّ أن زيداً فيها » لم يجز .

الاستثناء الذي يكون المستثنى فيه نصباً في النفي

يجوز في الاستثناء الذي يحمل على النصب في النفي إذا كان الاستثناء قد أتى بعد تمام الكلام النصب لأنه حينئذٍ على طريقة الموجب إذ لم يقدر فيه البدل . فإن الاسم الثاني لا يتصل بالأول إلاّ بـ ـ الاّ « فصار كالموجب في تسليط العامل على ما بعد « إلاّ » قال سيبويه : حدثنا يونس وعيسى جميعاً أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررتُ بأحدٍ إلاّ زيداً» وما أتاني أحدٌ إلاّ زيداً » وعلى هذا . ما رأيتُ أحداً إلاّ زيداً « فننصب » زيداً » على

---

(٢٣) الكتاب ١/٣٧٢ .

(٢٤) الكتاب ١/٣٦٣ .

(٢٥) الكتاب ١/٣٦٣ .

غير « رأيتُ » وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول . ولكنك جعلته منقطعاً مما عمل في الأول . والدليل على ذلك أنه يجيء على معنى « ولكن زيداً ، ولا أعني زيداً » وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم ؛ إذا قلت : عشرون درهماً « . . . » ومثله في الانقطاع من أوله « إنّ لفلان والله مالاً إلاّ أنّـهُ شقيٌ » فإنه لايكون أبداً على إنّ لفلانٍ وهو في موضع نصب وجاء على معنى . ولكنه شقيٌ . . . (٢٦)

الاستثناء المنقطع الذي يحتمل التصل

الاسثناء المنقطع نوعان عند سيبويه : الذي يحتمل المتصل ، والذي لايحتمل المتصل ، فالمنقطع الذي يحتمل المتصل إذا كان الثاني من غير جنس الأول إلاّ أنه يصلح أن يحمل عليه . ففيه وجهان : النصب على الانقطاع والبدل على أن الثاني يصلح أن يحمل على الأول على طريقة الاتباع للمبالغة في التشبيه . وهذا على مذهب أهل الحجاز وذلك قولك ، ما فيها أحدٌ إلاّ حماراً ، جاءوا به على معنى . ولكن حماراً ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول . فيصير كأنه من نوعه . فحمل على معنى « ولكن » وعمل فيـه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم . . . (٢٧)

أما بنو تميم فيبدلون على تقدير تفريغ العامل ، كأنه لم يذكر الأول ، لأنه لما جاز ان يترك ويعتمد على الثاني . فكأنه لم يذكر . قال سيبويه : وأما بنو تميم فيقولون : لا أحدٌ فيها إلاّ حمارٌ « أرادوا : ليس فيها إلاّ حماراً » ولكنه ذكر أحداً « توكيداً ، لأن يُعْلَم أن ليس فيها آدمي ، ثم أبدل ، فكأنـهُ قال : ليس فيها إلاّ حماراً ، وإنْ شئت جعلته إنسانها . قال الشاعر : —

---

(٢٦) الكتاب ٣٦٣/١ .

(٢٧) الكتاب ٣٦٣/١ .

فإن تُمسِ في قبرٍ برهوةَ ثاوياً
أنيسُكَ أصداءُ القبورِ تَصيحُ

فجعلهم أنيسه ، حمل الثاني على الأول على الاتباع ، ومثل ذلك قوله : مالي عتابٌ إلاّ السيفُ ، وما أنتَ إلاّ سيرٌ ، إذا جعلته هو السير (٢٨) . . .

أما أهل الحجاز فينصبوب على الاستثناء المنقطع ، أما قولك : مالهُ عليه سلطانٌ إلاّ التكلفَ » فبالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأن التكلف ليس من السلطان ، كذلك يجوز هذا في المصدر المؤول كقولك : مالهُ عليه سلطانٌ إلاّ أنه بتكلف . قال سيبويه : هو بمنزلة التكلف (٢٩) . . .

ويجوز فيه الرفع على البدل ، على أنَّ سلطانه هو التكلف ، وفي القرآن الكريم « ماهم به علمٍ إلاّ اتباعَ الظَّنِ » (٣٠) كأنه قال : ماهم به من شيْ بعمل عليه إلاّ الظّن . .

الاستثناء المنقطع الذي لا يحتمل المتصل

الذي يجوز في الاستثناء المنقطع الذي لايحتمل المتصل إذا كان الثاني غير الأول مما لا يصلح أن يحمل الشبه عليه أن يكون منقطعاً نصباً أبداً ، ولا يجوز أن يكون على تقدير المتصل . قال سيبويه : هذا باب مايكون عليه « إلاّ » على معنى « ولكن » فمن ذلك قوله عز وجل « لاعاصمَ اليومَ مِنْ أمرِ اللهِ إلاّ مَنْ رَحِمَ (٣١) » . . .

وقوله تعالى « فلولا كانَتْ قَريةٌ آمَنَتْ فنَفَعَها إيمَانُها إلاّ قَومُ يُونس » (٣٢) أي ولكن قوم يونس ، فلا يجوز في مثل هذا المتصل ، لأنه لايحمل الثاني على الأول .

---

(٢٨) الكتاب ١/٣٦٤ .
(٢٩) الكتاب ١/٣٦٥ .
(٣٠) النساء : ١٥٧ .
(٣١) هود : ٤٢ وانظر الكتاب ١/٣٦٦ .
(٣٢) يونس : ٩٨ .

ومن الاستثناء المنقطع قول النابغة الجعدي :

فتىً كَمُلَتْ خيراتُه غَيْرَ أنّه
جَوادٌ فما يُبقي مِنَ المالِ باقيا

كأنّه قال : ولكنه مع ذلك جواد (٣٣) . . . لأن هذا الاستثناء منقطع لايصلح أن نستثني من كمال خيراته في نفسه إلاّ على الذم وليس المعنى على ذلك وإنما هو كملت خيراته في نفسه وفي جميع أُموره إلاّ الحال الذي أبلغه بجوده فهذا وجه رجوعه إلى أصل الاستثناء ، وهو عيب في المال أن يخرج عن يد الجواد ، وليس في الجواد عيب ، كما أن كونه في يد الجواد فضيلة للمال وحصوله في يد البخيل نقيصة للمال ، ومثل ذلك قول الفرزدق :

وما سَجَنوني غيرَ أني ابنُ غالبٍ
وأني مِنَ الأثرينَ غَيْرِ الزَّعانفِ

كأنه قال : ولكن ابن غالب (٣٤) . . وقد رد المبرد حمله على الاستثناء وزعم أنّ غير الزعانف منصوبة على المفعول به ، والمعنى عنده ، وما سجنوني لغير شرفي حسداً لي (٣٥) . . » وقيل : هذا غير صحيح ، لأنك لو قلت : ما ضربتك غير أنك شتمتني لم يجز إذا أردت معنى : ما ضربتك إلاّ أنكَ شتمتني ، لم يجز حتى تقول : ما ضربتك لغير شتَمكَ إياي ،والصحيح كما ذهب إليه سيبويه من معنى « لكن » أي أن هذا استثناء منقطع .

أنّ وأنْ بعد الا بمنزلة الاسم

إذا وقعت أنّ وأنْ مع صلتهما بعد « إلاّ » فإنهما بمنزلة الأسماء . لأنهما على معنى النفي لأن « إلاّ» لابد من أن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها في الايجاب والنفي وذلك قولك : ما أتاني إلاّ أنهم قالوا كذا وكذا ،

(٣٣) الكتاب : ٣٦٧/١ .
(٣٤) الكتاب ٣٦٧/١ .
(٣٥) المقتضب ٤١٤/٤ .

« فأنّ » في موضع اسم مرفوع ، كأنه قال : ما أتاني إلاّ قولُهم كذا وكذا . . ومثل ذلك قولهم « ما منعني إلاّ أنْ يغضب عليّ فلانٌ » كأنه قال : ما منعني إلاّ عضبُ فلانٍ « عليّ » قال سيبويه : والحجة على أنّ هذا في موضع رفع أنّ أبا الخطاب حدثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم ينشد هذا البيت رفعاً (٣٦) :

لم يمنعِ الشّربَ منها غيرُ أنْ نطقت
حمامـةٌ في غـصـونٍ ذاتِ أوقالِ

فيجوز في « غير » الرفع والنصب ، أما الرفع فلأنه فاعل « يمنع » وأما التصب فعلى البناء ، لأنه مبهم أضيف إلى مبني أصله البناء . وعلى ذلك يجري القياس في كل مبهم أضيف إلى مبني أصله البناء . ولا يجوز إذا أُضيف إلى مبني أصله الاعراب أن تبني . قال الخليل : إنّ النصب في « غير » كنصب بعضهم « يومئذٍ » « في كل موضع فكذلك: غيرَ أنْ نطقت . . . وكما قال النابغة: (٣٧)

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبَا
وقلتُ ألمـا أصـحُ واالشيبُ وازعُ

فبنى « حين » لأنه أضاف إلى مبني أصله البناء وهو الفعل الماضي .

الاستثناء من الموجب

الذي أراده النحاة القدماء وأهل اللغة هنا الفرق بين أُسلوبين أُسلوب في النفي يجوز في الاسم الواقع بعد إلاّ نوعان من الاعراب ، وأسلوب موجب غير منفي لايجوز في الاسم الواقع بعد إلاّ إلا نوع واحد من الإعراب هو النصب مهما كانت المفردات الواقعة قبل إلاّ من حيث الإعراب ، لكن سيبويه كعادته يرجع هذا إلى تأثير العامل كلما أراد أن يقرب ظاهرة نحوية من ذهن المتعلم ، فالذي يجوز في الاستثناء عنده من موجب النصب ، لأنه

(٣٦) الكتاب ١/٣٦٦ .
(٣٧) الكتاب ١/٣٦٩ .

معمول لما قبله من الكلام الذي هو « إلاّ » ، ولأنه لايصلح فيه تفريغ العامل لما بعد « إلاّ » فهو معمول لما قبله ، كما عمل العشرون في الدرهم حين قلت : عشرون درهماً . وهذا قول الخليل ، وذلك قولك : أتاني القومُ إلاّ أباك ، ومررتُ بالقومِ إلاّ أباكَ ، والقوم فيها إلاّ أباكَ ، قال : وانتصب « الأب » إذ لم يكن داخلاً فيما دخل فيه ما قبله ، ولم يكن صفة وكان العامل فيه ما قبله من الكلام . كما أن الدرهم ليس بصفة للعشرين ولا محمول على ما حملت عليه وعمل فيها (٣٨) . . . ألا ترى أنك لو طرحت « القوم » من الكلام لتبدلَ « أباك » منهم لفسد ، ولو قلت : أتاني إلاّ أباكَ » كان محالاً ، وكذلك ، مررتُ إلاّ بأبيك » محال . ولهذا أشار سيبويه حين قال : وإنما منع « الأب » أن يكون بدلاً من « القوم » أنك لو قلت : أتاني إلاّ أبوك » كان محالاً ... وانما جاز : ما أتاني القوم إلاّ أبوك » لأنه يحسن لك أن تقول : ما أتاني إلاّ أبوكَ » لأن هذا منفي ، فالمبدل إنما يجيء أبداً كأنه لم يذكر شيء قبله ، لأنك تخلي له الفعل وتجعله مكان الأول ، فإذا قلت : ما أتاني القوم إلاّ أبوكَ » فكأنك قلت : ما أتاني إلاّ أبوك » (٣٩) . . .

إلاّ بمعنى غير

الأصل في « إلاّ » أن تكون للاستثناء وفي « غير » أن تكون وصفاً . ثم قد تحمل إحداهما على الأخرى ، فيوصف بـ « إلاّ » ويستثنى بـ « غير » ، فإن كانت إلاّ بمعنى غير وقعت هي وما بعدها صفة لما قبلها ، وذلك حيث لا يراد بها الاستثناء ، وإنما يراد بها وصف ما قبلها بما يغاير ما بعدها ، وذلك قولك : لو كان معنا رجلٌ إلاّ زيد لغلبنا ، قال سيبويه : والدليل على أنه وصف ، أنك لو قلت : لو كان معنا إلاّ زيد لهلكنا . وأنت تريد الاستثناء

(٣٨) الكتاب ٣٦٩/١ .
(٣٩) الكتاب ٣٦٩/١ .

لكنت قد أحلت (٤٠) . . . . فلا يصح الاستثناء . فيتعين أن تكون « إلاّ » بمعنى « غير » ونظير ذلك قوله عز وجل « لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ اللهُ لفَسَدَتَا » (٤١) فإلاّ وما بعدها صفة « لآلهة » لأن المراد من الآية نفي الآلهة المتعددة واثبات الإله الواحد ، ولا يصح الاستثناء بالنصب ، لأن المعنى حينئذٍ يكون : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، وذلك يقتضي أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا ، وهذا ظاهر الفساد . والذي يجير النصب على الاستثناء في هذه الآية لايقدر ماينتجه معنى النصب من الفساد ، ولا يصح أيضاً أن يعرب لفظ الجلالة بدلاً من«آلهة»لأنه حيث لايصح الاستثناء لاتصح البدلية ، ثم ان الكلام مثبت فلا تجوز البدلية ، ولو صح الاستثناء لما علمت من أن النصب واجب في الكلام التام الموجب ، وأيضاً لو جعلته بدلاً لكان التقدير ، لو كان فيهما إلاّ الله لفسدتا » لأن البدل على نية طرح المبدل منه ، ولعدم صحة الاستثناء هنا وعدم جواز البدلية تعين أن تكون « إلاّ » بمعنى « غير » . ومما جاءت فيه « إلاّ » بمعنى « غير » مع عدم تعذر الاستثناء معنىً ، قول الشاعر :

وكُلُّ أخٍ مُفارقُهُ أخوهُ
لَعَمْرُ أبيك إلاّ الفَرْقَدانِ

أي ، كل أخ غير الفرقدين (٤٢) . . . . ولو قال : وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه إلاّ الفرقدين لصح . ويكون إعراب « إلاّ » وما بعدها ، على الوجه الذي ذكره سيبويه ، صفة للمضاف ، وهو « كُلُّ » لاصفة « لأخٍ » لذلك رفع ما بعد « إلاّ » والمشهور الشائع في كلامهم في مثل كل وبعض ونحوهما أن يكون الوصف لما أضيفا إليه لا لهما ، لأنه إن سقط المضاف إليه نابت صفته عنه .

(٤٠) الكتاب ١/٣٧٠ .
(٤١) الانبياء : ٢٢ . وانظر الكتاب ١/٣٧٠ .
(٤٢) الكتاب ١/٣٧١ .

تكرير الاستثناء من غير عطف

إذا شغل الفعل الأول بأحدهما انتصب الآخر على الاستثناء ولم يصلح البدل لأن المرفوع منهما موجب ، وذلك فقولك : ماأتاني إلاَّ زيدٌ إلاَّ عمراً ، وقال سيبويه : ولا يجوز الرفع في « عمرو » من قبل أن المستثنى لايكون بدلاً من المستثنى وذلك أنك لاتريد أن تخرج الأول من شيْ تدخل فيه الآخر ، وإنْ شئت قلت : ما أتاني إلاَّ زيداً إلاَّ عمروٌ » فتجعل الاتيان لعمرو ، ويكون زيد منتصباً من حيث انتصب عمروٌ ، فأنت في ذا بالخيار . إنْ شئت نصبت الأول ورفعت الآخر وإن شئت نصبت الآخر ورفعت الأول (٤٣) ... فسيبويه يشترط رفع أحدهما ونصب الآخر ، ولايجوز رفعهما جميعا ولا نصبهما ، وذلك نظراً إلى اصلاح اللفظ وتوفية مايستحقه . وذلك أن المستثنى منه محذوف والتقدير : ما أتاني أحد إلاَّ زيداً إلاَّ عمراً » لكن لما حذف المستثنى منه بقي الفعل مفرغاً بلا فاعل ، ولا يجوز اخلاء الفعل من فاعل — — على نظرية العامل — في اللفظ ، فرفع أحدهما بأنه فاعل ، ولما رفعت أحدهما لم يجز رفع الآخر ، لأن المرفوع بعد «إلاَّ» إنما يرفع على أحد وجهين: اما أن يرفع بالفعل الذي قبله إذا فرغ الفعل ، واما أن يرفع لأنه بدل من مرفوع قبله ، ولا يسوغ هنا وجه من الوجهين المذكورين ، لأن أحدهما قد ارتفع بالفعل لما فرغ له . ولايكون بدلاً ، لأن الثاني ليس الأول ، ولا بعضاً له ، ولا مشتملاً عليه ، مع أنه ليس المراد أن يثبت للثاني ما نفي من الاول فيبدل منه ، وإنما المعنى على أنهما لم يدخلا في نفي الاتيان ، قال سيبويه «غيرَك» في قول الشاعر :

فما لِيَ إلاَّ اللهُ لاربَّ غَيْرَهُ

ومَا لِيَ إلاَّ اللهَ غَيْرَكَ نَاصِرُ

---

(٤٣) الكتاب ١/٣٧٢ — ٣٧٣ .

بمنزلة إلاّ زيداً (٤٤) . . . أي منصوب على الاستثناء ، كأنه قال : إلا إياك .

ولو قلت : ما أتاني إلاّ زيدٌ إلاّ أبو عبد الله » بالرفع كان جيداً ، إذا كان أبو عبد الله زيداً ، ولم يكن غيره ، لأن هذا يكرر توكيداً . كقولك: رأيتُ زيداً زيداً وقد يجوز أن يكون غير زيدٍ على الغلط والنسيان، كما يجوز أن تقول « رأيتُ زيداً عمراً » لأنه إنما أراد عمراً فنسي ، فتدارك . ويكون بياناً إذا قال : ما أتاني إلاّ زيدٌ إلاّ أبو عبدِ الله . ومثله قول الشاعر :

مالكَ من شيخكَ إلاّ عَمَلُهْ

إلاّ رسيمُه وإلاّ رَمَلُهْ

« فرسيمه » بدل من « عمله » ورمله معطوف على « رسيمه » والاّ في الموضعين زائدة كررت للتوكيد .

الاستثناء من الجملة

يقع تحت ما كان داخلاً او منزلاً منزلة الداخل الاستثناء من الجملة وهو في المنقطع قليل . فلم يذكره سيبويه . بل ذكر استثناء الجملة من من المتصل قال : وذلك قولك : ما مررتُ بأحدٍ إلاّ زيدٌ خيرٌ منه كأنك قلت : مررتُ بقوم زيدٌ خيرٌ منهم . إلاّ أنكَ ، أدخلت « إلاّ » لتجعل زيداً خيراً من جميع من مررت به ، ولو قال : مررتُ بناسٍ زيدٌ خيرٌ منهم . لجاز أن يكون قد مرّ بناس اخرين هم خيرٌ من زيد ، فانما قال : ما مررتُ بأحدٍ إلاّ زيدٌ خيرٌ منه . لتخبر أنه لم يمرّ بأحدٍ يفضل زيداً(٤٥)..، فزيدٌ مبتدأ . وخيرٌ منه خبره ، والجملة في موضع نصب على الاستثناء أو جر على الاتباع .

---

(٤٤) الكتاب ١/٣٧٣ .

(٤٥) الكتاب ١/٣٧٤ .

الاستثناء بـ « غير »

قال سيبويه : اعلم أن غيراً أبداً سوى المضاف إليه ، ولكنه يكون فيه معنى « إلاّ » فيُجرى مُجرى الاسم الذي بعد « إلاّ » وهو الاسم الذي يكون داخلاً فيما يخرج منه غيره وخارجاً مما يدخل فيه غيره ، فأما دخوله فيما يخرج منه غيره « فأتاني القومُ غيرَ زيدٍ » فغيرهم الذين جاءوا ولكن فيه معنى « إلاّ » فصار بمنزلة الاسم الذي بعد « إلاّ » ، وأما خروجه مما يدخل فيه غيره « فما أتاني غيرُ زيدٍ » وقال : وكل موضع جاز فيه الاستثناء بـ «إلاّ» جاز بـ « غير » وجرى مجرى الاسم الذي بعد إلاّ ، لأنه اسم بمنزلته وفيه معنى « إلاّ » .. (٤٦) .

العطف على مجرور « غير »

زعم الخليل ويونس جميعاً أنه يجوز : ما أتاني غيرُ زيدٍ وعمرٌو» والوجه الجر ، وذلك أن « غيرُ زيدٍ » في موضع « إلا زيدٌ » وفي معناه . على الموضع كما قال : فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

فلما كان في موضع « إلاّ زيدٌ » وكان معناه كمعناه ، حملوه على الموضع والدليل على ذلك أنك إذا قلت : « غيرُ زيدٍ » فكأنك قد قلت : « إلاّ زيدٌ » ألا ترى أنك تقول : « ما أتاني غيرُ زيدٍ وإلاّ عمرٌو » فلا يقبح الكلام ، كأنك قلت : ما أتاني إلاّ زيدٌ وإلاّ عمرٌو » (٤٧) .. كذلك أشار سيبويه إلى ما جاء من الأدوات الأخرى التي فيها معنى « إلاّ » وأما « حاشا » فليس باسم ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجر « حتى » ما بعدها وفيه معنى الاستثناء . وبعض العرب يقول : « ما أتاني القومُ خلا عبدِ الله ، فجعلوا « خلا » بمنزلة « حاشا » فإذا قلت : ما خلا ، فليس فيه إلاّ النصب ، لأنّ « ما » اسم ، اسم ، ولا تكون صلتها إلاّ الفعل هنا ، وهي « ما » التي في قولك : أفعلُ

(٤٦) الكتاب ١/٣٧٤ .
(٤٧) الكتاب ١/٣٧٥ .

ما فعلتَ .. إلاّ أنك لو قلت أتوني ما حاشا زيداً » لم يكن كلاماً (٤٨) .. لأن حاشا عنده حرف . وما خلا فعل ثم قال : وأما : « ما أتاني القومُ سواك » فزعم الخليل أنَّ هذا كقولك : أتاني القومُ مكانكَ — أي هي ظرف ... إلاّ أنَّ في « سواك » معنى الاستثناء (٤٩) ... وقد خصص باباً لليس ولا يكون . قال : هذا باب لا يكون وليس وما أشبهما فإذا جاءتا وفيهما معنى الاستثناء فإنَّ فيهما اضماراً على هذا،وقع فيهما معنى الاستثناء ، كما أنه لا يقع معنى النهي في « حسبك » إلاّ أن يكون مبتـدأ ، وذلك قولك : ما أتاني القومُ ليس زيداً ، وأتوني لا يكونُ زيداً « وما أتاني أحدٌ لا يكونُ زيداً » كأنه حين قال : أتوني ، صار المخاطب عنده قد وقع في خَلَدِه أنَّ بعض الآتينَ زيدٌ » حتى كأنه قال بعضهم زيدٌ . فكأنّه قال : ليس بعضُهم زيداً » وترك اظهار « بعض » استغناء . كما ترك الاظهار في « لات حين .. فهذه حالهما في حال الاستثناء (٥٠) » ..

حذف المستثنى تخفيفاً

قد يحذف المستثنى طلباً للخفة وهو أسلوب — كما ذكرنا — وذلك قولك : ليس غير . وليس إلاّ . كأنه قال : ليس إلاّ ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا تخفيفاً اكتفاءً بعلم المخاطب . قال سيبويه : سمعنا بعض الموثوق بهم يقول : ما منهما مات حتى رأيته في حال كذا وكذا .. وإنما يريد :ما منهما واحد مات.ومثل ذلك قوله عزوجل « وإنْ مِنْ أهلِ الكتابِ إلاّ لَيُؤمنَنَّ بهِ قَبْلَ مَوْتِهِ » (٥١) ومثل ذلك قو الشاعر :

---

(٤٨) الكتاب ٣٧٧/١ .
(٤٩) الكتاب ٣٧٧/١ .
(٥٠) الكتاب ٣٧٦/١ .
(٥١) النساء : ١٥٩ وانظر الكتاب ٣٧٥/١ .

كأنَّكَ مِـن جمالِ بني أُقيشٍ
يُقعقِـعُ خلْـفَ رجليهِ بشَنِ

أي : كأنك جمل من جمال بني أقيش .. (٥٢) .

وبعد عرض آراء سيبويه في موضوع الاستثناء يتبين أن كل هذه الانواع التي ذكرها تعود إلى أساليب مختلفة في كلام العرب لا إلى نظرية العامل التي شغلت النحاة المتأخرين والسابقين الذين يصرون على اخضاع مثل الأساليب إلى نظريتهم هذه ، فالنحو عنصر من عناصر لغة هذه الأُمة العظيمة ، وكل الأمم تعتز بلغاتها ، لكنها تنشد الحضارة والتقدم وأمتنا العربية واكبت كل الحضارات وتأثرت بها وأثرت فيها ، فلابد إذن لهذه اللغة أن تتطور عبر هذه العصور وتطرد كل شيء لا نحتاجه في هذا العالم الذي نعيش فيه .

« ما الذي اضافه المتاخرون بعد ذلك »

المصطلحات التي ذكرت في كتاب سيبويه حول موضوعات الاستثناء هي التي تستعمل حتى يومنا هذا ، فقد بقيت معروفة في كل الكتب التي صنفت بعد ذلك مع اختلاف في العبارات ، كذلك فإن الاستثناء في كتاب سيبويه أوسع وأشمل منه في أي كتاب آخر من كتب النحو التالية له .

أما ما كان من خلاف بين الكوفيين والبصريين ومن تابعهم من المتأخرين فجله جدل يدور حول عمل « إلاّ » في المستثني او عمل ما قبلها من فعل أو شبهه . فقد ذهب بعض الكوفيين إلى أن العامل في المستثني في نحو : قام القومُ إلاّ زيداً هي « إلاّ » وذلك ، لأن « إلاّ » قامت مقام « أستثني » ألا ترى أنك إذا قلت : قام القوم إلاّ زيداً كان المعنى فيه : أَستثني زيداً ولو قلت : « أستثني زيداً » لوجب أن تنصب ، فكذلك ما قام مقامه ، والذي يدل أيضاً على أن الفعل ليس عاملاً قولهم : القوم أُخوتك إلاّ زيداً »

(٥٢) الكتاب ٣٧٥/١ .

فينصبون زيداً وليس ها هنا فعل البتة (٥٣) .. » ولأبي العباس المبرد مثل هذا الرأي ، فـ « إلاّ » هي العاملة عنده ، لأنها نابت عن « أستثني » فقد يكون الفعل او غيره من العوامل مشغولاً ، ثم يؤتى بالمستثنى بعد ، فإذا كان كذلك فالنصب واقع على كل مستثنى ، وذلك قولك : جاءني القومُ إلاّ زيداً « ومررتُ بالقوم إلاّ زيداً » وذلك ، لأنك لما قلت : جاءني القومُ « وقع عند السامع أنّ زيداً فيهم ، فلما قلت : إلاّ زيداً .. كانت « إلاّ » بدلاً من قولك : أعني زيداً ، او أستثني فيمن جاءني زيداً ، فكانت بدلاً من الفعل (٥٤) .

أما نصب المستثنى عند ابن السراج فطريف حقاً فإنما نصب لأنه أشبه المفعول إذا أتى به بعد استغناء الفعل بالفاعل وبعد تمام الكلام . تقول :— جاءني القومُ إلاّ زيداً . فجاءني القومُ . كلام تام ، وهو فعل وفاعل ، فلو جاز أن تذكر « زيداً بعد هذا الكلام بغير حرف الاستثناء . ما كان إلاّ نصباً . لكن لا معنى لذلك إلاّ بتوسط شيء آخر . فلما توسطت « إلاّ » حدثت معنى الاستثناء . ووصل الفعل إلى ما بعد « إلاّ » (٥٥) .

ونسب إلى الكسائي أنه يذهب إلى أن المستثنى منصوب بـ « أنّ » مقدرة بعد « إلاّ » محذوفة الخبر . فتقدير : قام القومُ إلاّ زيداً قام القومُ إلاّ أنّ زيداً لم يقم .. (٥٦) .

وهذا ليس مألوفاً عند النحاة إذ يبقي الإشكال بحاله في انتصاب أنّ مع اسلمها وخبرها . لأنها في تقدير المفرد . وهذا المذهب قريب مما ذكره ابن السراج عن البغداديين بعد ذلك من أنّ قولهم : « إلاّ » في الاستثناء ، إنما هي أن لا ولكنهم خففوا « أنّ » لكثرة الاستعمال . ويقولون : إذا قلنا : ما جاءني

(٥٣) الانصاف ١/١٥٠ .
(٥٤) المقتضب ٤/٣٩٠ .
(٥٥) الأصول ١/٣٤٢ — ٣٤٣ .
(٥٦) شرح الكافية ٢/٢٤٦ وشرح المفصل ٢/٧٧ .

أحدٌ إلاّ زيدٌ فإنما رفعنا « زيداً » بـ « لا » وإن نصبنا فبأنْ ونحن في ذلك مخيرون في هذا . لأنه قد اجتمع عاملان « أن » ولا » فنحن نعمل أيهما شئنا .. (وتركيب « إلا » قال به الفراء (٥٧) أيضاً ولم يقل به أحد من القدماء ، لأن سيبويه قال بانها بسيطة كما مَرَّ . ونقل عن الكسائي أيضاً أن الخلاف عامل في نصب المستثنى ، لأنه يجب له عكس ما يجب للمستثنى منه فإذا كان الحكم مثبتاً للمستثنى منه كان منفياً عن المستثنى . وإذا كان منفياً في المستثنى منه كان مثبتاً له ، ومن ثم المخالفة النصب فيه (٥٨) ... والمخالفة أو الخروج او الاستثناء عند البصريين ليس إلاّ تعبيرات عن شيء واحد يخص الاساليب او لبيان الوظيفة التي يؤديها اللفظ . كما أن بيان الحال او بيان المكان او الزمان الزمان بيان لوظائف كل منها في التعبير . وهو حين يكون مخرجاً يأخذ حكماً خاصاً ، كما أنه حين يكون بدلاً يأخذ حكماً خاصاً . وعندما يكون الاستثناء مفرغاً يأخذ حكماً ثالثاً . شأنه في ذلك شأن المفعول به والحال والتمييز والفاعل والمبتدأ ، فسيبويه قد قال في مواضع كثيرة مرت . هذا باب لا يكون المستثنى فيه إلاّ نصباً ، لأنه مخرج مما أَدخلت فيه غيره فعمل فيه ما قبله . كما عمل العشرون في الدرهم (٥٩) .. وقد تابع الفراء في تركيب « إلاّ » من المتأخرين المستشرق براحستراسر الذي زعم أن الاستثناء أصله من تركيب الجمل فإن « إلاّ » مركبة من « إن الشرطية » و « لا النافية » فمثل : ما جاءني أحدٌ إلاّ زيدٌ أصلها « إنْ لم يكن جاءني زيدٌ فما جاءني أحدٌ (٦٠) » وهذا فيه من التكلف البعيد عن واقع اللغة ما لا يخفى على الدارسين ، فما جاءني أحدٌ إلاّ زيدٌ « بعيدة كل البعد عن هذا الأصل الذي ذكره براجستراسر » لأن الشرط يقدم غالباً ولا يؤخر .

(٥٧) الأصول ١/٣٦٨ .
(٥٨) انظر الهمع ١/٢٢٤ ، والتصريح ١/٣٤٦ .
(٥٩) الكتاب ١/٣٦٩ .
(٦٠) التطور اللغوي : ١١٦ .

إلاّ تكون بمعنى الواو

لم يذكر سيبويه هذا المعنى لأن فيه تكلفاً وتأويلاً للكلام ، لكن الكوفيين قالوا : إنّ « إلاّ » تكون بمعنى الواو ، وذلك لمجيء مثل هذا في كتاب الله تعالى ، وكلام العرب ، قال تعالى : « لئلا يكونُ للناسِ عليكم حُجّة إلاّ الذينَ ظلموا منهم (٦١) » أي . ولا الذين ظلموا . يعني ، والذين ظلموا لا يكون لهم أيضاً حجة ، وقال تعالى « لا يُحبُ اللهُ الجهرَ بالسوءِ من القَولِ إلاّ مَنْ ظَلَمَ (٦٢) .. أي . ومَن ظَلمَ لا يحب أيضاً الجهر بالسوء منه . وقول الشاعر (٦٣) :

لَعَمرُ أبيك إلاّ الفَرْقَدَانِ

و « إلاّ » عند سيبويه — كما رأينا — بمعنى « غير » في قول الشاعر لأنه واكثر البصريين لا يجيزون كون « إلاّ » بمعنى الواو . لأنها للاستثناء والاستثناء عندهم يقتضي اخراج الثاني من حكم الأول . والواو للجمع ، والجمع يقتضي ادخال الثاني في حكم الأول ، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر .

وبعد هذه الرحلة القصيرة في أسلوب الاستثناء يبقى القدماء هم أصحاب اليد الطولى في هذا العلم . فهم الذين وضعوا قواعده الدقيقة وأصوله ومذاهبه التي بقيت خالدة بخلود هذه الأمة التي نفخر بماضيها كما نفخر بحاضرها ، كل الذي نرجوه هو أن نسهل عملية التعليم لهذه القواعد الكثيرة وندرسها أساليب تخص المعاني ونبتعد ما استطعنا عن العامل وما يجره من تأويلات وتعليلات تنفر العربي من لغته الجميلة .

---

(٦١) البقرة : ١٥٠ .
(٦٢) النساء : ١٤٨ .
(٦٣) الانصاف : ١/١٩٦ .

المراجــع

١ ــ الأصول في النحو لابن السراج تحقيق د. عبدالحسين الفتلي النجف ١٩٧٣

٢ ــ اعراب القرآ للنحاس تحقيق د. زهير زاهد ــ مطبعة العاني بغداد .

٣ ــ الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانبارى تحقيق محيي الدين عبدالحميد ١٩٧٧م .

٤ ــ التطور النحوي لبراجستراسر مطبعة السماح ١٩٢٩م .

٥ ــ شرح التصريح للشيخ خالد الأزهري ــ طبعة عيسى البابي الحلبي .

٦ ــ شرح الكافية للرضي ــ المطبعة العامرة المحمية ١٢٧٥هـ .

٧ ــ شرح المفصل لابن يعيش ــ دار الطباعة المنيرية .

٨ ــ العربية ليوهان فك ــ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ــ مطبعة دار الكتب ١٩٥١م .

٩ ــ الكتاب لسيبويه ــ طبعة بولاق ١٣١٦هـ .

١٠ــ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبدالباقي مطابع الشعب ــ القاهرة .

١١ــ المقتضب لأبي العباس المبرد . تحقيق عبدالخالق عضيمة .

١٢ــ همع الهوامع لجلال الدين السيوطي القاهرة ١٣٢٣هـ .

باب الأضداد

لأبي عبيد القاسم بن سلام

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد حسين آل ياسين

كلية الآداب – جامعة بغداد

[القسم الاول : الدراسة]

المؤلف

هو أبو عُبيد القاسم بن سلام الخزاعي الهرويّ (١) . ولد بهراة – وإليها نُسب – سنة إحدى وخمسين ومائة للهجرة في أرجح الروايات . وكان أبوهُ عبداً رومياً لرجل من أهل هراة ، ونشأ أبو عبيد مولىً للأزد في خراسان . ثمّ وليَ قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك . وارتحل الى حواضر العرب الكبيرة : بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة .

فقدم بغداد وحدّث بها ماأخذه عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وعبد الملك بن قُريب الأصمعي وأبي محمد اليزيدي

---

(١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ٢١٧ ومراتب النحويين ٩٣ وتهذيب اللغة ١ / ١٩ والفهرست ١٠٦ ونزهة الالباء ٩٣ وانباه الرواة ٣ / ١٢ ونور القبس ٣١٤ وتاريخ بغداد ١٢ / ٤٠٣ ومعجم الادباء ١٦ / ٢٥٤ ووفيات الأعيان ٣ / ٢٢٥ والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٤١ والمزهر ٢ / ٤١١ وبغية الوعاة ٣٧٦ وشذرات الذهب ٢ / ٥٤ وتاج العروس ١ / ٣٦ والكنى والألقاب ١ / ١١٣ وتاريخ بروكلمان ٢ / ١٥٥ والأعلام ٦ / ١٠ .

وغيرهم من البصريين ؛ وعن ابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى الأموي وأبي عمرو الشيباني وعلي بن حمـزة الكسائي ويحيى بن زياد الفرّاء من الكوفيين . وكان يُعَدّ في الكوفيين منهجاً في اللّغة والنحو .

وضع أبو عبيد عدداً كبيراً من المصنفات في حقول شتّى من المعرفة ، وروى النّاس من كتبه نيّفاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه . ومن هذه الكتب : غريب القرآن ، غريب الحديث ، الغريب المصنّف ، المقصور والممدود ، القراءات ، الأمثال السائرة ، عدد آي القرآن ، الأموال ، المذكر والمؤنث ، وغيرها كثير . ومن مؤلفاته المطبوعة :

١ ــ الأجناس من كلام العرب : نشره امتياز علي الرامفوري ، في بومبي الهند سنة ١٩٣٨ م .

٢ ــ الأمثال : نشر منه المستشرق «برتو» فصلين سنة ١٨٣٦م؛ ثم نُشر في كتاب (التحفة البهيّة) المطبوع في الجوائب باستانبول سنة ١٣٠٢ هـ ؛ ثم في تضاعيف (العقد الفريد) لابن عبد ربه المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٢ م . ثم حقّق شرح أبي عبيد البكري للكتاب الاستاذان عبد المجيد عابدين وإحسان عبّاس وطبع في الخرطوم سنة ١٩٥٨ م ، ونشره في مكة المكرمة أخيراً مركز إحياء التراث الإسلامي سنة ١٤٠٠ هـ .

٣ ــ الأموال : طبع في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، وأُعيد طبعه فيها سنة ١٣٨٨ هـ.

٤ ــ الايمان ومعالمه : طبع بدمشق [انظر : كتاب الشجر والنبات وكتـاب النخل : ٩١] .

٥ ــ غريب الحديث : طبع بمراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان ، في حيدر آباد الهند سنة ١٩٦٤ م .

٦ ــ فضائل القرآن : نُشر في مجلة (اسلاميكا) التي تصدر في المانيا [انظر : بروكلمان ٢ / ١٥٥] .

ثم أنه لمّا حجّ أقام بمكّة ، حتى تُوفيّ ودُفن فيها في مكان يُقال له «دور جعفر» سنة أربع وعشرين ومائتين،وله من العمر ثلاث وسبعون سنة .



الغريب المصنف

من أجَلِّ ما وُضع من معجمات المعاني ، التي اتّخذتْ من الموضوعات أساساً لإيراد موادِها . وهو أيضاً أقدم ما وصل إلينا منها ؛ إذْ لم يصل ما أُلّف من هذه المعجمات قبل أبي عبيد ككتاب « الصّفات » للنضر بن شميل المتوفى سنة (٢٠٣ هـ) . الذي ذكره ابن النديم في الفهرست وأورد عرضاً لأبوابه وفصوله (٢) . وتحتفظ خزائن المخطوطات بعددٍ من نُسخ الغريب المصنّف بعضها يرقى نَسْخه الى القرن الرابع الهجري . وبعضها يتأخر الى القرن الرابع عشر الهجري (٣) .

ولقي الكتاب من اهتمام العلماء الشيء الكثير . فشُرح واستُدرِك عليه وأُلف على منهجه ؛ ومن أشهر معجمات المعاني التي نهجتْ نهجه : كتاب «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبي . و« المخصّص » لابن سيده . ونُقل عن أبي عبيد أنه كان يقول عن معجمه : « هذا الكتاب أحب إليّ من عشرة آلاف دينار . يعني الغريب المصنّف . وعدد أبوابه على ما ذكر ألف باب ، ومن شواهد الشعر ألف ومائتا بيت » (٤) .

ومن طريف ما نقله القفطي عن أبي عبيد قوله متحدثاً عن كتابه : « مكثتُ في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة . أتلقّف ما فيه من أفواه الرِّجال ،

---

(٢) الفهرست : ٧٧ .
(٣) بروكلمان : ١ / ١٠٦ والمخصص لابن سيده دراسة ودليل : ٢٤ ومجلة المناهل ٦ / ٤٦١ والدراسات اللغوية عند العرب : ٢٩١ .
(٤) الفهرست : ١٠٧ .

فإذا سمعتُ حرفاً عرفتُ له موقعاً في الكتاب بتُّ تلك الليلة فرحاً » (٥) حتّى استطاع الغريبُ المصنّف أن ينتزع من العالم اللغوي شمِر بن حمدَويْه المتوفّى سنة (٢٥٥ هـ) قوله : « ما للعربِ كتابٌ أحسن من مصنّف أبي عبيد » (٦) .

ونقل السيوطي (ت ٩١١ هـ) عمّن تصدّى إلى حساب ألفاظه أنه قال: « عددتُ ما تضمّنه الكتاب من الألفاظ فألفيتُ فيه سبعةَ عشر ألف حرف وسبع مائة وسبعين حرفاً » (٧) ، وكان قد أُخِذ على الكتاب خطأ في ألفاظه ، وممّن أورد هذا الخطأ اسحاق الموصليّ الذي زعم أنّ في الغريب المصنّف ألف حرف خطأ . فلما سمع أبو عبيد مؤلف الكتاب ذلك قال : « كتابٌ فيه أكثر من مائة ألف يقع في ألف ليس بكثير ، ولعلّ اسحاق عنده رواية وعندنا رواية فلم يعلم فخطّأنا » (٨) .

ولم يسلم الكتاب من الطّعن في أصالته؛ فقد قال القفطي متحدّثاً عن أبي عبيد : « وقد سُبق إلى أكثر مصنّفاته ، فمن ذلك الغريب المصنّف ، وهو من أجَلِّ كتبه في اللغــة ، فإنّه احتذى فيه كتاب النّضر بن شميل المازني الذي يُسمّيه كتاب الصّفات ، وبدأ فيه بخلق الإنسان ثم بخلق الفرس ، ثم بالإبل ، فذكر صنفاً بعد صنف حتىّ أتى على جميع ذلك ، وهو أكبرُ من كتاب أبي عُبيد وأجود » (٩) . وإلى مثل هذا كان ابن النّديم قد ذهب (١٠) .

وهذا الذي اتُّهمَ به الغريب المصنّف ، كان قد وُجّه الى غيره من كتب أبي عبيد ، فكتابه « في غريب القرآن منتزعٌ من كتاب أبي عبيدة » (١١) .

(٥) انباه الرواة : ٣ / ٢٢ .
(٦) انباه الرواة : ٣ / ٢٣ .
(٧) بغية الوعاة : ٣٧ وانظر : انباه الرواة ٣ / ٢١ .
(٨) انباه الرواة : ٣ / ٢٠ .
(٩) انباه الرواة : ٣ / ١٤ ..
(١٠) الفهرست : ٧٧ .
(١١) معجم الأدباء : ١٦ / ٢٦٠ .

وكتابه « في غريب الحديث فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة في غريب الحديث » (١٢) . ولم تصمد مثل هذه الطعون أمام البحث العلمي المنصف ، وقد فصّلت القول في هذا وبسطته في كتابي « الدراسات اللغوية عند العرب » ولا أريد أن أكرّره هنا ؛ وليقف عليه الواقف هناك (١٣) .

وقد نُشرت أبوابٌ أو كتبٌ من هذا المعجم مستقلّةً ، لما وجدَ محقّقوها في نشرها مفردةً من فائدة . ريثما يظهر المعجم كاملاً للنور بعد أن طالتْ غيبتُه ، ومن هذه الأبواب :

١ – كتاب الشجر والنبات وكتاب النخل : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين – ١٩٨٤ م .

٢ – كتاب السحاب والمطر وكتاب الأزمنة والرياح : تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي – الجزء الأول من المجلد السادس والثلاثين – ١٩٨٥ م .

٣ – كتاب السلاح : تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن – مجلة المورد الفصلية – بغداد ١٩٨٥م .

٤ – باب الأضداد : وهو هذا الذي نقدّمه الآن .

ومازلنا نسمع – ونحن في العراق – منذ اكثر من خمس عشرة سنة ؛ أن الدكتور رمضان عبد التواب قد أكمل تحقيق الغريب المصنف ودفع به الى الطبع .

* * *

(١٢) معجم الادباء : ١٦ / ٢٦٣ .
(١٣) الدراسات اللغوية عند العرب : ٢٩٢ .

كتاب الأضـداد

لم ينسِب مؤلفو المصادر اللغوية القديمة ، أو فهـارس الكتب ، أو كتب التراجم كتاباً مستقلاً في الأضداد إلى أبي عبيد فيما نسبوا اليه من المصنّفات والتواليف المعروفة ممّا ذكرنا في ترجمته الموجزة في صدر هذه الدراسة . غير أنّا إذا تقدّمنا في الاستقراء حتى نصل الى السيوطي المتوفىّ سنة (٩١١هـ) نقف على ذكر لكتاب الأضداد منسوباً إلى أبي عبيد في موطنين من المزهر (١٤) . فلا نملك إزاء ذلك إلاّ الشك في صحة هذه النسبة ، لأنه لو كان فيها نصيبٌ من الصحّة فلا يعقل أن تتفق المصادر المختلفة والفهارس الكبيرة على إغفاله أو الإحجام عن الإشارة اليه ، فمثل أبي عبيد لايُغفل له كتابٌ متداول . يؤيد هذا الشك سكوت المصادر المتأخرة عن السيوطي عن ذكره أيضاً ؛ وأبرزها كشف الظنون وايضاح المكنون وهدية العارفين وأمثالها مما استدرك على الأوائل ما فاتهم ذكره أو الوقوف عليه .

ولا يرد إلى ذهن الدارس من تفسير لهذا التفرُّد في نسبةِ كتابٍ مستقل في الأضداد الى أبي عبيد الاّ أن يكون قد وقع باب الأضداد في الغريب المصنَّف بيد السيوطي وقد نُسخ مستقلاً في كتاب ، فظنّ السيوطي أنه كتابٌ مستقل لأبي عبيد فنقَلَ منه ونسب النقل الى هذا الكتاب المستقل . غير أنّ تدبُّر المادة المنقولة عنه في المزهر لا يعضد هذا التصوّر ؛ إذْ لا وجود لها في باب الأضداد من الغريب المصنَّف . فلا يبقى أمامنا إلاّ أن نحتمل التحريف لحق أبا عبيدة مؤلفاً في الأضداد كتاباً مشهوراً تذكره المصادر وتنقل عنه كتب الأضداد ، فأصبح أبا عبيد والكنيتان متشابهتان قريبتان ؛ إلاّ أن ذلك يدحضه ذكر الاسم كاملاً في المزهر إذْ يقول : « وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتاب الأضداد .. » (١٥)

---

(١٤) المزهر : ١ / ٥٨١ ؛ ٢ / ٢٤٩ .
(١٥) المزهر : ١ / ٥٨١ .

أكبر الظن أن السيوطي وهِمَ فيما نسبه إلى أبي عبيد ؛ فلا سبيل الى تعليل ذلك إلاّ بالوهم . كما وَهِم بعــده بروكلمان حين نسب الى أبي عبيــد كتاب (الأضداد والضدّ) زاعماً أنّ مخطوطته محفوظة في مكتبة « عاشر أفندي » في تركيا ورقمه فيها (٨٧٤) (١٦) . والحقيقة أن المخطوطة هي كتاب الأضـــداد لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) (١٧) . كما يشير إلى ذلك فهـــرس المكتبة ، وكتاب بروكلمان نفسه ، في ترجمة أبـي حاتم (١٨) واطمئنان الدكتور رمضان عبدالتواب إلى هذه الحقيقة التي أكّدها له المستشرق ريتر ، على ما أَخبرني به في رسالة شخصية منه إليّ (١٩) .



نسخ المخطوطة

توفّرتُ في تحقيق النصّ على اربع نُسخ منهُ هي :

١ — نسخة المكتبة الامبروزيانيّة في ميلانو بايطاليا . كتبتْ سنة ٣٨٤ هـ . وهي التي اتخذتُها أصلاً ، ورمزتُ لها بالحرف (م) .

٢ — نسخة مكتبة فيض الله في استانبول بتركية ، كتبت سنة ٥٣٦ هـ . ورمزت لها بالحرف (ك) .

٣ — نسخة المكتبة الوطنية بتونس . كتبت سنة ٤٠٠ هـ . « وفيه نظر » . ورمزت لها بالحرف (س) .

٤ — نسخة مكتبة المتحف العراقي في بغداد . كتبت سنة ١٣٣٠ هـ . ورمزت لها بالحرف (ح) .

---

(١٦) تاريخ بروكلمان : ٢ / ١٥٥ .
(١٧) طبع ضمن (ثلاثة كتب في الأضداد) بتحقيق المستشرق أوغست هفنر ببيروت ١٩١٤م .
(١٨) تاريخ بروكلمان : ٢ / ١٥٨ .
(١٩) الأضداد في اللغة : ٣٧٩ .

وتختلف النُسخ فيما بينها في جملة أُمور تبعاً لاختلاف تاريخ النّسخ ، والخّط . والأصل الذي نُقلت عنه . ويتمثّل هـــذا الاختلاف في : عدد الأوراق ، وموضع باب الأضداد من الغريب المصنّف ، وتسلسل مواد الأضداد فيه ، والنّص .

فتاريخ النسخ — كما اثبتناه — مختلف بين النسخ ، وهو يتفاوتُ بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر الهجريين . فبين كتابة (م) و (ح) ما يقرب من ألف سنة ، فانبنى على ذلك اختلاف الخط ، فلكل عصر رسمه الذي يميزهُ المعنيون بالمخطوطات ، وعلى هذا الأساس قام شكُّنا في صحة تاريخ النسخة التونسية ، فنوع الخط فيها ورسم الحروف لا يمكن أن يرقى إلى سنة (٤٠٠ هـ) كما هو الشائع المعروف من تاريخ نسخها .

وكنتُ قد وقفتُ على ذكر نسخةٍ من « الغريب المصنّف » في تونس . فيما عمله الاستاذ كوركيس عوّاد من فهرسة لأقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم (٢٠) . ناصّاً على أنّها كُتبتْ سنة (٤٠٠ هـ) . فكتبتُ إلى صديقي الدكتور عبدالسلام المسدّي طالبــاً منه صورةً لباب الأضداد في المخطوطة بعد أن علمتُ أنّ المكتبة الوطنيّة في تونس قد جمعت المخطوطات المتناثرة في المكتبات المختلفة في خزانتها العامرة ؛ ووصفتُ له المخطوطة وذكرتُ له ما يتعلق بتاريخها . فوافاني مشكوراً بصورة باب الأضداد منها .

وبعد دراسة هذه المصوَّرة استقرّ في نفسي الاطمئنان إلى أنّها لا يمكن أن ترقى في تاريخها إلى أبعد من القرن السادس أو السابع الهجريين اعتماداً على طريقة الرسم . ولهذا أخرّتُها في التسلسل الى ما بعد النسخة التركية . وجعلتها النسخة الثالثة . ولعلّنا يمكن أن نفسّر ما ورد من ذكر تاريخ نسخها بأنها نقلتْ عن نسخة مكتوبة في سنة (٤٠٠ هـ) ، فنقل الناسخ هذا التاريخ من الأصل الى نسخته التي بين يديه .

(٢٠) أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم : ١٧٥ .

والنُسخُ الأربع تنحدر من أصلين مختلفين أو أكثر لم تصل إلينا ؛ ويبرز ذلك في الاختلاف في موضع « باب الأضداد » من الغريب المصنَّف ، وتسلسل مواد الأضداد فيه . ويكاد الأصل (م) لا يشترك في شيءٍ من ذلك مع أيٍ من النُسخ الأُخرى . في حين نجد تشابهاً بين (ك) و (س) و (ح) في مواضع متعددة ؛ وقد تنفرد إحداهنَّ بما ليس في الأُخريين ؛ بل قد يصل الاتفاق بين اثنتين أو أكثر إلى درجةٍ تقرّبنا إلى اليقين بأنها من أصلٍ واحد ، كالاتفاق مثلاً بين (ك) و (س) و (ح) على تكرير مادتين من مـــواد الأضـــداد في الموضع نفسه من النسخ الثلاث ، بعد أن كانت المادتان قد ذكرتا في موضع سابق منهنّ ؛ وتختلف (م) عن النسخ الأُخرى في تسلسل مواد الأضداد اختلافا كبيراً . وتشترك النسخ الثلاث في جوانب من هذا التسلسل وتختلف فيما بينها في جوانب أخرى ، على ما سنبيّنه بعد قليل في الكلام على « باب الأضداد » .

من ذلك كله يمكن القول إنَّ (م) تنحدر من أصل . وإنَّ (ك) و(س) و (ح) تنحدر من أصل واحد آخر على الأقل ، إلاّ أنّ ذلك لم يكن مغرياً لنا في أن نتخذ احدى النسخ المتشابهات أصلاً نعتمده في التحقيق ؛ أو أن نعمد إلى منهج تلفيق النّص من هذه النسخ بعد أن وجدنا في (م) على تفرّدها واختلافها مع النسخ الثلاث في مواضع متعددة ما يؤهلها أن تكون هي (الأصل) الذي نعرض عليه سائر النسخ ؛ لتقدمها في العصر ، وخلوّها من التكرار والنقص . وقلّة نسبتها من الخطأ . ولذا فقد تكرّر الاتفاق على مخالفتها في الهامش .

★ ★ ★

باب الأضداد

تختلف نسخ « الغريب المصنف » – كما أشرتُ قبل قليل – في موقع « باب الأضداد » فيها وتسلسل موادّه ، فموقع الباب يتحدّد بالتفصيل الآتي :

١ – النسخة الايطالية « م » : تقع في (٢١١) ورقة ، يحتل باب الأضداد منها ورقتين ونصفاً (حوالي خمس صفحات) من ق ١٠٨ – ق ١١٠ . يسبقه باب « يفعِل ويفعُل من ذوات الياء والواو » ويليه باب « المقلوب» .

٢ – النسخة التركيّة « ك » : تقع في (٢٨٧) ورقة ؛ يحتل باب الأضداد منها ثلاث أوراق (حـــوالي خمس صفحات ونصف) من ق ٢٠٠ – ق ٢٠٣ . يسبقه باب « المفاخرة والحسب » ويليه باب « المقلوب » .

٣ – النسخة التونسيّة « س » : تقع في (٣٠٨) ورقة ؛ يحتل باب الأضداد منها ثلاث أوراق (حوالي خمس صفحات) ، يسبقه باب « الصَّـدَقة » ويليه باب « المقلوب » .

٤ – النسخة العراقية « ح » : تقع في (٣٤٢) ورقة ؛ يحتل باب الأضداد منها ثلاث أوراقٍ ونصفاً (حوالي سبع صفحات) من ق ٢٦٠ – ق ٢٦٣ . يسبقه باب « الصَّدقة » ويسبق بابَ الصَّدقة بابُ « المفاخرة والحسب» ويليه « باب المقلوب » .

من ذلك يتَّضح أن موقع الباب يتقدم ويتأخر في المعجم تبعاً لاختلاف النسخ ؛ إلاّ أنَّ هناك تقارباً في موقعه في النسخ الثلاث الأخيرات ، والاختلاف بينهنَّ يسير لا يتجاوز تأخيره باباً أو بابين عن موقعه في أُختها ؛ إلاّ أنّها جميعاً متفقة على أن يأتي بعده باب « المقلوب » ؛ فكأنَّ النسخ ترى – كما رأى المؤلف – هذا الارتباط بين البابين . فما شمل باب الأضداد من تغيُّرٍ في موضعه شمل باب المقلوب . وكان جمهور الأَضداديين يرى أن البحث

في المقلوب جزء من البحث في الأضداد ، بل أدخله بعضهم في كتاب الأضداد كما فعل أبو حاتم السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) مثلاً ، حين سمّى كتابه « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد » وضمّنه مواد ظاهرتي الأضداد والمقلوب .

ومواد « باب الأضداد » احدى واربعون مادة ؛ واتفقت على العدد جميع النُسخ ، واختلفت في تسلسل إيرادها ؛ فهي في النسخة الأم (م) مرتّبة هكذا :

النّاهل . السُّدفة . طلعتُ . لمقتُ . اجلعبَّ . بعتُ . شريتُ . شعبتُ . الجون . التلاع . أفدتُ . أودعتُه ، غاضية . المشيح . الجلل ، الصّارخ ، أخلفتُ . الماثل . الصَّريم . بثر . الظنّ . الرَّهوة ، وراء ، دون . فرَّع ، أفرع . أشكيتُ . الخلوف . الماجدُ . سواء . تهيَّبتُ ، أطلبتُ . أسررتُ . الخشيب . الإهماد . الإقراء . الخناذيذ . خفيتُ ، شِمتُ . رتَوتُ ، غبيتُ .

أمّا في النسخة (ك) فترتيبُها يتفق مع (م) ؛ من مادة (النّاهل) الى مادّة (أخلفتُ) . ويختلف في الباقي . إذ يأتي بعد ذلك : الخلوف ، الماثل . الماجد ، الصَّريم . بثر . الظنّ .الرَّهوة. وراء . دون ، فرَّع ، أفرع أشكيتُ . تهيَّبتُ . سواء . أطلبتُ . أسررتُ . الخشيب . الإهماد . الإقراء . الخناذيذ . خفيتُ . شمتُ . وراء . دون [مكرَّرتان] ، رتوتُ . غبيتُ .

أمّا النسخة (س) فتتفق مع (م) من (النّاهل) إلى (أَخلفتُ) وتختلف معها في الباقي . شأن النسخة (ك) ؛ إلاّ أنّها تستمرّ في اتفاقها مع (ك) إلى مادة (أشكيتُ) . ثم يأتي فيها بعد ذلك : سواء . أطلبتُ ، أسررتُ . الخشيب . تهيَّبتُ . الإهماد . الإقراء . الخناذيذ . خفيتُ . شمتُ.وراء ؛ دون [مكرَّرتان] . رتوتُ . غبيتُ .

وأمّا النسخة (ح) فشأنها في الموافقة والمخالفة شأن النسخة السابقة (س) ؛ فهي تتفق مع (م) من (النّاهل) إلى (أخلفتُ) وتختلف في الباقي ، وتستمرّ في اتّفاقها مع (ك) إلى مادة (أشكيتُ) وتختلف في الباقي ؛ وتستمرّ في اتفاقها مع (س) الى المادة الأخيرة ، بما في ذلك المادتان المكرَّرتان .

ونستطيع أن ننقل كلّ ذلك إلى لغة الأرقام على الوجه الآتي :

١ – النسخة (م) : ١ – ٤١ .

٢ – النسخة (ك) : ١ – ١٧ [متفقة مع م] ثم يأتي : ٢٨ ، ١٨ ، ٢٩ ، ١٩ – ٢٧ [متفقة مع م] ثم : ٣١ ، ٣٠ ، ٣٢ – ٣٩ [متفقة مع م] ثم : ٢٣ ، ٢٤ [مكرَّرتان] ، ٤٠ ، ٤١ .

٣ – النسخة (س) : ١ –١٧ [متفقة مع م وك] ثم يأتي : ٢٨ ، ١٨ ، ٢٩ [متفقة مع ك] ، ١٩ – ٢٧ [متفقة مع م وك] ثمّ : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٥ – ٣٩ [متفقة مع م وك] ، ٢٣ ، ٢٤ [مكرَّرتان] ، ٤٠ ، ٤١ .

٤ – النسخة (ح) : ١ – ١٧ [متفقة مع م وك وس] ثمّ يأتي : ٢٨ ، ١٨ ، ٢٩ ، ١٩ – ٢٧ [متفقة مع م وك وس] ؛ ثم : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣١ ، ٣٥ – ٣٩ [متفقـة مع م وك وس] ، ٢٣ ، ٢٤ [مكرَّرتان] ، ٤٠ ، ٤١ . أي هي متفقة مع (س) في الترتيب كله .

ووجدتُ « المخصَّص » لابن سيده – الذي أفدت منه في المقابلة وأشرت اليه في الحواشي – متفقاً مع (س) و(ح) في الترتيب ، إلاّ أنه لم يكرّر المادتين : ٢٣ ، ٢٤ . وتخفّفَ من الشروح وأسقط الشَّواهد والأعلام والتعليقات .

ولا يفوتني هنا أن أقول : إنّ اتفاق النُسخ الأربع على تسلسل الموادّ من ١–١٧ هو الاتفاق الحقيقي فيما بينها ، لأنه اتفاقٌ في الأرقام والتتابع ؛

وما سوى ذلك مما عبّرنا عنه بالاتفاق فلا يعني الاتفاق في الرقم من حيث موضعه في الترتيب الأصلي من ١ – ٤١ ؛ وانما يعني الاتّفاق في تتابع المواد فقط ، لأنّ اتفاق النسخة ك مع النسخة م في الموادّ من ١٩ – ٢٧ مثلاً لا يعني أنّ المادّة في ك هي التاسعة عشرة في تسلسل مواد ها بل هي الحادية والعشرون ، كما يوضّحه ذكر مواد الأضداد في النُسخ قبل قليل .



منهجه

قسّم أبو عبيد معجمه « الغريب المصنّف » إلى أقسام كبيرة ، سمّى كل واحدٍ منها « كتاباً » . وقسّم الكتاب الى ما يتفرّع اليه من موضوعات ، أطلق على كل واحد منها « باباً » . والأضداد بابٌ من أبواب المعجم . وهو يضمُّ نوعاً من الألفاظ تنصرف الى معنيين متضادّين . ولم يورد أبو عبيد موادّ الباب مرتبةً على حروف المعجم . وانما جاء بها كيفما اتفق على غير تنظيم . فالناهل . ثم السدفة . ثم طلعتُ . وهكذا ، مشبهاً في ذلك أغلب من ألّف في الأضداد .

إلاّ أنّ أبا عبيد عُني بعزو المادّة الى مصدرها . والمصدر هنا هو الرّاوي الذي أخذ عنه اللفظ . ولم يغفل عن هذا العزو أبداً ، فيبدأ بذكر أبي زيد . أو الأصمعي . أو اليزيدي . أو أبي عبيدة أو الكسائي . أو أيّ علم آخر أخذ منه شفاهاً أو نقلاً عن كتابه ، كما في : (شعبتُ) و (أفدتُ) و (أخلفت) . وضرب بذلك مثلاً واضحاً على الأمانة العلمية . وبزّ الأضداديين الذين لم يُعنَوا بذلك كثيراً .

وحرص على الاستشهاد حرصاً كبيراً . فلا تكاد تخلو معالجته لكل لفظة في هذا الباب من الشاهد . وهو إما آية قرآنية كريمة كما في : (الصارخ) و (الصَّريم) . أو بيت من الشعر كما في : (أخلفتُ) و (الظنّ) أو رجز

كما في : (الناهل) و(أشكيتُ) . غير أنّه لم ينسب جميع هذه الشواهد ، فقد اكتفى بنسبة بعضها الى شعرائها من جاهليين ومخضرمين واسلاميين وترك بعضها الآخر دون نسبة كما في : (الإهماد) و (خفيتُ) . واهتمّ في خلال ذلك بإختلاف الرواية . إذْ كثيراً ما ذكر موطن الاختلاف بين الروايات بعد إنشاد الشعر أو الرّجز كما في : (سواء) و (الماجد) .

وعمد إلى شرح ما يرى أنّه محتاج إلى شرح من ألفاظ الشّواهد ، فيتتبّعها بعد ذكر الشاهد كما في : (الناهل) و (الماجد) ؛ وأورد قصّة الشاهد في مواطن قليلة . إن وجد في ذكر هذه القصّة ما يساعد على فهم المادّة . أو ينفع في تسقّط استعمالها في كلام العرب كما في : (الجون) و (الخشيب).

ويقف أبو عبيد إلى جانب القائلين بوجود الأضداد في العربيّة ، إلاّ أنّه لايرى مانعاً من إنكار التّضاد في لفظة من الألفاظ إنْ وجد ما يعضد هذا الإنكار ويسوّغه ، كقوله بعد أن ذكر مادة (الإقراء) التي تعني : الحيض والإطهار : « وأصله من دنوّ وقت الشيء » . وربمّا صرّح بأنّ المادة ليست من الأضداد كقوله في مادة (الخناذيذ) التي تعني في صفة الخيل : الفحول والخصيان : « ويُقال في تفسير الخناذيذ أنّها الجياد من الخيل . . . فقد خرج الآن من حدّ الأضداد » . وهكذا في موادّ أُخرى . وكأنّ حدّ الأضداد أن يكون الضدّ أصيلاً في ضدّيته ، لا أن يكتسب هذه الضديّة على سبيل التطور الدلالي أو التوسّع في الاستعمال .

والمعروفُ أنّ الأضداديين انقسموا إلى مدافع عن وجود الأضداد في اللّغة لايرى مانعاً من إنكار الضديّة لوثبت بالدّليل أنّ الضدّ ليس في الأصل هكذا كأبي بكر بن الأنباري المتوفىّ سنة (٣٢٨ هـ) . وإلى منكرٍ وجود هذه الأضداد في اللغة أصلاً كابن درستويه المتوفىّ سنة (٣٤٧ هـ) ؛ وقد

فصّلنا القول في هذا وبسطنا أمثلته في كتابنا « الأضداد في اللغة » فلا نرى مسوّغاً للتكرار والإعادة (٢١) .

ولم يأتِ أبو عبيد بجديدٍ في مادة هذا الباب ؛ فقد سبقه قطرب (ت٢٠٦هـ) وأبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) والأصمعي (ت ٢١٣ هـ) إلى هذه الألفاظ في كتبهم المؤلفة في الأضداد ، وأخذها عنه وعنهم من جاء بعده من الأضداديين.



عملي في التحقيق

بعد أن انتهيت إلى اختيار « م » أصلاً في تحقيق النصّ ، لما بيّنتُه من دواعي هذا الاختيار قمتُ بمقابلة النسخ الثلاث الأُخرى « ك » و « س » و « ح » على الأصل ، مثبتاً ما في هذه النسخ من الزيادات في مكانه من النصّ ، واضعاً إياها بين معقوفتين مشيراً إلى ذلك في الهامش . كما ذكرت في الهامش أيضاً اختلافات النُسخ كلّاً في موضعه . مصحّحاً ما وقع في الأصل بسبب النسخ من أخطاء في الرسم تدخل فيما يُسمّى بالتصحيف والتحريف . غير غافلٍ عن ذكر « المخصّص » في أكثر مواطن الاتفاق والاختلاف .

واتماماً للفائدة المرجوة من هذا العمل قمتُ بترجمةٍ موجزة لأعلام اللغويين والرواة الذين ورد ذكرهم في المتن ممّن نقل عنهم المصنّف موادّ الأضداد ناصاً على أهم مصادر ترجمتهم ، مخرّجاً أقوالهم أو شروحهم للمادة أو تعليقاتهم على الشواهد في كتبهم في الأضداد لمن كان له كتاب في الأضداد أو في المصادر اللّغوية لمن لم يصل الينا كتابه أو من لم يؤلف في الأضداد كتاباً .

(٢١) الأضداد في اللغة : ٩٩ ، ٢:٥ ، ٣٣١ .

كما عملتُ على تخريج الشواهد القرآنية في القرآن الكريم بذكر رقم الآية واسم السورة ؛ والشواهد الشعرية أو الرجز في دواوين الشعراء لمن كان له ديوان مطبوع أوّلاً وفي المصادر الأُخرى . والاكتفاء بالمصادر الشعرية واللغوية المختلفة والمعجمات لمن لم يطبع له ديوان أو لم يجمع له شعر ، ناسباً الأبيات غير المنسوبة إلى أصحابها مشيراً إلى اختلاف الرواة في روايتها ، بل مضيفاً إلى ذلك ما أَجده في مظانّ التخريج من تعليقات أرى ضرورة إثباتها أو شروح تكشف غامضاً ، أو ذكر مناسبةٍ تصحّحُ خبراً . مُورداً في الهامش تمام البيت إنْ كانَ في المتن ناقصاً ، فقد استشهد المصنّفُ في مواضع قليلة من هذا الباب بأنصاف الأبيات شعراً ورجزاً .

ورأيت أن أشرح الألفاظ الغريبة الواردة في الشواهد ، لأنّ ذلك من شأنه أن يكشف معاني الأبيات ، وأثبتُ الشرحَ في آخر الهامش المخصّص للتخريج . كما أني أودعتُ في عددٍ من الهوامش ماعنَّ لي من ملاحظاتٍ ومناقشاتٍ واجتهاداتٍ فيما أراه مستوجباً ذلك مني في موضعه .

فإن أكن قدّمتُ في هذا الجهد خدمةً للعربية الكريمة وتراثها الغنيّ الزّاخر ، فذلك ما أتمنّاه وأرجوه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

باب الأضداد

ابو عبيد ...

صورة الصفحة الأولى من باب الأضداد في
النسخة الإيطالية

صورة الصفحة الأولى من باب الأضداد فى النسخة التركية

باب الصدقة قال الشنق والوقص في الصدقة
ما بين الفريضتين قال باشناق الديات الى الكمول ٥
باب الاضداد سمعت ابا زيد يقول
الناهل في كلام العرب العطشان والناهل الذي قد شرب
حتى روي قال الراجز ينهل منها الاسل الناهل اي يروى
منه العطشان والاسل الشارب منه قال والناهل هنا الشارب
وان شئت كان العطشان والانثى ناهلة وقال ابو زيد
السدفة في لغة بني تميم الظلمة والسدفة في لغة قيس الضوء
وكذلك قال ابو محمد اليزيدي وانشد لعجاج واقطع الليل
اذا ما اسدفا اي اظلم وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء
والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار ٥ وقال ابو زيد
طلعت على القوم اطلع طلوعا اذا غبت عنهم حتى لا يروك
وطلعت عليهم اذا اقبلت اليهم حتى يروك ٥ وقال لمقت الشيء
المقه لمقا اذا كتبته في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون لمقته
٥ قال ويقال اطلعت الرجل اذا اضطجع ساقطا واطلعت
الابل اذا امضت جادة ٥ بعت الشيء اذا بعته من غيرك
وبعته اشتريته وشريت بعت واشتريت قال الحطيه
وباع بنيه بعضهم بخشارة وبعت لذبيان العلاء بما لكا
والاصمعي في البيع مثل ذلك ٥ قال الاصمعي وكان جرير الخطفي

صورة الورقة الأولى من باب الأضداد في
النسخة التونسية

بحرز:

ينشد لطرفة بن العبد ويأتيك بالانباء من لم تبع له بتاتا
ولم تضرب له وقت موعد يريد من لم تشتر له وقال الاصمعي
شعبت الشيء اصلحته وشعبته شققته قال والشعوب منه
وهي المنية لانها تفرق وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي
واذا رايت المرء يشعب امره شعب العصا ويلج في العصيان
فاعمد لما تعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان
قوله يشعب امره يعني يفرقه ويشتته وقوله لما تعلو اي تقول
تكلف من الامور ما تقهره وتطيقه ٥ وقال الاصمعي
ايضا الجون الاسود والجون الابيض قال واتى الحجاج بدرع
وكانت صافية بيضاء فجعل لا يرى صفاها فقال له فلان
وكان فصيحا ان الشمس لجونة يعني شديدة البريق والصفاء
فقد غلب صفاؤها بياض الدرع وانشد يبادر الجونة
ان تغيبا وعن ابي عبيدة مثله او نحوه وانشد طول
الليالي واختلاف الجون يريد النهار وقال الفرزدق يصف
قصرا ابيض وجون تعاليه الجص فيه مريضة تطلع منه النفس والموت
حاضره والجون ههنا الابيض ٥ وقال ابو عبيدة التلاع
مجاري الماء من اعلى الوادي والتلاع ما انهبط من الارض
٥ الكسائي افدت المال اعطيته غيري وافدته استفدته
ابو زيد مثله وانشد للقتال مهلك مال ومفيد مال

٥١٨ * على حرج كالقر تخفق أكفانه *
والقر مركب الرجال بين الرحل والسرج نحو الارّان مثل المرج وهو
قول الأعشى
* كاران الميت عولين فوق عوج رسال *

باب المفاخرة والحسب

الفر اجاحمت الرجل وفايشته اذا فاخرته نحو ناحبته ونافرته
ايضا ابو عمرو الصلب الحسب قال عدي
.: اجل ان الله قد فضلكم .: فوق ما احكى بصلب وازار .:
قال الازار العفاف والصلب الحسب ويروى فوق ما احكى صلبا
بإزار [illegible] ومن قال فوق ما أحكي [illegible] الحسب
والازار العفة

باب الصدقة

قال الشنق والوقص فيها الصدقة ما بين الفريضتين قال [illegible] الشناق
الدايات الى [illegible]

باب الأضداد

سمعت ابا زيد يقول الناهل في كلام العرب العطشان والناهل
الذي قد شرب حتى روي قال الراجز
ينهل

ينهل منها الأسل الناهل اي يروى منها العطشان والاسل ٥١٩
الشارب [illegible] وقال والناهل هاهنا الشارب وان شئت كان العطشان
والأخرى [illegible] وقال ابو زيد السدفة في لغة بني تميم الظلمة والسدفة
في لغة قيس الضوء قال ابو محمد اليزيدي وانشد للعجاج
* واقطع الليل اذا ما اسدفا *
اي اظلم وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة مثل
ما بين طلوع الفجر الى الاسفار وقال ابو زيد طلعت على القوم
اطلع طلوعا اذا اتيتهم حتى لا يروك وطلعت عليهم اذا
اقبلت اليهم حتى يروك وقال لمقت الشيء الفه لمقا اذا كتبته
في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون لمقته اذا محوته قال
ويقال اجلبت الرجل اذا اصلحته ساقطا وجلبت الابل
اذا [illegible] جائزة بعت الشيء اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته
وشريت بعت واشتريت قال الحطيئة
.: وباع بنيه بعضهم بخسارة .: وبعت لذبيان العلاء بمالكا .:
والاصمعي في البيع مثل ذلك وقال وكان جرير بن الخطفى يفخر
لطرفة العبد
.: وباينك بالانباء من لم تبع له .: بتاتا ولم تضرب له وقت موعد .:

صورة الورقة الأولى من باب الأضداد في النسخة العراقية

[القسم الثاني : النص]

[١٠٨/أ] **باب الأضداد**

[قال](٢٢) أبو عبيد : سمعتُ أبا زيدٍ [واسمه] (٢٣) سعيد (٢٤) بن أوسٍ الأنصاريّ (٢٥) يقول : النّاهل في كلام العرب : العطشان ، والناهل: الذي قد شرب حتّى رويَ (٢٦) . قال الراجز :

* ينهلُ منه (٢٧) الأَسَلُ النّاهل (٢٨) *

أي يروى [منها العطشان] (٢٩) . والأُنثى ناهلةٌ (٣٠) . والأَسَلُ : الرّماحُ. والأسلُ الناهلُ هاهنا : الشّاربُ ، وإن شئتَ [كانَ] (٣١) : العطشان . [وقال أبو زيد] (٣٢) : السُّدفةُ في لغة بني تميم : الظُّلمةُ ، والسُّدفةُ

(٢٢) من : ك .
(٢٣) من : ك .
(٢٤) في م : « سعد » والتصويب من : ك وح .
(٢٥) اللغوي البصري المعروف ، صاحب « النوادر في اللغة » توفي سنة ٢١٥ هـ ، ترجمته في : الفهرست ٥٤ والنزهة ١٧٣ والبغية ٢٥٤ .
(٢٦) قوله في « النوادر في اللغة » : ٢٥٨ وانظر : ٥٠١ وأضداد الأصمعي : ٣٧ وأبي الطيب ٢ / ٦٣٧ .
(٢٧) في س و ح : « منها » وهي كذلك في أضداد الأصمعي ٣٧ وابن الانباري ١١٦ وابي الطيب ٢ / ٦٤٣ .
(٢٨) عجز بيت للنابغة في ديوانه : ٩١ وصدره : « والطاعن الطعنة يوم الوغى » وليس من الرجز كما قال المصنف وانما هو أحد خمسة أبيات من السريع ، وهو معزو في أضداد الأصمعي : ٣٧ وابن السكيت : ١٩١ ولسان العرب : ١٤ / ٢٠٥ وشعراء النصرانية : ٧٢٨ ودون عزو في أضداد ابن الانباري ١١٦ وأبي الطيب ٢ / ٦٤٣ .
(٢٩) من : ح . وفي ك : « العطشان » وحدها وفي س : « منه العطشان » .
(٣٠) مكان العبارة في ك قبل الشاهد وفي س تأتي في آخر التفسير .
(٣١) من : س و ح . وفيها وفي ك تقديم وتأخير في تفسير الشاهد .
(٣٢) من : ك وس و ح .

في لغة قيسٍ : الضَّوءُ (٣٣) . وكذلك [قال] (٣٤) أبو محمدٍ اليزيدي (٣٥) وأنشد للعجّاج (٤١) :

* وأقطعُ اللَّيلَ إذا ما أَسْدَفا (٣٦) *

[أي أظلَمَ] (٣٧) [فكذا زعموا] (٣٨) . أبو عبيد : وبعضُهم يجعلُ السُّدفةَ : اختلاطَ الضوءِ والظلمةِ معاً كوقتِ (٣٩) ما بين طلوعِ الفجرِ إلى الإسفارِ (٤٠) .

[وقال](٤٢) أبو زيد : يُقال : طلعتُ على القومِ أطلعُ طلوعاً : إذا غبتَ عنهم حتىّ لايَرَوْكَ ، وطلعتُ عليهم : إذا أقبلتَ إليهم حتىّ يَروكَ (٤٣) .

يُقال (٤٤) : لمقْتُ الشَّيْءَ أَلْمُقُهُ لَمْقاً : إذا كتبتَه في لغة بني عُقَيل .

---

(٣٣) قوله في « النوادر في اللغة » : ٤٨٣ وانظر اضداد ابي الطيب ١ / ٣٤٦ .

(٣٤) من : ك وس و ح .

(٣٥) هو يحيى بن المبارك العدوي . لقب باليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور ، لغوي بصري ، توفي سنة ٢٠٢ هـ انظر ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ٣٢ ومراتب النحويين ٩٨ وطبقات النحويين ٦٠ .

(٣٦) الشطر من أرجوزة له في ديوانه (مجموع أشعار العرب) : ١٢٠ - ١٢٤ وأضداد الاصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٩ ، ودون عزو في النوادر ٤٨٣ برواية (وأطعن) ، وكذلك في اضداد ابن الانباري ١١٥ ولسان العرب ١١/٤٦ بالروايتين . وقبله في الارجوزة : « أدفعها بالراح كي تزحلفا » وبعده : « وقنع الأرض قناعاً مغدفا» .

(٣٧) من : ك و س وح .

(٣٨) من : ك .

(٣٩) في س وح : « مثل » .

(٤٠) قوله في المخصص ٢٦١/٤ وفيه : « ما بين صلاة الفجر الى الاسفار » وهو الوجه ، لأن طلوع الفجر هو الإسفار .

(٤١) في س : « وأنشد العجاج » .

(٤٢) من : ك و س وح .

(٤٣) قوله في : أضداد الاصمعي ٣٩ وابن السكيت ١٩٣ وابي الطيب ٤٥٩/١ .

(٤٤) في ك و س و ح : « وقال » .

[قال] (٤٥) : وسائر قيسٍ يقولون : لمقتُه : [إذا] (٤٦) محوْتَـه (٤٧) .

قال : ويُقال (٤٨) : اجْلَعَبَّ الرجلُ : إذا اضطجعَ ساقطاً ، واجاعبَّت الإبلُ : إذا مضتْ جادةً (٤٩) .

وقال : بعتُ الشَّيءَ : إذا بعتَه من غيرِكَ (٥٠) وبعتُه : إذا اشتريتَه . وشَرَيْتُ : بعتْ واشتريتُ (٥١) .

قال الحطيئة :

وباعَ بنيـهِ بعضُهم بخُشـارةٍ
وبعتَ لذُبيانَ العلاءَ بمالكا (٥٢)

أي: اشتريت . وقال الأصمعيُّ(٥٣) في البيع مثل ذلك . قال [الأصمعيُّ]: (٥٤) وكان جريرُ بن الخَطَفى ينشد لطَرَفة [بن العبد] (٥٥) :

---

(٤٥) من : ك .
(٤٦) من : ح وليس في س تتمة الكلام .
(٤٧) قوله في : أضداد أبي حاتم ١٠١ وأبي الطيب ٢/٦١٤ .
(٤٨) في ك : « وقال » .
(٤٩) المادة غير معزوة الى أبي زيد في كتب الأضداد .
(٥٠) في ك : « من غيري » .
(٥١) قوله في النوادر : ٢١١ – ٢١٢ وانظر فيه أيضاً : ٢٣٢ وأضداد الأصمعي ٢٩ وابن السكيت ١٨٤ وأبي الطيب ١/٤١ .
(٥٢) البيت له في ديوانه ٣٠ وأضداد الاصمعي ٢٩ والتوزي ٣١ وابن السكيت ١٨٤ وابن الانباري ٧٥ وأبي الطيب ١/٤٢ وروي في بعضها وفي لسان العرب (خشر) : « بمالك » على أنه علم لرجل اسمه (مالك) ولم يرد به المال . وخشارة كل شيء : رديئه .
(٥٣) عبد الملك بن قريب الباهلي ، اللغوي البصري ، راوية الشعر ، ولد سنة ١٢٣ هـ وتوفي سنة ٢١٣ هـ . انظر ترجمته في : طبقات النحويين ١٨٣ ومراتب النحويين ٤٦ والتهذيب ١/١٤ ووفيات الأعيان ٢/٣٤٤ .
(٥٤) من : ك وس .
(٥٥) من : ك وس وح .

ويأتيكَ بالأخبار (٥٦) من لم تبِعْ له
بتاتاً ولم تضربْ له وقتَ موعدِ (٥٧)

يريدُ : [من لم] (٥٨) تشترِ له (٥٩) .

[١٠٨ / ب] [وقال](٦٠) الأصمعيُّ : شَعَبْتُ الشيءَ : أصلحتهُ ، وشعبتُه : شققتُه (٦١) . قال : وشَعوبُ (٦٢) منه وهي المنيَّةُ لأنّها تُفَرِّق (٦٣) . وأنشدنا لعليِّ بن الغدير (٦٤) الغنويِّ :

وإذا رأيتَ المرءَ يَشْعَبُ أمرَهُ
شَعْبَ العصا ويلجُّ في العصيانِ
فاعمدْ (٦٥) لما تعلو (٦٦) فمالكَ بالذي
لاتستطيع (٦٧) من الأمورِ يَدانِ (٦٨)

---

(٥٦) في ك وس وح : « بالأنباء » ، وكذلك في المخصص ٢٦١/٤ .
(٥٧) البيت له من معلقته في ديوانه ٣٦ وشرح الزوزني ٧١ واضداد الاصمعي ٢٩ والتوزي ٣٠ وابن السكيت ١٨٤ وأبي حاتم ١٠٧ وابن الانباري ٧٣ ولسان العرب (بتت) و(بيع)، وروي في بعضها : « بالأنباء » .
(٥٨) من : ك وس وح .
(٥٩) قول الأصمعي وإنشاده للشاهد في اضداده : ٢٩ وانظر فيه أيضاً : ٥٩ .
(٦٠) من : ك وس وح .
(٦١) في ك : « أفسدته » .
(٦٢) في ك وس وح : « والشعوب » .
(٦٣) قال علي بن حمزة وهو يتسقط أبا عبيد : « وقال : الشعوب المنية . وانما هي معرفة شعوب بلا ألف ولام » التنبيهات ٢٦٢ وانظر : هامش المحقق رقم (٢) . وأقول : في م — كما هو بين في المتن — بلا ألف ولام ، وفي ك وح — كما في هامش النص — بالألف واللام . وبلا ألف ولام في المخصص ٢٦١/٤ .
(٦٤) في ك وس وح : « غدير » وفي س : «العنوي» بالعين المهملة . وعلي بن الغدير الغنوي من الشعراء الامويين ، انظر ترجمته في : المؤتلف ١٦٤ ومعجم الشعراء ٢٨٠ .
(٦٥) في ح : « فاعمل » .
(٦٦) في م وس : « تعلوا » محرفة وكذلك هي في تفسير البيت .
(٦٧) في ح : « لا يستطيع » .
(٦٨) البيتان له في : أضداد الاصمعي ٧ والتوزي ٥٩ وابن السكيت ١٦٦ وأبي حاتم ١٠٨ وابن الانباري ٥٣ وأبي الطيب ٤٠١/١ ولكعب بن سعد الغنوي في : أمالي القالي ٣١٤/٢ ولسان العرب (علا) .

قوله يشعَبُ أمرَهُ : أي يفرقُ أَمرَه ويُشَتِّتُه . وقوله لما تعلو يقول : لما تكلّف من الأُمور ما تقهرُه وتطيقُـه (٦٩) .

[وقال الأصمعيُّ] (٧٠) [أيضاً](٧١) : الجوْنُ : الأسودُ ، والجَوْنُ : الأبيض . قال : وأُتِيَ الحجّاج بدرع وكانتْ صافيةً بيضاءَ فجعلَ لايرى صفاءَها ، فقال له فلانٌ وكان فصيحاً : إنَّ الشمسَ جَونةٌ (٧٢) ، يعني شديدةَ البريق (٧٣) والصَّفاء ، فقد غلبَ صفاؤُها بياضَ الدِرعِ (٧٤) .
وأنشدَ :

* يبـــادرُ الجَـــوْنَـةَ أن تغيبـــا (٧٥) *

وعن أبي عبيدة (٧٦) مثله أو نحوه (٧٧) . وأنشَـدَ :

---

(٦٩) قول الأصمعي وانشاده للبيتين في أضداده : ٧ وقد رواهما عن أبي عبيدة . أقول : إن « لما » في شرح البيت زائدة لأنه أراد الأمر وهي غير موجودة في س .

(٧٠) من : ك وس وح .

(٧١) من : س و ح .

(٧٢) في س وح : « لجونة » ومثلها في المخصص ٢٦١/٤ .

(٧٣) في م : « البرق » والتصويب من ك و س و ح والمخصص ٢٦١/٤ .

(٧٤) في ك : « فقد قهرت لون الدرع » . وقصة الحجاج مروية عن الأصمعي في أضداد التوزي ٣٣ وما اتفق لفظه واختلف معناه : ٥ وبروايتين مختلفتين في أبي الطيب ١٥٥/١ .

(٧٥) في ح : « يعيبا» . والرجز للخطيم الضبابي في اللسان ٢٥٦/٦ ودون عزو في أضداد الأصمعي ٣٦ وابن السكيت ١٩٠ والتوزي ٣٣ وابن الأنباري ١١٣ وأبي الطيب ١٥٦/١ والمنشي ٣٧٢ وسمط اللآلي ٤١/١ وهو ملفق من مشطورين هما :
يبادر الآثار أن تـؤوبا   وحاجب الجـونة أن يغيبـا

(٧٦) في ح : « عبيد » . وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي البصري ، من أعلام اللغويين ، ولد سنة ١١٠ هـ وتوفي سنة ٢١٠ هـ انظر ترجمته في : الفهرست ٧٩ والنزهة ٦٨ والبغية ٣٩٥ وشذرات الذهب ٢٤/٢ .

(٧٧) قول الأصمعي مروي عنه وعن أبي عبيدة في أضداد الأصمعي ٣٦ – ٣٧ وفيه شواهد المادة جميعاً .

« طول الليّالي واختلاف الجَوْنِ (٧٨) »

يريد : النهّار . وقال الفرزدق يصف قصراً أبيضَ :

وجَوْنٍ عليه الجصّ فيه مريضةٌ
تطلّعُ منها النَّفس والموتُ حاضِرُهْ (٧٩)

[والجون هاهنا الأبيض] (٨٠) .

وقال أبو عبيدة (٨١) : التِّلاعُ : مجاري الماء من أعالي (٨٢) الوادي ؛ والتِلاعُ : ما انهبطَ من الأرض (٨٣) .

وقال الكسائيُ (٨٤) : أفَدْتُ المال : أعطيتهْ غيري؛وأفَدْتُه : استَفَدتُه .

[وقال] (٨٥) أبو زيدٍ مثله وأنشَدَ للقتال (٨٥أ) :

---

(٧٨) الرجز غير معزو في أضداد الأصمعي ٣٦ والتوزي ٣٣ وابن السكيت ١٩٠ وأبي حاتم ٩٢ وابن الأنباري ١١٣ وأبي الطيب ١/١٥٥ واللسان (أون) و (جون) ، ويروى في بعضها : « مر الليالي » و « كر الليالي » ، وقبله : « غير يا بنت الحليس لوني » .

(٧٩) في س و ح : « منه » وفي ح : « حاضر » . والبيت له في ديوانه ٢٥٨ وأضداد الأصمعي ٣٧ وابن السكيت ١٩٠ وأبي حاتم ٩٢ وابن الانباري ١١٢ واللسان (جون) ، ويروى في بعضها والديوان والمخصص ٤/٢٦١ : « منه النفس » .

(٨٠) من : س و ح والمخصص ٤/٢٦١ .

(٨١) في م : « عبيد » والتصويب من ك وس وح .

(٨٢) في ح : « أعلا » وفي س : « أعلى » .

(٨٣) قول أبي عبيدة في : أضداد التوزي ٣٧ والمنشي ٣٦٧ وانظر : أضداد أبي الطيب ١/١٠٤ ، ١٠٧ .

(٨٤) هو علي بن حمزة الكسائي ، رأس المدرسة الكوفية في النحو ، من القراء السبعة ، توفي سنة ١٨٩ هـ ، انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١١/٤١٢ ومعجم الادباء ١٣/١٦٨ وغاية النهاية ١/٥٣٨ والنشر ١/١٧٣ .

(٨٥) من : ك .

(٨٥أ) في س : « وأنشد المقتال » .

بكـرتـه تـعثرُ في النـقـــــال

مُهلكُ مـــالٍ ومُـفيدُ مـالِ (٨٦)

أي مستفيد (٨٧) [قال : ويُقالُ فادَ المالُ نفسُه يَفيدُ إذا ثبتَ له مالٌ ، والاسمُ الفائدةُ . وقال](٨٨) الكسائيُّ : أَودَعتُهُ مالاً : إذا دَفَعْتَهُ اليه [يكونُ] (٨٩) وديعةً عنده ، وأودعتُه [وديعةً] (٩٠) : قبلتُ وديعتَه(٩١)

[وقال] (٩٢) الأُمويُّ (٩٣) : ليلةٌ غاضيةٌ : شديدةُ الظُّلمة ، ونارٌ غاضيةٌ : عظيمة (٩٤) .

[وقال](٩٥) الأصمعيّ : المُشيحُ : الجادّ ، والمشيحُ : الحذِرُ (٩٦) .

---

(٨٦) في س وح الشطر الثاني وحده . والرجز له (وهو القتال الكلابي من الشعراء الأمويين) في ديوانه ٨٣ واضداد التوزي ٥٢ وأبي الطيب ٢/٥٣٧ والأغاني ٢٠/٢٦٤ والكامل ١٢٠٦ والصحاح (فيد) واللسان ٤/٣٣٨ – ٣٣٩ وفي الأخير : « أنشد أبو زيد للقتال .. » والشطر الثاني وحده في أضداد أبي حاتم ١٠٩ وابن الانباري ٤١٠ واللسان (نقل) ويروى في بعض هذه المظان :

ناقتـــه ترمـــل في النقال متلف مـــال ومفيد مال

وترمل : تسرع (من الرمل) . والنقال : وضع الدابة رجليها مواضع يديها

(٨٧) في ح : « مستفيده » .

(٨٨) من : ك وس وح باختلاف جزئي وفي المخصص ٤/٢٦٢.

(٨٩) من : ك وس وح .

(٩٠) من : س وح .

(٩١) قول الكسائي في أضداد المنشي ٤٥ .

(٩٢) من : ك .

(٩٣) هو أبو محمد عبدالله بن سعيد بن أبان الأموي ، الذي لقي العلماء وأخذ عن الفصحاء ، وحفظ الأخبار والشعر ، وألف كتاب «النوادر» . انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي ١٣٤ والفهرست ٥٤ والانباه ٢/١٢٠ والبغية ٢٨٢ .

(٩٤) قول الأموي في : أضداد الأصمعي ٤٥ وابن السكيت ١٩٩ وأبي الطيب ٢/٥٢٤ وفي الأخير : « وناقة غاضية أي تأكل الغضا » .

(٩٥) من : ك .

(٩٦) قول الأصمعي في أضداده : ٣٩ وبعضه في أضداد التوزي ٥٧ . وفي المخصص ٤/٢٦٢ : « وقد شايحت » زيادة في الأخير .

والجَلَلُ : الشيءُ العظيمُ . والجللُ : الصغير (٩٧) .

والصّارخُ : المستغيثُ ، والصارخُ : المغيثُ (٩٨) . أبو عُبيد : ويُقال : إنّه المصرخ . وهو أجود . لقول الله عزّ وجلّ (٩٩) : (ما أنا بمُصرخكم وما أنتم بمُصرخيّ) (١٠٠) .

[وقال](١٠١) أبو عبيدة : أَخْلَفْتُ : الرّجلَ في موعدِه . وأخلفتُه : وجدتُ موعدَه خُلفاً (١٠٢) . قال : ومنه قول الأعشى :

أَثْوى وقصَّرَ ليلةً ليُزَوَّدا
فمضَتْ (١٠٣) وأخلفَ من قُتَيلةَ موعدا (١٠٤)

[ويُروى : فمضَتْ] (١٠٥) .

[١٠٩ / أ] [وقال] (١٠٦) أبو عمرو (١٠٧) الماثلُ : القائمُ . والماثلُ :

(٩٧) في ك وس وح : « والجلل الشيء الصغير والجلل العظيم » بالتقديم والتأخير . وهو في أضداد الأصمعي ٩ وابن السكيت ١٦٨ وابن الانباري ٩١ وأبي الطيب ١٤٦/١ .
(٩٨) أضداد الأصمعي ٥٣ – ٥٤ وبعضه في أضداد أبي الطيب ٤٣٢/١ .
(٩٩) في ك : « لقول الله تعالى » .
(١٠٠) آية ٢٢ من سورة ابراهيم .
(١٠١) من : ك .
(١٠٢) في ك الجملة الأخيرة مكررة . وفي س و ح : « وافقت منه خلفاً » وكذلك العبارة في المخصص ٢٦٢/٤ . وقول أبي عبيدة في : أضداد الأصمعي ٥٧ وابن السكيت ٢٠٨ .
(١٠٣) في ك : « فمضى » .
(١٠٤) البيت له في ديوانه ١٥١ وأضداد الأصمعي ٥٧ والتوزي ٦٠ وابن السكيت ٢٠٨ وأبي حاتم ١٢٧ وابن الأنباري ٢٣٤ وأبي الطيب ٢٤٨/١ ويروى في بعضها : « فمضى وأخلف .. » . وأثوى : بمعنى أقام .
(١٠٥) من : ك لأن روايتها « فمضى » . وفيها وفي س وح بعد هذا مادة (خلوف) التي تأتي لاحقاً في م .
(١٠٦) من : ك .
(١٠٧) هو أبو عمرو الشيباني ، صاحب ديوان العرب ومؤلف « الجيم » و « الحروف » توفي سنة ٢٠٦ هـ . انظر ترجمته في : مراتب النحويين ١٤٥ ونور القبس ٢٧٧ وانباه الرواة ٢٢٤/١ .

اللاطئُ بالأرض (١٠٨) .

وقال أبو عبيدةَ : الصَّريمُ : الصُّبحُ ، والصَّريمُ : اللَّيلُ (١٠٩) . ومن (١١٠) الصَّباح قول بشر بن أبي خازم :

فبـاتَ يقـولُ أَصْبِـحْ ليلُ حتّى
تجلّى عن صريمتِـه الظّـلامُ (١١١)

ومن اللّيلِ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ (١١٢) : (فأصبحتْ كالصَّريم) (١١٣) أي احترقتْ فصارتْ سَوداءَ (١١٤) مثل اللّيلِ .

ويُقال (١١٥) : أعطيتهُ عطاءً بَثْراً : يعني كثيراً ، والبثْرُ : القليلُ أيضاً (١١٦) .

وقال (١١٧) : الظنُّ : يقينٌ ، وشكٌ (١١٨) . فمن (١١٩) اليقينِ قولُ ابن مقبل :

---

(١٠٨) قول أبي عمرو في : أضداد الأصمعي ٣١ وابن السكيت ١٨٦ وأبي الطيب ٦٢٦/٢ . وفي ك وس وح بعد هذا مادة (الهاجد) التي تأتي لا حقاً في م .

(١٠٩) قول أبي عبيدة في : أضداد الأصمعي ٤١ والتوزي ٥٣ وابن السكيت ١٩٥ وابن الانباري ٨٥ وأبي الطيب ٤٢٦/١ .

(١١٠) في س وح : « فمن » .

(١١١) البيت له في ديوانه ٢٠١ والمفضليات ١٣٣/٢ وأضداد الأصمعي ٤١ والتوزي ٥٣ وابن السكيت ١٩٥ وأبي حاتم ١٠٥ وابن الأنباري ٨٥ والمقاييس ٣٤٥/٣ واللسان ٢٢٩/١٥ (صرم) . وصريمته : رملته .

(١١٢) في ك : « قول الله تعالى » .

(١١٣) آية ٢٠ من سورة القلم .

(١١٤) في ك : « سواداً » .

(١١٥) في ك وس وح : « وعنه » يعني : وعن أبي عبيدة .

(١١٦) عن أبي عبيدة في : أضداد التوزي ٣١ - ٣٢ وأبي حاتم ١٤٠ وابن الانباري ٢٩٠ وأبي الطيب ٦٤/١ .

(١١٧) في ك وس وح : « وعنه » أي وعن أبي عبيدة .

(١١٨) عن أبي عبيدة في : أضداد التوزي ٢٥ وأبي الطيب ٤٦٨/١ واللسان ١٩٢/٧ وفي الأخير نص تعليق أبي عبيدة على بيت ابن مقبل .

(١١٩) في ك : « ومن » .

ظَنٌّ بهمِ كعسى وهم بتنوفةٍ
يتنازعونَ جوائزَ الأَمثالِ (١٢٠)

[وجوائب أيضاً] (١٢١) . يقول : اليقينُ منهم كعسى . وعسى شكٌّ .

قال (١٢٢) : الرَّهْوَةُ : الارتفاع . والرَّهوَةُ : الانحدار (١٢٣) .

[قال](١٢٤) : وقال أبو العبّاسِ النُّميريّ :

ودَلَّيتُ رِجْليَّ (١٢٥) في رهوةٍ (١٢٦)

فهذا الانحدار (١٢٧) . وقال عمرو بن كلثوم :

نَصَبْنا مثلَ رهوةِ ذاتِ حدّ
محافظةً وكُنّا السّابقينا (١٢٨)

---

(١٢٠) البيت له (وهو تميم بن مقبل العامري) في ديوانه ٢٦١ وأضداد الأصمعي ٣٥ وابن السكيت ١٨٨ وأبي حاتم ٩٠ وابن الانباري ١٨ والجمهرة ٢٣٣/١ ؛ ٣٥/٣ والصحاح (عسى) واللسان (جوز) . ويروى في بعض هذه المظان والمخصص ٢٦٢/٤ : « ظني بهم » وفي بعضها : « ظنوا بهم » . والتنوفة : الأرض المقفرة .

(١٢١) من ك وس وح ، وأضداد الأصمعي ٣٥ والمخصص ٢٦٢/٤ .

(١٢٢) في ك وس وح : « وعنه » أي وعن أبي عبيدة .

(١٢٣) عن أبي عبيدة في : أضداد الأصمعي ١١ والتوزي ٣٧ وابن السكيت ١٦٩ وأبي حاتم ٩: .

(١٢٤) من : ك وس وح .

(١٢٥) في ك وس وح والمخصص ٢٦٣/٤ : « دليت » بلا واو . وفي الأولى : « رحلي » بالحاء المهملة ، وفي س وح والمخصص : « رجلي » بالتثنية .

(١٢٦) صدر بيت له في : أضداد الأصمعي ١١ وابن السكيت ١٦٩ وابن الأنباري ١٤٨ وأبي الطيب ٢٨٧/١ ، وعجزه كما في اللسان ٦١/١٩ (رها) : « فما نالتا عند ذاك القرارا» .

(١٢٧) في ك وس وح والمخصص ٢٦٣/٤ : « فهذا انحدار » .

(١٢٨) البيت له من معلقته (التبريزي) ٢٢٣ و (الزوزني) ١٢٦ وأضداد الأصمعي ١١ وابن السكيت ١٦٩ وأبي حاتم ٩٤ وابن الأنباري ١٦٩ واللسان (رها) ٦١/١٩ ؛ ورواه أبو الطيب في أضداده : ٢٨٥/١ : « نصبنا رهوة من ذات عرق » موافقاً أبا حاتم الذي زعم أنها رواية أبي عبيدة للبيت .

فهذا الارتفاع (١٢٩) .

[وعنه] (١٣٠) : وراء يكون : خلف ، وقُدّام (١٣١) . وكذلك : دُون ، فيهما جميعاً .

[وعنه](١٣٢) : [يُقال] (١٣٣) : فرّعَ الرجلُ في الجبلِ : صَعّدَ . وفرّعَ : انحدر . وقال معن بن أوسٍ :

فساروا فأمّا جُلُّ حيٍّ ففرّعوا
جميعاً وأمّا حيُّ دَعْدٍ فصعّدا (١٣٤)

ويُروى : فأفْرعوا . [ويُقال] (١٣٥) : أفْرعَ : في الحالين (١٣٦) جميعاً .

[وقال](١٣٧)الأحمرُ (١٣٨):أشكيتُ الرجلَ : أتيتُ اليه ما يشكوني

---

(١٢٩) في ك : « وهذا في الا رتفاع » وفي س وح : « فهذا ارتفاع » .
(١٣٠) من : ك وس وح . أي عن أبي عبيدة .
(١٣١) في س وح : « خلفاً وقداماً » . والمادة عن أبي عبيدة في : أضداد التوزي ٤٠ وأبي الطيب ٦٥٧/٢ .
(١٣٢) من : ك وس وح .
(١٣٣) من : س وح .
(١٣٤) في س وح : « فصعدوا » . أقول : ولا يجوز ذلك لأن البيت الذي بعده :
فهيهـات ممـن بالخورنق داره   مقيم وحي سائر قـد تنجدا
والبيت له في أضداد الأصمعي ٣٤ وابن السكيت ١٨٨ وأبي حاتم ٩٥ – ٩٦ وابن الا نباري ٣١٥ وأبي الطيب ٥٣٤/٢ واللسان (فرع) . واختلفت المظان في روايته : الأصمعي « جل حيي » أبو حاتم « حي حيي » و « دعد فصوبوا » ، أبو الطيب « حي حبى » والمخصص ٢٦٣/٤ : « حي جمل » .
(١٣٥) من : ك .
(١٣٦) في ك : « الأمرين » .
(١٣٧) من : ك .
(١٣٨) هو علي بن المبارك ، مؤدب الأمين ، تلمذ للكسائي ، وناظر سيبويه في بغداد ، توفي سنة ١٩٤ هـ ، انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ١٠٤/١٢ وطبقات الزبيدي ٩٥ ومعجم الا دباء ٥/١٣ والانباه : ٣١٣/٢ والبغية ٣٣٤

[فيه] (١٣٩) . وأشكيتُه : إذا رجعتَ له من (١٤٠) شكايته الى ما يُحبّ وأعتبتَه . وأنشدنا في صفةِ الإبل (١٤١) :

تمدُّ بالأعناق أو تلويهـــا(١٤٢)

وتشتكي لو أننَّـا نُشكيهـا (١٤٣)

غيرُهُ (١٤٤) : الخُلوفُ : القـــوم الغَـيَّـبُ (١٤٥) ؛ والخلوفُ : المتخلـّفـون (١٤٦) . ومنه قول الله عزّ وجلّ (١٤٧) : (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) (١٤٨) ؛ قالوا (١٤٩) : يعني النساء (١٥٠) . وقال أبـو زبيد (١٥١) في الغَـيَّـب :

---

(١٣٩) من : س وح .

(١٤٠) في ك : « عن » .

(١٤١) في ك : « وقال الراجز يذكر الإبل » . وفي ك بعد الرجز مادة (تهييت) التي تأتي لاحقاً في م .

(١٤٢) في س وح والمخصص ٢٦٣/٤ : « تثنيها » .

(١٤٣) الرجز دون عزو في : أضداد الأصمعي ٥٧ والتوزي ٥١ وأبي حاتم ١٠٦ وابن السكيت ٢٠٨ وابن الانباري ٢٢١ وأبي الطيب ٣٩١/١ واللسان (جفا) و(شكا) ، وبعد المشطورين في بعض هذه المظان : « غمز حوايا قل ما نجفيها » . ويروى في بعضها : « أو تثنيها » .

(١٤٤) في ك وس وح : « غير واحد » .

(١٤٥) في ك وس وح والمخصص ٢٦٢/٤ : « الحي خلوف : غيب »

(١٤٦) المادة مروية عن أبي عبيدة في أضداد أبي الطيب ٢٤٨/١ – ٢٤٩

(١٤٧) في ك : « قول الله تعالى » .

(١٤٨) آية ٨٧ : سورة التوبة .

(١٤٩) في ك : « قال » .

(١٥٠) في س : « أي النساء » .

(١٥١) في م : « أبو زيد » والتصويب من س .

أصبـح البيتُ بيتُ آل بيـانٍ

مقشعراًّ والحيُّ حيٌّ خُـلوفُ (١٥٢)

أي : لم يبقَ منهم أحد .

[وقال غيرُه] (١٥٣) : الهاجدُ : النّائم ، والماجدُ : المُصلّي المتهجّدُ باللّيل (١٥٤) . [١٠٩ / ب] وقال الحطيئة في النـائم :

فحيّاكَ وَدٌّ مـاهداك (١٥٥) لفتيةٍ

وخوصٍ بأعلى ذي طُـوالـةَ هُجّـدِ (١٥٦)

[وَدَّ يعني صنماً . ويُروى ماهداك] (١٥٧) .

[غيرُه] (١٥٨) : سواء الشّـيء (١٥٩) : غيرُه ، [كقولك : رأيت

---

(١٥٢) البيت لأبي زبيد الطائي في : أضداد الأصمعي ٥٦ وابن السكيت ٢٠٧ وابن الأنباري ٢١٠ والصحاح ١٣٥٦ واللسان ١٠ / ٤٣٥ وفي الأخير : « صواب إنشاده (أصبح البيت بيت آل إياس) لأن أبا زبيد رثى في هذه القصيدة فروة بن إياس بن قبيصة ، وكان منزله بالحيرة » . ونسب الأصمعي إنشاده الى أبي زيد كما في الأصل م ونسب ابن الانباري إنشاده الى ابن السكيت . وفي المخصص ٤ / ٢٦٢ : « آل بنان » .

(١٥٣) من : ك . وفي س وح : « وقال أبو زيد » .

(١٥٤) في ك و س و ح والمخصص ٤ / ٢٦٢ : « الهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : النائم » . بالتقديم والتأخير . والمادة مروية عن الأصمعي في كتب الأضداد .

(١٥٥) في ك و س و ح : « من هداك » .

(١٥٦) البيت له في ديوانه : ١٤٨ وأضداد الأصمعي ٤٠ والتوزي ٤٧ وأبي حاتم ١٢٤ وابن السكيت ١٩٤ وابن الانباري ٥٠ وأبي الطيب ٢ / ٦٧٨ واللسان (هجد) . ورواية ابن السكيت وأبي الطيب « من هداك » كما في ك و ح . ورواية أبي حاتم : « فحياك ربي » و « ذي عوانة » . وود : اسم صنم ، وخوص : صفة الابل الغائرة العينين من عناء السفر ، وذو طوالة : موضع .

(١٥٧) من : ك . لأن روايتها فيها « من هداك » .

(١٥٨) من : س و ح .

(١٥٩) في م : « سوى » والتصويب من ك وس و ح والمخصص ٤ / ٢٦٣ .

سواك] (١٦٠) . وسواؤه :[هو] (١٦١) نفسُه ووسطه . ومنه قول الله عزَّ وجلّ (١٦٢) : (فاطَّلع فرآه في سواء الجحيم) (١٦٣) ؛ أي : في وسطه . وقال الأعشى :

تجانفُ عن جوِّ (١٦٤) اليمامةِ ناقتي
وما عدلتْ من أهلها بسوائكا (١٦٥)

[ويُروى : لسوائكا باللام] (١٦٦) ، يريد بك نفسك (١٦٧) .

ويُقال : تهيَّبتُ الشيءَ ، وتهيَّبني [سواء] (١٦٨) قال النَّمر [بن تَوْلب] (١٦٩) :

وإنْ أنتَ لاقيتَ في نجـــدة
فلا تتهيَّبْكَ أنْ تُقدمـــا (١٧٠)

أي : لاتتهيَّبْها . وقال ابن مُقبل :

---

(١٦٠) من : ك .
(١٦١) من : ك و س و ح .
(١٦٢) في ك : « قول الله جل ثناؤه » .
(١٦٣) آية ٥٥ : سورة الصافات .
(١٦٤) في م : « جل » وهو تحريف ، والتصويب من : ك وس و ح ومظان البيت .
(١٦٥) البيت له في : ديوانه ٦٦ وأضداد التوزي ٥٥ (الشطر الثاني وحده) وابن الانباري ٤١ وأبي الطيب ١ / ٣٥٨ ويروى : « وما قصدت من أهلها » و« تزاور عن جو » ؛ ونسب أبو الطيب رواية البيت إلى أبي عبيدة ؛ ونسب الأصمعي تفسير البيت إلى أبي عبيدة : أضداده : ٤٤ وابن السكيت ١٩٨ .
(١٦٦) من : س و ح .
(١٦٧) في ح : « نفسه » أقول : وهو الوجه، لأن قول المصنف « بك » أي بالكاف ، فالمعنى : يريد بالكاف نفسه .
(١٦٨) من : ك وس وح .
(١٦٩) من : ك وس . وفي م : « النمير » وهو تحريف .
(١٧٠) البيت له في : أضداد التوزي ٦٢ وأبي حاتم ١٢٨ وابن السكيت ٢٠٢ ودون عزو في أضداد ابن الانباري ٩٩ .

وما تهيَّبني الموماةُ أركبُهـا (١٧١)

إذا تجاوبَتِ الأصداءُ بالسَّحرِ (١٧٢)

ويُقال : أطلبْتُ الرَّجلَ : أعطيتُه ما طلبَ،وأطلبتُهُ : ألجأْتُهُ إلى أن يطلبَ . ومنه قول ذي الرّمة (١٧٣) :

أَضلَّهُ راعيا كلبيَّــةٍ صَدَرا

عن مُطلِبٍ قاربٍ وُرّادُهُ عُصَبُ (١٧٤)

يقول : بعُدَ الماء عنهم (١٧٥) ؛ حتى ألجأهم الى طلبِه (١٧٦) .

ويُقال : أسررْتُ الشيءَ : أخفيتُه ، وأعلنتُه . يُقال (١٧٧) والله [تعالى] (١٧٨) أعلم (١٧٩) : (وأسرّوا الندامةَ لما رأوا العذاب) (١٨٠) أي : أظهروها .

والخشيبُ : السيفُ الذي لم يُحكم عملُه ، والخشيبُ : الصقيل . يُقال منه : خشَبْتُه أخشِبُه ؛ قال : وقال لي أعرابيٌّ : قلتُ لصيقلٍ (١٨١) :

---

(١٧١) في س وح : الشطر الاول وحده .

(١٧٢) البيت له في : أضداد الأصمعي ٤٩ وأبي حاتم ١٢٨ وابن السكيت ٢٠٢ والصحاح ١ / ١١١ واللسان ٢ / ٢٨٩ ؛ ونسب للراعي في أضداد ابن الأنباري ٩٩ .

(١٧٣) في ك : « قال ذو الرمة » .

(١٧٤) البيت له في : ديوانه ٣٠ وأضداد الأصمعي ٥٦ والتوزي ٥١ وأبي حاتم ١٢٢ وابن السكيت ٢٠٨ وابن الأنباري ٨٥ وأبي الطيب ١ / ٤٥٧ واللســان ٢ / ٤٨ ؛ ورواه الأصمعي والتوزي : « عن معطلب وطلى الأعناق تضطرب » . وأشار الأول الى الرواية التي في مخطوطتنا . والكلبية : إبل منسوبة الى قبيلة كلب

(١٧٥) في س و ح : « منهم » .

(١٧٦) نص هذا التعليق على الشاهد في : أضداد الأصمعي ٥٦ .

(١٧٧) في ح : « يقول » .

(١٧٨) من : ح .

(١٧٩) في ك : « قال الله تعالى » وفي المخصص ٤ / ٢٦٤ : « والله أعلم » بعــد تفسير الآية .

(١٨٠) آية ٥٤ : سورة يونس .

(١٨١) عبارة « قلت لصيقل » سقطت من : ك .

هل فرغتَ من سيفي ؟ قال : نعم ؛ إلاّ أني لم أخشِبْهُ . والخَشْبُ أن تضع عليه سناناً عريضاً أملس فتَدْلكه به ، فإن كان فيه شعَثٌ أوشقوقٌ أوحَدَبٌ ذهبَ وامَّلَسَ .

وقال الأصمعيُّ : الإهمادُ : السُّرعةُ في السير ، والإهمادُ : الإقامة (١٨٢) . قال الرّاجز [في السُّرعة] : (١٨٣)

ما كانَ إلاّ طَلقَ الإهمادِ (١٨٤)

وقال آخر (١٨٥) في الإقامة :

لمّا رأتْني راضياً بالإهمادْ
كالكُرَّزِ المربوطِ بين الأَوتادْ (١٨٦)

---

(١٨٢) قول الأصمعي في : أضداده : ٢٨ وأضداد ابن السكيت ١٨٣ .

(١٨٣) من : ك و س و ح .

(١٨٤) الرجز لرؤبة بن العجاج في : أضداد الأصمعي ٢٨ وأبي حاتم ١١٩ وابن السكيت ١٨٣ والصحاح ٥٥٣ واللسان ٤ / ٤٤٩ ؛ ودون عزو في : أضداد التوزي ٤٥ وابن الانباري ١٧٢ ونوادر أبي زيد ١٦٦ وتهذيب الألفاظ ٥١٣ . وبعده : « وكرنا بالأغرب الجياد » ويروى : « وجذبنا » .

(١٨٥) في ك و س و ح : « الآخر » .

(١٨٦) في م : « راضي الإهماد » و « الأوتاد » بكسر الدال في الشطرين ، ولا يستقيم هكذا ، والتصويب من : ك و ح والمخصص ٤ / ٢٦٤ . والرجز لرؤبة أيضاً في : أضداد الأصمعي ٢٩ والتوزي ٤٦ وأبي حاتم ١١٩ وابن السكيت ١٨٣ والمفضليات ٢٠٩ وتهذيب الألفاظ ٥١٣ واللسان ٤ / ٤٤٨ ؛ ٧ / ٢٦٧ . ودون عزو في أضداد ابن الانباري ١٧٣ . ولدى الأصمعي وابن السكيت بين المشطورين مشطور ثالث هو : « لا أتنحى قاعداً في القعاد » ونسب الأصمعي الإنشاد إلى أبي عمرو ؛ ورواه التوزي وأبو حاتم « اما تريني راضياً » وروى التوزي « كالكودن المربوط » وشرح معنى الكودن بأنه البرذون .

[و](١٨٧) الكُرَّز : البازي هاهنا . (١٨٨) [قال] (١٨٩) أبو عمرو : [١١٠ / أ]يُشدّ ليسقط ريشُه ؛ شبَّهه بالرجُل الحاذق ، وهو بالفارسيّة : كُرَّه (١٩٠) .

[و](١٩١) الإقراء : الحيض ، والإقراء : الإطهار . وقد أقرأت المرأة : في الوجهين (١٩٢) جميعاً ؛ وأصله من دُنوّ وقت الشّيء .

والخناذيذُ : الخصيان ، والفُحولة (١٩٣) ؛ [و](١٩٤) قال خفافُ ابن قيسٍ البُرجُميُّ (١٩٥) :

« وخَنـاذيـذَ خِصيـةً وفُحـولا (١٩٦) »

[قال](١٩٧) أبو عُبيد : ويُقال في تفسير الخناذيذِ (١٩٨) : إنّها

---

(١٨٧) من : ك وس وح .
(١٨٨) في س و ح : « هاهنا البازي » .
(١٨٩) من : ك وس و ح . وفي الأولى تقديم وتأخير في الكلام من غير خلل .
(١٩٠) التعليق بنصه في : أضداد الأصمعي ٢٩ وابن السكيت ١٨٣ ؛ ولعله لدى الأول منسوب الى أبي عمرو مع الإنشاد .
(١٩١) من : س و ح .
(١٩٢) في ك و س و ح : « الأمرين » .
(١٩٣) في ح : « والفحول » .
(١٩٤) من : ك .
(١٩٥) في ك وس و ح : « من البراجم » .
(١٩٦) عجز بيت للنابغة في : ديوانه ٨٩ وصدره : « وبراذين كابيات وأتناً » . ولخفاف بن عبد شمس في أضداد أبي حاتم ٨٧ وأبي الطيب ١ / ٢٣٤ ولخفاف مطلقاً في أضداد ابن الأنباري ٥٩ ونقل عن ابن السكيت نسبته الى النـابغة ، ولخفاف بن عبد القيس في اللسان ٥ / ٢٢ ونقـل الأخيـر تصويب ابن بري على الجـوهري في نسبـة البيت الى خفاف بأنه للنابغة ؛ ودون عزو في أضداد التوزي ٣٢ وأبي الطيب ١ / ٢٣٣ . وفي ك و ح بعد هذا الموضع تأتي مادتا (وراء) و (دون) مكررتين . فقـد مرتا في موضع سابق مرويتين عن أبي عبيدة في الأصل م . وهي هنا عنه أيضاً في ح . أما في ك فتبدأ العبارة : « وقال غير أبي عبيدة : وراء . . . الخ » .
(١٩٧) من : ك .
(١٩٨) في ك : « تفسير الجياد » وهو خطأ .

الجيادُ من الخيل ؛ فوصفها بالجودةِ ؛ أي : منها فُحولٌ ومنها خِصيانٌ ؛ فقد خرج الآن من حدّ الأضداد .

الأصمعيُّ : خفيتُ الشّيءَ : أظهرتُه ، وكتمتُه . وأخفيتُه : كتمتُه . والركيّةُ يُقال لها : خفيّة ، لأنّها استُخرجتْ وأُظهرتْ (١٩٩) . وقال الشاعر :

خَفاهنَّ من أنفاقهنَّ (٢٠٠) كأنّما
خفاهنَّ وَدْقٌ من سحابٍ مركّبِ (٢٠١)

[وتفسير هذا البيت](٢٠٢) يعني : الفرس أخرج الفأرَ من جِحَرَتها ؛ فكأنَّ سيلاً دخل عليها جِحَرَتَها (٢٠٣) .

وغيرُ الأصمعيِّ يقول : [لايُعرفُ من] (٢٠٤) خفيتُ الشيءَ : [إلاّ](٢٠٥) أظهرتُه ؛ [ولا يعرفُ مِن] (٢٠٦) أخفيتُه : [إلاّ] (٢٠٧) كتمتُه (٢٠٨) .

---

(١٩٩) في ك : « فأظهرت » . وقول الأصمعي في أضداده : ٢١ – ٢٢ وروى ابن السكيت في أضداده : ١٧٧ إنشاد الأصمعي للشاهد وانظر : أضداد أبي الطيب ١ / ٢٤٦ .

(٢٠٠) في ك : « خفاهن ودق من سحاب كأنما . . . الخ » .

(٢٠١) البيت لامرئ القيس في: ديوانه ٥١ وأضداد الأصمعي ٢٢ والتوزي ٤٢ وأبي حاتم ١١٥ وابن السكيت ١٧٧ وأبي الطيب ٢٣٨/١ واللسان ٢٥٦/١٨ . ورواه التوزي وأبو الطيب ومثلهما أبو زيد في نوادره : « من عشي مجلب » . ونقل اللسان عن ابن بري أنها رواية الديوان .

(٢٠٢) من : ك .

(٢٠٣) في ك شرح مختلف العبارة . وفي أضداد الأصمعي ٢٢ : « يعني أن المطر أخرج الفأر من الجحر » . أقول : وليس كذلك لأن صورة المطر جيء بها للتشبيه .

(٢٠٤) من : ك .

(٢٠٥) من : ك .

(٢٠٦) من : ك .

(٢٠٧) من : ك .

(٢٠٨) نقل أبو الطيب في أضداده: ٢٤٦/١ هذه الفكرة في التفريق بين خفيت وأخفيت في المعنى عن الأصمعي وأبي زيد ولعل المصنف قصد أبا زيد منهما لأنه أراد قولا مخالفاً لما أورد أولا.

الأَصمعيُّ : يُقال : شِمتُ السيفَ : أغمدتُه ، [وشمتُه] (٢٠٩) : سَلَلتُه (٢١٠) .

[وعن أبي عبيدة] (٢١١) : رتوْتُ الشيءَ : شَدَدْتُه ، وأرخيتُه (٢١٢).

[شلكَّ في رتوتُ : أرخيتُه] (٢١٣) ، قال لبيد :

فخمـةً ذفراءَ تُرتى بالعُـرى (٢١٤)

قُردُمانيـاً وتركاً كالبصـــل (٢١٥)

أي : تُشَـدّ .

[و](٢١٦) قال الكسائيُّ : غَـبيتُ الكـلامَ ، وغَـبِيَ عنّي (٢١٧) .

---

(٢٠٩) من : ك .
(٢١٠) قول الأصمعي في أضداده : ٢٠ وانظر : أبا الطيب ١ / ٣٨٩ .
(٢١١) من : ك .
(٢١٢) لم ترو هذه المادة عن أبي عبيدة في كتب الأضداد وانما عن أبي عمرو ، انظر : اضداد الأصمعي ٤٢ وابن السكيت ١٩٦ وابن الا نباري ٨٨ وأبي الطيب ١ / ٣١٤ .
(٢١٣) من : ك .
(٢١٤) في ك الشطر الأول ، وأخلت بالثاني .
(٢١٥) البيت له في : ديوانه ١٥ وأضداد الأصمعي ٤٢ وابن السكيت ١٩٦ وابن الانباري ٨٩ وأبي الطيب ١ / ٢٧٩ والصناعتين ٨١ ونوادر أبي مسحل ٢٢٨ والمقاييس ١ / ٢٥٣ واللسان ٥ / ٣٩٤ . وروى ابن الانباري واللسان ١٩ / ٢١ : « دفراء » بالدال المهملة . والقردماني : ضرب من الدروع . والترك : بيض الحديد للرأس .
(٢١٦) من : ك .
(٢١٧) المادة غير معزوة في أضداد المنشي : ٣٧٤ ولا وجود لها في غيره من كتب الأضداد .

عرض الكتب

بغـــداد

الدكتور أحمد مطلوب
عضو المجمـع

اهتم العرب الاولون ببغداد كثيرا ، لانها عاصمة دولتهم ، ومنار مجدهم . فمنها نبعت الحضارة العربية الاسلامية التي اهتدى العالم بها قرونا ، وكانت موئل العلم . وركن السياسة . ومحط التجارة . وظلت على الرغم مما مرَّ بها من أحداث النغَم العذبَ الذي يترنم به العرب والمسلمون في كل صقع من أصقاع العالم ، فهي «أمّ الدنيا» و «سيدة البلدان» و « جنة الدنيا » و « قبة الاسلام » و « دار الخلافة » و « مدينة السلام » .

وألفت كتب كثيرة عنها ولعل أهمها « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي الذي يُعدّ مصدراً مهماً في دراستها ومعرفة الحركة العلمية فيها . واعتنى بها العلماء في هذا القرن وكان للاجانب دور واضح في القاء الضوء على هذه المدينة التي لاتزال تحمل رسالة السلام وتبني معالم الحضارة الانسانية . وقد اتجه المجمع العلمي العراقي في السنوات الاخيرة الى اصدار الكتب الموضوعة والمترجمة عنها تخليداً لها وتكريماً لماضيها وحاضرها . فعكف على جمع ما يتصل ببغداد من كتب مخطوطة ومطبوعة بالعربية واللغـات الاجنبية ، ومن وثائق وخرائط . وبـــدأ بتأليف الكتب ، أو ترجمتها ، واصـــدارها لتلقي ضوءً على دار السلام وتظهر دورها في بناء الحضارة الانسانية .

ومن الكتب التي صدرت خلال السنوات الثلاث الاخيرة :

١ ـ خطط بغداد وأنهار العراق القديمة :

ألّف هذا الكتاب بالالمانية مكسميلان شتريك وترجمه الى العربية الدكتور خالد اسماعيل علي ونشره عام ١٩٨٦م. وأصل الكتاب فهرسة لاسماء المواضع في بلاد بابل القديمة . استناداً الى اقوال الجغرافيين العرب الاوائل ، ثم توسع فيه المؤلف فكان هذا الكتاب الذي انتهى منه عام ١٩٠٠ م .

والكتاب في فصلين او قسمين :

الاول : الخطط العامة لبلاد بابل ، استناداً الى وصف الجغرافيين العرب ، وقد تحدث فيه عن الاسماء . والحدود ، والابعاد ، والمسافات ، والانهار في العراق .

الثاني : الخطط الخاصة . وقد تعرض المؤلف فيه لمصادر الخطط . وأسماء المدينة . وموقعها وبنائها ،وكان أقدم الاوصاف لمدينة بغداد وأكثرها تفصيلا هو وصف اليعقوبي . ووصف ابن سيرابيون لنظام الانهار .

ومن المصادر التي تنبض بالحياة « تأريخ بغداد » للخطيب البغدادي الذي ترجم لآلاف العلماء المقيمين في دار السلام والوافدين عليها . وشرع المؤلف بعد ذلك في الحديث عن بناء المدينة ، وأشار الى القرى التي كانت في المكان الذي شيدت فيه دار الخلافة ، وأهمها بغداد في الجانب الغربي ، وقد اعجب المنصور بهذا المكان فبدأ في بناء عاصمة ملكه . ووضع الحجر الاساس في شهر ربيع الاول من عام ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) . وانتقل اليها عام ١٤٩ هـ . ومضى المؤلف في وصف خطط بغداد . استناداً الى المصادر العربية ثم تحدث عن الأرباض وانهار المدينة في الجانب الغربي . وعن الاطراف الجنوبية . والشمالية ، وانتقل الى الجانب الشرقي الذي تألّق بعد أن بنى فيه الخلفاء قصورهم فأخذ الجانب الغربي بالافول وإن احتفظ بمكانته بعض الوقت مركزاً للحركة التجارية والمهنية . ولم يبق من المحال فيه عندما زار ابن بطوطة بغداد إلا ثلاث عشرة محلة بدت بسبب انعزالها عن بعضها كأنها مدن قائمة بذاتها .

بدأ المؤلف بوصف اليعقوبي للجانب الشرقي ، وذكر أنهارها ، وقصور الخلافة ، وأكمل بقية محالّه عن الخطيب وياقوت ، وختم كتابه بأديرة بغداد مستمداً معلوماته من كتاب « الديارات » للشابشتي .

٢ ـ بغداد مدينة السلام :

اهتم الدكتور صالح احمد العلي ببغداد فأصدر عام ١٩٨٥ م كتاب « بغداد مدينة السلام » وهو في مجلدين . تحدث في الاول عن إنشائها ، وتنظيم سكانها في العهود العباسية الثانية . وقد بدأه بمقدمة ذكر فيها بعض وصف القدماء لهذه المدينة الخالدة كقول اليعقوبي انها « المدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها » . وقول الخطيب :

« لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها واعلامها . وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها وسعة أطرارها . وكثرة دورها . ومنازلها . ودروبها . وشعابها . ومحالها ، وأسواقها . وسككها وأزقتها . ومساجدها . وحمّاماتها . وطرازها . وخاناتها ، وطيب هوائها » وقول ابن الفقيه : « هي محل الخلفاء . ومسكن الوزراء . ومأوى بني هاشم ومقرهم ومفزعهم من الشدائد والرخاء . الواسعة الدور ، الكثيرة القصور . الغزيرة الانهار » . وبعد ان استوفى المؤلف مديح القدماء لمدينتهم العظيمة تحدث عن مصادر دراسة بغداد وحللها ، ثم حدّد محور هذا الجزء من كتابه فقال :

« عنيت في هذا الجزء بوصف الاحوال عند تأسيس بغداد ، ومتابعة تطورها المطرد حتى الثلث الاول من القرن الرابع الذي أدّت الاضطرابات والفتن الكثيرة الى تبدلات واسعة في احواله الخططية والعمرانية » . لقد اوضح المؤلف في هذه المقدمة الموجزة أهمية بغداد وتطورها ، والكتب المؤلفة فيها ، ونطاق الدراسة . وهذه مسائل لابدّ من ايضاحها ، حتى اذا انتهى منها قسّم الجزء الاول من كتابه الى قسمين :

القسم الاول :

خصصه للكلام على العواصم الاولى للدولة الاسلامية وهي : المدينة المنورة ودمشق والكوفة والانبار . ثم تحدث عن الموقع الجديد لعاصمة الخلافة . وتوالت الفصول متحدثة عن الصحابة والانصار ، والموالي ، والعرب ، وسيادة الثقافة العربية . والجيش العباسي في بغداد ، وتنظيم اسكان الجيش ، ونفقات الجيش ، والادارة والكتاب والدواوين . والنصارى . وتنظيم العمل في بناء بغداد ، والاعمار ، والنشاط الاقتصادي .

القسم الثاني :

تحدث فيه عن قلب المدينة ، وسكك المدينة المدورة . والخندق ، والاسوار ، والمساحة . وأبواب المدينة المدورة . وباب البصرة ؛ وتطور مدينة المنصور ، وباب الشام ، وباب خراسان ، والاطراف الشرقية للمدينة المدورة .

وكان المجلد الثاني من كتاب « بغداد مدينة السلام » عن التوسع وتطوره ، إذ ضَمَّ الامتداد والتوسع في الاطراف الجنوبية ، وقد تحدث المؤلف في هذا القسم عن نهر الصراة والقطائع حوله . وباب المحول وباب الشعير . والكرخ ، وتطور أحوال الكرخ واطرافه في العهود العباسية . والمحلات في أطراف الكرخ الجنوبية والغربية ، وقصر عيسى ، والمعالم العمرانية على نهر عيسى . والمعالم الخططية وراء نهر عيسى .

وجاء القسم الاخير من الكتاب ايضاحاً للابواب الخارجة وحدود التوسع الخارجي ، والمعالم العمرانية الغربية ، والشمالية الغربية ، وربض حرب والحربية . ودار الرقيق ، والحريم الطاهري ، وباب التبن ، ومقابر قريش ، وقطيعة أم جعفر .

لقد طاف الدكتور صالح احمد العلي بهذا الكتاب في معالم بغداد ، ودرسها دراسة علمية . واستخلص كثيرا من النتائج الدقيقة . مستندا الى المصادر المختلفة التي قدمت له مادة وفيرة بنت أقسام الكتاب وفصوله الاربعة والثلاثين .

ويعد هذا الكتاب زبدة لكثير من الدراسات القديمة والحديثة ويكاد يكون مستغنيا بنفسه في دراسة الجانب الغربي من بغداد . اذ يخرج دارسه بحصيلة علمية كبيرة . ونظرات سديدة كانت حصيلة خبرة طويلة قضاها المؤلف في الدرس والتدريس . والبحث والتأليف .

٣ ـ خطط بغداد في العهود العباسية الاولى :

ألف الدكتور يعقوب لسنر الاستاذ في جامعة ولاية لاين هذا الكتاب وترجمه الدكتور صالح احمد العلي الى العربية ونشره عام ١٩٨٤م. ولم يبقه كما وضعه المؤلف وانما احدث فيه بعض التعديلات في ترتيبه ليزيد من تيسير متابعة البحث . والكتاب في ثلاثة أقسام وملاحق ، وكان القسم الاول عن تحليل المصادر . والثاني عن خطط بغداد كما وردت عند الخطيب البغدادي وفيه حديث عن خبر بناء مدينة بغداد . وخطط مدينة المنصور وتحديدها ، وبناء الكرخ . وبناء الرصافة . ومحال مدينة السلام . وتسمية نواحي الجانب الشرقي . وقصر الخلافة والقصر الحسني والتاج . ودار المملكة التي بأعلى المخرّم . وتسمية مساجد الجانبين المخصصة لصلاة الجمعة والعيدين . وأنهار بغداد الجارية . وعدد جسور بغداد . ومقدار ذرع جانبي بغداد طولا وعرضا . وما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد .

وتحدث عن النمو الخططي لمدينة دولية وهو دراسات وملاحق .

اما الملاحق فقد تضمنت الوحدات المدنية والجوامع ، وتطور الأرباض ، والسياسات الاقتصادية للعباسيين الاوائل . والتطور المعماري لجامع المنصور ، وخرائط بغداد . وقائمة بالخلفاء ، والامراء ، والالفاظ العربية المتعلقة بالخطط وما يقابلها بالانكليزية .

ان ترجمة هذا الكتاب الى العربية ضرورة شعر بها المترجم فنهد الى اخراجه بلغة عربية سليمة مقدماً مادةً علمية ينتفع بها الباحثون والدارسون . ووصفاً حياً لخطط بغداد في العهود العباسية الاولى يتمتع بها محبو التأريخ والمعجبون بمدينة السلام . ويقفون على معالم هذه المدينة الخالدة التي أنارت العالم . وقدمت للناس خير زاد في حياتهم السياسية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

٤ ـ خطط بغداد في القرن الخامس الهجري :

ألف هذا الكتاب الدكتور جورج مقدسي استاذ الدراسات العربية في جامعة بنسلفانيا ونقله الى اللغة العربية الدكتور صالح احمد العلي ونشره عام ١٩٨٤م ويكمل هذا الكتاب «خطط بغداد في العهود العباسية الاولى» للدكتور يعقوب لسنر . والكتاب الجديد بحث نشر عام ١٩٥٩م في عددين من المجلد السادس من مجلة « العربية » التي تصدر في باريس . ويعد اوسع ما نشر حتى الآن عن خطط بغداد في القرن الخامس للهجرة ، وهو ـ على الرغم من مرور ربع قرن على نشره ـ لايزال أحدث ما كتب عن خطط بغداد وتطورها في العهود العباسية المتأخرة .

ومما يزيد في قيمته استيعابه مقداراً كبيراً من المعلومات المتفرقة في المصادر القديمة . وإشارته الى الافكار والتصورات الحديثة . وابراز العلاقة بين التطورات السياسية ، والتبدلات الخططية .

والكتاب ثلاثة اقسام :

الاول : اعادة نشر وصف ابن عقيل لبغداد والتعليق عليه .

الثاني : سرد تأريخي منسق لبعض العوامل الاساسية المؤثرة في عمران بغداد.

الثالث : اعطاء صورة اجمالية للتطور العمراني .

وقد كتبه مؤلفه بأسلوب دقيق ومنظم وترجمه الدكتور صالح احمد العلي بأسلوب مشرق يدل على تمرسه في كتابة التأريخ وتقـديم النصوص القديمة ، والاستنتاجات العلمية .

٥ ـ أطراف بغداد :

الكتاب دراسة في تأريخ الاستيطان في سهول ديالى ، وقد ألفه روبرت ماك آدمز الاستاذ في المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو وترجمه الى العربية الدكتور صالح احمد العلي والدكتور علي محمد المياح والدكتور عامر سليمان ونشروه عام ١٩٨٤م . وقد أوضح الدكتور صالح احمد العلي في مقدمة هذا الكتاب ما يسعى اليه المجمع العلمي العراقي فقال : « أولى المجمع العلمي العراقي دراسة بغداد والحضارة فيها اهتماما خاصا . ووضع هـذه الدراسة في مقدمة اعماله المكرسة لتوضيح معالم تأريخ الامة وحضارتها . ويتطلب تحقيق ذلك رصد المخطوطات ونشر المهم منها . والقيام بدراسات متعمقة عن معالم بغداد الآثارية والحضارية والفكرية . ولما كان الاطلاع على الابحاث المعتمدة باللغات الاجنبية ييسر الوصول الى عمل اكمل فانها اختارت للترجمة عددا من هذه الابحاث المهمة المكتوبة باللغات الاجنبية ووضعت في مقدمتها كتاب روبرت آدمز » .

والكتاب في قسمين : تعرض الاول لدراسة الوضع المعاصر ، وقد تطرق المؤلف فيـه الى المتغيرات الطبيعية الرئيسة . والانماط الاسـاسية للقـوام الزراعي . والانجاهات الحديثة في الاستيطان .

وتطرق في القسم الثاني الى تغير أنماط الاستيطان القديم .

ان دراسة الجانب الشرقي لمنطقة بغداد وما طرأ عليـه من تغير خلال القرون الكثيرة مهمة . لانها تلقى ضوءً على ما لهذه المنطقة من قيمة عظيمة ، وتقدم مادة علمية تنفع في وضع الخطط الجديدة . وبناء الحياة المعاصرة .

وقد احسن المترجمون في ترجمة هذا الكتاب ؛ لانه من الدراسات الشاملة العميقة على الرغم مما فيه من ثغرات تتيح المجال لبحوث تعدل بعض ما فيه ، أو تضيف اليه وتغنيه .

٦ ــ بغداد في الشعر العربي :

لم تسحر بغداد المؤرخين والجغرافيين وحدهم وانما سحرت الشعراء وأنطقتهم شعراً ظل يُروى على مدى العهود . وبغداد التي تغنّت بها الطروس وأشادت بها الاقلام اكثر سحراً وفتنةً حينما يعرضها الشعراء بقصائدهم ذات اللفظ العذب . والمعنى الرائع . والايقـاع البديع . وتزخر الكتب والصحف ببديع الشعر وجميله ، وقد تهيأ له الاستاذ جمال الدين الالوسي فوقف عليه واختار منه ما يمثل الجوانب المختلفة من حياة بغداد ومواقف الشعراء ونشره عام ١٩٨٧م، ليكون أغنية عذبة لبغداد وهي تستعيد أمجادها ، وتبني حاضرها ، وتستشرف مستقبلها .

واتخذ الاستاذ الالوسي منهجا له في جمع الشعر وتبويبه . فكان الباب الاول لبغداد في الشعر العباسي ، والثاني لبغداد في شعر العصر العثماني . والثالث لبغداد في الشعر المعاصر . وفي هذه الاقسام الثلاثة كثير من الشعر . ولعل أظهره ما جاء في القسم الثالث الذي ضمّ أعذب ما تغنى به الشعراء في القرن العشرين .

وقد يكون هذا القسم كتابا كبيراً اذا رصد ما قيل في بغداد من شعر خلال هذا القرن ، اذ أحب العرب هذه المدينة الخالدة ؛ لانها تمثل حضارتهم وعزتهم وقوام وحدتهم ، وانه لمن الوفاء لبغداد أن ينهد الباحثون لدراسة ما قيل فيهـــا من شعر ، واستخلاص خصائصه الفنية . ومقارنته بمـــا قيل في المدن العربية الاسلامية أو العالمية . فإن في شعر بغداد قيمة فنية وقيمة جمالية لا يجد الدارس مثلها في كثير من الشعر الذي قيل في المدن .

وهذا الكتاب من سلسلة الكتب التي بدأ المجمع العلمي العراقي باصدارها احتفالاً بمدينة بغداد واظهاراً لدورها السياسي والعلمي والاقتصادي والاجتماعي . وكان بعض هذه الكتب موضوعا وبعضها مترجما ، وفي ذلك تلوين لمناهج البحث ، وتوسع في عرض الآراء والوقوف على معلومات وفيرة . وفي المجمع وثائق مختلفة عن بغداد في العهـود المتأخرة وطبعها مهم في القاء الضـوء على هذه المدينة التي ظلت تتحدى الغزاة قرونا ، ولم تستطع قوى الشر والعـدوان أن تسلبها دورها في بناء الحضارة الانسانية . ولعل المجمع يخرجها قريبا لينتفع الدارسون بها ، وتكون شاهداً حياً على ما لهذه المدينة من عظمة تستحق بها الخلود .

التقرير السنوي المقدم من رئيس المجمع عن اعمال المجمع في خــلال السنة المجمعية ١٩٨٦ ــ ١٩٨٧

بمن من الله وحمد له نختتم السنة المجمعية الحالية بعد اعمال واصلها اعضاء المجمع العاملون في مجلسه وديوان رئاسته ولجــانه ، وبجهــود الخبــراء الذين شاركوا في العمل على تحقيق رسالته ضمن نطاق ما رسمه القانون ، وجهــود الموظفين من اجل تحقيق رسالته في خدمة ثقافة الامة وتقدمها وصيانة اللغة العربية وانمائها .

مجلس المجمــع

تابع مجلس المجمع اجتماعاته مرتين كل شهر ، وبلغ عدد جلساته ثماني عشرة جلسة ، جرت في عشرة منها مداولات في موضوعات متعددة تتصل بعمل المجمع ورساله ، ولقيت المصطلحات واحوال اللغة العربية والحفاظ على سلامتها اهتماما خاصاً .

نوقشت في ثلاث جلسات امور تتعلق بالمصطلحات ، فخصصت الجلسة الثالثة لدراسة اهميــة الاشتقاق وقواعده ومــدى الافادة منهــا في وضع المصطلحات ، وبحثت في الجلسة الثامنة اساليب العمل في اقرار القواعد لاعداد المصطلحات ، ونوقشت في الجلسة السادسة مصطلحات الدرجات العلمية الجامعية فأقر المجلس استعمال مصطلح « التأهيل » ، « والاجازة » ، « والاختصاص » ، « والحكمة » ، بدلاً من « الدبلوم » و « البكالوريوس » « والماجستير » و « الدكتوراه » ، وأوصى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالاخذ بهذه التعبيرات وتعميمها .

وبحث المجلس في جلسته الخامسة قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية وأهميته ودور المجمع في ذلك ، وأهمية اللغة العربية وكتب التراث في الثقافة العامة

وفي الدراسات العلمية والجامعية،وسبل تعميم استعمال المفردات السليمة ، ودور المجمع في سلامة اللغة،واثر اسناد القانون الى المجمع دور الحكم على توسيع عمله واعداد التنظيمات الي يتطلبها ذلك التوسيع .

ونوقش في الجلسة الثامنة اسهام المجمع في دراسة تاريخ بغداد ودورها الحضاري ، وجمع المؤلفات والدراسات عن بغداد ، ونشر الكتب المؤلفة والمترجمة ، والإسهام في تعميم الابحاث عنها .

وتحدث اعضاء من المجمع في عشر جلسات في موضوعات ضمن نطاق اهتماماتهم الفكرية؛ فتحدث الدكتور سعدون حمادي عن الموضوعية، والدكتور صالح احمد العلي عن اعادة كتابة التاريخ ، والاساذ كوركيس عواد عن المخطوطات العربية . والاساذ محمود شيت عن اعداد المعجم العسكري ، والدكتور جابر الشكري عن المصطلح الكيمائي ، والدكتور احمد عبد الستار والدكتور جميل الملائكة عن اعمال لجنة الاصول ، والدكتور جوامير سليم عن نطاق واهمية اعمال هيئة اللغة الكردية ، والاستاذ محمد حسن آل ياسين عن المعجم الذي نريده .وكان يعقب كل حديث مناقشات يسهم فيها عدد من اعضاء المجمع حول الموضوع الذي جرى التحدث فيه .

وخصصت الجلسة السادسة عشرة لتأبين العضو العامل الدكتور احمد ناجي القيسي الذي انتقل الى الدار الآخرة بعد مرض عضال ، وتحدث كل من رئيس المجمع والدكتور أحمد مطلوب والدكتور نوري حمودي عن مزايا الفقيد وسجاياه الخلقية ونشاطه الفكري ومشاركته العلمية .

ديوان الرئاسة

عقد ديوان الرئاسة عشرة جلسات بحث فيها عددا من القضايا التنظيدية والمالية والادارية التي تدخل ضمن اختصاصاته التي حددها قانون المجمع ونظامه الداخلي فدرس في جلسته الاولى الخطة المرحلية لعمل المجمع خلال

دورته الحالية ، وشملت هذه الدراسة الموضوعات التي يبحثها مجلس المجمع ، وتكوين اللجان والتنظيمات التي تتبع لتحقيق هذا الغرض .

واقر في الجلسة الثانية اعضاء لجان المجمع وخبراءها ، ووضع الغائبين عن حضور جلسات المجمع بسبب مرضهم او اقامتهم خارج العراق للقيام باعمال علمية تتفق واغراض المجمع ، واقر اعتبار غيابهم بعذر شرعي ، ويمنح الغائبون المقيمون في العراق بسبب مرضهم المكافات المقـــررة ؛ أما الغائبون خارج العراق فلا تدفع لهم المكافآت المقررة .

وأقر اعتبار الاعضاء القائمين بالنظر في امور التأليف والترجمة والنشر هياة تحل محل لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ويدفع لاعضاءها مكافات عن جلساتها تعادل ما يدفع لاعضاء اللجان .

وقرر توزيع قوائم المصطلحات التي ترد من الوزارات والمؤسسات لتدقيق سلامتها اللغوية الى اللجان المختصة بتدقيق سلامتها اللغوية ، وجواز عقد جلسات اضافية للنظر في هذه المصطلحات ، وقيام مدير الادارة العام بالوكالة تنظيم تسلم المصطلحات وتوزيعها على اللجان ومتابعة تدقيقها والاجابة عما يتصل بها .

وأقر اجراء مناقلات في ابواب الميزانية ، وناقش تقرير ديوان الرقابة المالية ، ودرس ملاك الموظفين والمستخدمين ، وأقر منح المنتسبين القائمين بجهود متميزة مكافأت تشجيعية ، ودرس قوائم الاعضاء المؤازرين للمجمع من خارج العراق .

ونظر في عدد القضايا التي تدخل ضمن اختصاصه مما يتعلق بكل من الهيأتين الكردية والسريانية ، فأقر اعضاء لجانها وخبراءها ، ومقدار المكافأت للقائمين باعداد وطبع اعمال ندوة الاملاء الكردي ، وفهارس مخطوطات دير الرهبان ، ومعجم الادب السرياني .

اعمـال اللجـان

• بحثت لجنة اللغة العربية موضوعات متصلة بالمفردات والمصطلحات الفصيحة ، فدرست ١٨٠ مادة من التعابير العامية وردتها الى اصولها من الفصيح ، ووضعت

٤٨٠ مصطلحاً فنياً وحضارياً استجابة الى طلبات وردت من بعض الوزارت ، وخاصة وزارة الثقافة والاعلام ، واجابت على عشرين طلب من وزارة التجارة في تسميات المحلات والمؤسسات التجارية .

ودرست لجنة الاصول ابحاثاً اعدّها اعضاؤها وخبراؤها عن اصول تعابير متعددة يكثر استعمالها ، ومنها جمع «المعجم» و«الفترة» ، و«في الازمنة الحديثة» و « المدة والوقت » و « السنة والعام » واستعمال اللام ، و « ان » وزيادة الفاء ، ونصب بعض الاسماء،وتعابير « العدد » و « التأجيل » و « الافعال » و « اجراء ما يلزم » و « الري المستديم » و « المصداقية » و « حو ل » و « توفر » بمعنى وجد،و«المداخلة» ، وتكرار الفعل في حالة ابتعاد المفعول ، ونصب بعض الاسماء ، وجملة الحال .

وأعدت اللجنة مجموعة من ابحاثها لتنشر فتتسع الافادة منها ويزداد الاطلاع عليها .

وبحثت لجنة التاريخ والحضارة عددا من الميادين المتصلة بالتاريخ : فناقشت قضايا تتعلق بالبحث التاريخي ومنها مناهج البحث التاريخي واسباب قلة الانتاج والنشر في الوقت الحاضر ، وبعض الاتجاهات العامة في الكتابات الاريخية عند العرب . وسبل متابعة الدراسات الحديثة ، ومدى الافادة من المعاجم ودواوين الشعر وكتب التراجم والرحلات في الدراسات التاريخية ، ومصادر البحث التاريخي العربي . والاتجاهات العامة في مؤلفات اهل المغرب .

وبحثت جوانب عمرانية منها الاماكن العراقية في معجم البلدان ، وطبيعة المجتمع العربي . ومراكز الاستيطان في البوادي، والاحوال العمرانية في العراق ، وتطور احوال جنوب العراق . واحصاء سكان العراق في عهود الازدهار الاسلامي . واهمية اللغة العربية في علوم الاسلام . ودور بغداد في توجيه الحركة الفكرية .

وبحثت اللجنة أيضاً موضوعات خاصة ، ومنهــا النبات والطب ، والنقل البحري وانواع السفن واسمائها ، والعطارون والمسك ، والنبط والمعتزلة ، كما دققت قوائم مصطلحات شائعة الاستعمال في الدراسات الاثارية والتاريخية .

وبحثت لجنة التراث العلمي العربي المؤلفات العلمية في عصور الازهار الاسلامي وخصائصها العالمية واثر ذلك في حمل اوربا على اخــذ العلوم الاسلامية ، وبحثت الحركة الفكرية في الاندلس وعلمائها وضعف اثر الثقافة الاغريقية فيها ، واعتماد اهل الاندلس على المشارقة في معرفة العلوم الاغريقية ، ودور اليهود في الحركة الفكرية في عهود الازدهار الاسلامي ، والانجازات الطبية في زمن العثمانيين ،والسمات العالمية والمحلية في المؤلفات العلمية ، والمنطق والعقل ونظريات المعرفة،والفلسفة المادية والتطورات الفكرية المعاصرة،وتقييم اثر الندوات ، والكتب المهمة الجديرة بالنشر .

وبحثت في الكيمياء وقدمها ، والصنعة ، وعلاقتها بالصناعة ، واسباب قلة المؤلفات العربية في الكيمياء ، والاهمية العلمية لهذه الكتب وعلاقة الكيمياء بالسيمياء؛وقدم الدكتور جابر الشكري بحثا عن كتاب السموم المنسوب لجابر بن حيان .

وبحثت اللجنة في كتب الاهوية والمياه ، والامراض المتوطنة والاوبئة، وكتب الادوية المفردة ، والاسماء العلمية للنباتات ومصادر التثبت فيها، وتحدث الدكتور يوسف حبي عن معرض تاريخ الطب في بادوا .

اللجان العلمية واعــداد المصطلحات العلمية

تابعت اللجان العلمية اعداد المصطلحات العربية في العلوم الحديثة مستعينة باحدث المعاجم المختصة والأخذ بنظر الاعتبار ما قامت بعمله المجامع والمؤسسات العلمية والافراد في هذا الميــدان وافادت اللجان من الخبراء المختصين في ذلك .

اكملت لجنة الرياضيات مصطلحات الرياضيات المتقدمة، وتم طبع مسودتها التي اقرت من قبل لجنة مجموعة عمل اعداد المصطلحات، وهي قيد التدقيق الان وسيتم طبعها خلال الايام القليلة القادمة .

واعدت اللجنة مصطلحات الاحصاء، وانجزت خلال هذه السنة المجمعية نحوا من ١٥٠٠ مصطلح احصائي من اصل ثلاثة الاف تكون معجما احصائيا متقدما .

وانجزت لجنة الفزياء تعريب نحو من الف مصطلح في الفيزياء العامة، واعدت للطبع مثل هذا العدد مما انجز خلال السنة المجمعية السابقة، وعربت نحو مئة مصطلح من المصطلحات العامة التي احالتها عليها رئاسة المجمع .

ودرست لجنة الكيمياء نحو الف مصطلح في الكيمياء غير العضوية، كما درست مشروع مصطلحات واساليب كتابة الرسائل الجامعية الذي اعده الدكتور جلال محمد صالح .

وانجزت لجنة الهندسة اعداد ٥٣٠ مصطلحا عربيا من الهندسة المدنية وبذلك اكملت مجموعة مصطلحات الهندسة المدنية ، وهي تبلغ نحو ٤٦٥٠ مصطلحا .

ودرست اللجنة طلبات احيلت اليها من رئاسة المجمع ، فدققت نحو ٥٠ مصطلحا في الكهرباء والانشاءات والميكانيك محالة من وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، و٤٨ مصطلحا عن السيارات محال من وزارة التجارة ، و٣٢ مصطلحا في السكك الحديد محال من وزارة التخطيط، و٤٧ مصطلحا في الاجهزة والمعدات الفنية محال من وزارة الثقافة والاعلام .

واكملت لجنة الزراعة اعداد ٦٥٠ مصطلحا في علم البستنة ، و١٥٠٠ مصطلح في المحاصيل الحقلية .

وانجزت لجنة علم النفس نحواً من الف مصطلح في ذلك الميدان .

وضعت لجنة الشريعة والقانون مئة وعشرين مصطلحاً قانونيا مع تعريف لكل مصطلح قانوني ، وراجعت مائة وخمسين مصطلحا جاءت الى المجمع من هيئة تخطيط القوى العاملة ، وادخلت التصحيحات اللازمة على تلك المصطلحات .

ونظرت مجموعة العمل في تدقيق المصطلحات التي انجزتها لجان الفزياء ، والرياضيات ، والبستنة؛ وبعد تدقيقها وادخال تعديلات على بعضها اقرت طبعها النهائي وتوزيعها .

ونظرت لجنة التأليف والترجمة والنشر في الكتب المقدمة للنشر باسم المجمع ، فأقرت ما قدمه اعضاء المجمع من المؤلفات . واحالت الكتب المقدمة من مؤلفين خارج المجمع الى خبراء وفق القواعد المقررة ، ونظمت ترتيب طباعتها ، ودرست الكتب الجديرة بقيام للمجمع بطبعها ضمن نطاق اهدافه وما يحقق اغراضه .

هيئة اللغة الكردية ولجانها

تابعت هيئة اللغة الكردية النظر في تنفيذ المهمات التي رسمها قانون المجمع ، وعقدت عدة اجتماعات درست فيها سير العمل في اللجان ، ومقترحات لانماء الدراسات المطلوبة ، واصدرت من مجلة المجمع عددين خاصين بالهيئة يضمان دراسات وابحاث باللغتين الكردية والعربية في اغراضها وتدعيم رسالتها الثقافية واكملت تحضير عدد سيرسل الى المطبعة قريبا .

وقامت اللجان الاربعة في الهيئة الكردية بالدراسات المطلوبة ضمن اختصاص كل منها، فتابعت لجنة قواعد اللغة الكردية ابحاثها عن بناء الجملة الكردية البسيطة في موضوع شبه الجملة، وجردت لجنة التراث والتاريخ الكردي المصادر والمراجع المتعلقة بتاريخ الاكراد في مختلف اللغات ، وقامت بتبويبها واعدادها للطبع ، كما جردت عدداً من الموضوعات الشعبية في مختلف ميادين الحياة ، وواصلت اكمال قائمة بالامثال الكردية وشرحها تمهيدا لطبعها .

وتابعت لجنة المصطلحات الانسانية دراسة سبعة عشر كتاباً مدرسياً باللغة الكردية والعمل على تنقيتها من الالفاظ والمصطلحات الاجنبية ، وتابعت لجنة المصطلحات العلمية اعداد قوائم بالمصطلحات العلمية باللغة الكردية وتنقيتها من المفردات الاجنبية .

وقامت مجموعة السلامة اللغوية بدراسة مسودات الكتب الكردية التي احالتها اليها وزارة الثقافة والاعلام لدراستها وتدقيقها وتنقيتها من المفردات والمصطلحات الاجنبية،وقد عوضت الافادة من الخبراء بعض الفراغ الناجم من عدم اكتمال العدد الذي حدده قانون المجمع لاعضاء الهيئة .

هيئة اللغـة السريانية

تابعت هيئة اللغة السريانية اعمالها في تنفيذ الخطة السنوية،واصدرت من مجلة المجمع عددا خاصا بالهيئة السريانية،واعدت مواد لجزء جديد ، كما اعدت للطبع الجزء الثالث من المخطوطات السريانية،واحالت فهرست مخطوطات دير الرهبان الكلدان الى المطبعة لانجاز طبعه ، وقدمت المجلد الاول من معجم الادب السرياني الى المطبعة وهو يشمل حرف (أ) ، وتعمل على تهيئة المجلد الثاني للطبع .

وقامت لجنة اللغة والتراث بتحقيق ١٧٠ مصطلحا من كتاب « مبدع من نوع خاص » ؟ كما حققت ١٣٤ مصطلحا في الطب والنبات .

. واعدت لجنة معجم الادب السرياني ٤١ مادة : ودرست موضوع المصادر العربية القديمة عن الحضر ، اعتمادا على بحث اعده الدكتور خالد اسماعيل علي .

وتم خلال السنة أعداد بطاقات للكتب العربية والسريانية التي تنظمها مكتبة الهيئة .

المجلة

عقدت هيئة تحرير المجلة اربع اجتماعات درست فيها المقالات التي قدمت للنشر . واحالت ما يتطلبه منهـا الاحالة الى خبراء اختارتهم ، وبحثت في تنظيم اصدار المجلة ، واختيار المقالات وتنظيم تسلسلها وابواب المجلة ، ومتابعة المنهج الذي اختطه المجلس للاحتفاظ بمستوى الابحاث ونشر ما يضمن تحقيق اهداف المجتمع في احياء التراث العربي الاسلامي في العلوم والاداب ، وانماء الفكر العربي .

وقد حافظت المجلة على مواعيد اصدارها والاجزاء التي حددتها ،وتابعت اهداءها الى المؤسسات المعنية والباحثين ، وتنظيم عرضها في الاسواق وتوزيع بيعها ، واستجابت الى طلبات الاشتراك التي قدمتها المؤسسات والافراد .

المكتبة

استمر الاهتمام الخاص بتوسيع المكتبة وتنظيمها ، وقد اضيف اليها خلال السنة حوالي ٥٦٠ كتابا اقتنيت بالشراء والتبادل والهدايا ، ويبلغ عدد المطبوعات فيهـا حوالي ٨٠٥٠٠ كتاب و١٥٠٠ دورية عربية واجنبية و٣٥٠ مجلدا من مجموعات الجرائد القديمة والحديثة . وبالنظر لضيق البناية المخصصة لخزن الكتب فقـد افردت الكتب الاجنبيـة ، وتبلغ نحو ٦٣٠٠ كتاب في جناح خاص كان معدا للمحاضرات العامة،وظلت كل من الكتب المرتبطة بالهيئة الكردية ، وعددها حوالي ٧٠٠٠ كتاب،والكتب المرتبطة بالهيئة السريانية وعددها حوالي ٢٦٥٠ كتابا في اماكنها الخاصة في الاجنحة الخاصة بكل من الهيئتين ، ويجري العمل باكمال اعداد بطاقات للكتب المضافة وللكتب الاجنبية . وكذلك في تجليد الدوريات والكتب الكثيرة الاستعمال؛وتبذل جهود واسعة لمتابعة اقتناء ما يعوز المكتبة وما يصدر حديثا من الكتب التي تبحث بما يعني المجمع بدراسته .

وقد افرد للمطبوعات المتعلقة بالمصطلحات ومعاجمها جناح خاص . وكذلك للدراسات المتعلقة ببغداد ، وزودت المكتبة بعدد من الخزانات لسد الحاجة الناجمة من التوسع واعادة التنظيم ، وتطبع مجلة المجمع قوائم بالكتب المضافة الى المكتبة والتي ترد على طريق الاهداء والتبادل .

يعمل في المكتبة حاليا مدير واربعة موظفين ، وهو عدد قليل لا يكفي للاستجابة لكل مطالب المطالعين والمستعيرين من اعضاء المجمع والباحثين ،

وتعاني المكتبة من ضيق المكان المخصص لخــزن الكتب وللمطالعين وكذلك من بعض التنظيمات التي اقتضتها الاحوال الخاصة

المخطوطات

ظلت المخطوطات مفردة في جناح خاص وهي تضم حاليا اكثر من ٢٠٠ مخطوطة و١٥٣٠ مصورة ، و٧٦٤ رقيقة ، ويدخل في ذلك ٢٠ مصورة و١٤ رقيقة اضيفت خلال السنة عن طريق الشراء او الإهداء .

وقامت شعبة المخطوطات بعمل ما يلزم لاستجابة طلبات من عدد من الجامعات العربية والغربية ، ولبعض الافراد الباحثين ، وتقوم الشعبة بتيسير الافادة مما تقتنيه للاعضاء والخبراء والباحثين وطلبة الدراسات العليا ،وتعمل في هذه الشعبة موظفة واحدة .

الشعبة الفنية والمخزن

وقامت الشعبة الفنية خلال السنة الحالية باستنساخ ٢٠٨٢٤ ورقة لاعضاء المجمع ولجانه وهيئتيه وللمكتبة ولما تتطلبه الادارة . وصّورت اكثر من ٨٠٠ صفحة من الرقيقات لعدد من الكتب المهمة .

وتعمل في الشعبة الفنية موظفتان تبذلان جهودا في تحقيق المتطلبات والتغلب على المعوقات الناجمة عن تعطل الاجهــزة وقلة توفر المواد الضرورية للعمل .

وتقوم شعبة المخزن بتسلم مطبوعات المجمع والمحافظة عليها وارسالها الى الجهات المختصة من مؤسسات وافـراد في العراق وخارجه ، وكذلك متابعة عرض الكتب في المعارض المقامة في بغداد ، وبيع المطبوعات ، وتنظيم السجلات المطلوبة،وكذلك حفظ وتوزيع القرطاسية في المجمع ، وقد زاد عملها خلال هذه السنة لكثرة الطلبات على المصطلحات التي يعدّها المجمع .

منجزات المطبعـة

انجزت المطبعة خلال السنة المجمعية الحالية طبع ستة اجزاء من مجلة المجمع ، وهي تشمل ثلاثة اجزاء من المجلة ، وجزئين خاصين بالهيئة الكردية وجزء خاص بالهيئة السريانية،وقامت ايضا بطبع المصطلحات العلمية التي اقرتها اللجان خلال هذه السنة في الرياضيات،والكيمياء الفيزيائية والتحليلية،والهندسة المدنية ، والبستنة .

وطبعت الكتب التالية : « بغداد في الشعر العربي » للاستاذ جمال الدين الالوسي و « خطط بغداد وانهار العراق القديمة» ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي و « بنـاء الصورة الفنية في البيان العربي » للدكتور كامل حسن ، وتعمل حاليا في انجاز طبع الجزء الثالث من المصطلحات البلاغية للدكتور احمد مطلوب ودقائق التصريف للمرحوم الدكتور احمد ناجي القيسي والدكتور حاتم الضامن ، و«معجم الادب السرياني» و«رحلة اوليفية» ترجمة الدكتور يوسف حبي ، اضافة الى المصطلحات التي انجزت لجان المجمع ..

ويبلغ عدد الملازم التي طبعت خلال السنة المجمعية ٢٢٧ ملزمة ، من ضمنها فرزات المقالات المنشورة في المجلة ، ويعمل في المطبعة عشرون فنيا وعاملا منهم ، خمسة منهم عرب بعقود ، علما بأن ثمانية ممن يعمل في المطبعة ملتحقـون بالجبهة .

وتواجه المطبعة صعوبات منها تعرض مكائنها للتعطل المستمر بسبب قدمها وعدم توفر قطع الغيار لاصلاحها ، وافتقادها بعض المكائن المكملة لعملها ، بالاضافة الى صعوبة الحصول على العمال الفنيين والمهرة ، وخاصة بعد صدور قرار عدم جواز استخدام المتقاعدين ، مما ادى الى الاستغناء عن عدد من العاملين الاكفاء وعـدم الاستعانة بهم ، غير ان العاملين الحاليين يبذلون قصارى جهودهم في تخطي هذه الصعوبات .

علاقات المجمع بالمؤسسات داخل القطر وخارجه

وضع قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية متطلبات جديدة من المجمع العلمي العراقي باعتباره المرجع لاقرار الفصيح من الكلمات والمصطلحات . واستجاب المجمع الى ما احالته اليه الامانة العامة لهيئة الحفاظ على سلامة اللغة العربية من قوائم تثبيت الفصيح في المصطلحات والتعابير المتداولة في الجهات التي اعدت القوائم . ونظر المجمع في هذا النطاق مصطلحات من وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ووزارة الثقافة والاعلام . ووزارة النفط ، ووزارة التخطيط ، ووزارة التجارة ، ووزارة الصحة .

ودرست لجنة اللغة العربية سلامة لغة عدد غير قليل من عناوين وتسميات محلات ومؤسسات تجارية . واقترحت بديلا لبعضها ، وذلك استجابة لطلبات احالتها وزارة الاقتصاد الى المجمع تنفيذا لقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .

وزوّد المجمع باللجان الجامعات والكليات والدوائر المختصة والباحثين اعدادا من مجموعات المصطلحات العلميـة ممن يتطلب عملهم استعمال هذه المصطلحات في دراساتهم وابحاثهم المختصة .

وتابع المجمع ارسال مطبوعاته من الكتب والمصطلحات والمجلة الى المجامع والى الجامعات والمؤسسات والباحثين في داخل القطر وخارجه . اضافة الى

توزيعها على اعضاء المجمع وخبراء لجانه ، واستلم المجمع اصدارات عدد غير قليل من المؤسسات العلمية . وبذلك يقوم بواجبه في تعميم الثقافة ، وتوثيق الصلة بالباحثين ومراكز البحث ، إغناء مكتبته .

واستجاب المجمع الى طلبات المؤسســات العلمية من خارج القطــر وزودهم بنسخ من مصورات المخطوطات التي طلبتها ، كما زود عدداً من الباحثين في داخل القطر بنسخ من مصورات المخطوطات والابحاث التي تتصل بدراساتهم وفق النظم وضمن حدود الامكانيات المتوفرة .

ويعمل حاليا سبعة من اعضاء المجمع في عدد من المؤسسات العلمية والجامعات خارج القطر ، ويتصل عملهم بالميادين الفكرية التي يعنى المجمع بانمائها تحقيقا لاغراضه التي رسمها له القانون .

ويشغل سبعة من اعضاء المجمع وظائف في الجامعة وفي مؤسسات الدولة التي تعنى بانماء الثقافة وتثبيت التعريب ، وهم بحكم عملهم الوظيفي يسهمون في نشر ما يتوصل اليه المجمع من افكار وانجازات علمية . ويشاركون في كثير من اللجان المؤقتة او الدائمة التي تقوم بدراسات او تقديم مقتـرحات للعمل على تطبيق كثير مما يتصل باغراض المجمع واخراجها الى حيز التنفيذ .

ويعمل في لجان المجمع ٥٧ خبيراً مختصا من الاساتذة والباحثين في حقول المعرفة التي تعنى اللجان بدراستها .

ومنح وزراء الصحة العرب الدكتور محمود الجليلي وساماً تقديراً لخدماته في ميدان الصحة .

وشارك عدد من اعضاء المجمع في الندوات الفكرية والعلمية التي عقدت في داخل القطر ، واسهم بعضهم في تنظيمها وفي القاء الابحاث التي تتصل باختصاصاتهم وبما تعنى به تلك الندوات .

وشارك الدكتور صالح احمد العلي في الاجتماع السنوي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية المنعقد في عمان ، وفي مؤتمر الدراسات الشرقية المنعقد في هامبورغ .

وشارك الدكتور احمد عبدالستار الجواري في الاجتماع السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومثل المجمع في اجتماع اتحاد المجامع العربية .

وحضر الاستاذ محمد بهجة الاثري الندوات التي يعقدها ملك المغرب خلال شهر رمضان في المغرب ، والقى فيها حديثا عن السلام والاسلام .

وقضى الدكتور يوسف حبي شهرا في روما في القاء محاضرات في بعض معاهدها تلبية لدعوة من تلك المعاهد .

وزار المجمع عدد من العلماء والباحثين الوافدين الى العراق ، واطلعوا على اعمالهم واجروا اتصالات بعدد من اعضائه تبادلوا فيها معهم الافكار والمعلومات .

ويسّر المجمع للباحثين وطلبة الدراسات العليا وطلبة الدراسات الجامعية زيارة المجمع والاطلاع على اعماله والافادة من مكتبته .

الجهـاز الاداري

يقوم بالشؤون الادارية والمالية مـدير عام بالوكالة يشـرف على ادارة الموظفين وسير العمل المتصـل بذلك ومتابعـة دوام واعمال المنتسبين اليه من الموظفين والمستخدمين واعداد المكاتبات والمراسلات المتعلقة بالمجمع واعضائه. وتحضير متطلباتها ومابعة تنفيذها .

ويتبع المدير العام الشؤون الادارية شعبة الادارة والذاتية تقوم بحفظ المكاتبات والمراسلات وتدقيق محتواها وتيسير الرجوع اليها ، ومتابعة تنفيذ ما يدخل في نطاق عملها . ويشرف على هذه الشعبة مدير بالوكالة ويعمل معه ثلاثة موظفين وخمسة من كتاب الطابعة والاستنساخ .

يبلغ عدب الموظفين العاملين في المجمع ٦٧ ، منهم ١٩ كانوا عمالا تم تحولوا الى موظفين بموجب القرارات الاخيرة ، ويبلغ عدد الموظفين الملتحقين بخدمة الاحتياط والجيش الشعبي ٢٤ ، ويبلغ عدد العمال المستخدمين بعقود ١٥ منهم ٦ من العرب .

بلغ عدد الكتب الصادرة خلال السنة المجمعية الحالية حوالي ٧٠٠ وعدد الكتب الواردة قرابة السبعمائة .

شعبة شـــؤون الاعضـــاء

وتقوم شعبة شؤون الاعضاء واللجان العلمية بمتابعة الاتصالات المتعلقة بدعوة اعضاء المجمع واللجان وخبرائها لاجتماعات المجلس واللجان ، والاشراف على طبع محاضر جلسات المجمع وديوان الرئاسة واللجان ومقرراتها وتوزيعها وحفظ نسخ منها في الملفات المختصة ، ومتابعة تنفيذ قررات لجنة المجلة . وهيئة التأليف والترجمة والنشر ، واعداد قوائم حضور اعضاء اللجان . وتتكون الشعبة من مدير وموظفتين .

شعبة الحسابات

وتقوم شعبة الحسابات بالمعاملات الحسابية التي تشمل صرف مكافآت الاعضاء واللجان العلمية ، وخبرائها ، وتنظيم قوائم رواتب ومخصصات منتسبي المجمع ، وصرفها ، والصرف على المشتريات والنفقات الاخرى واستلام الايرادات والمدخولات واعـداد السجلات والمستندات وتنظيمها وحفظها وفق الاصول ، وكما انها تسهم في اعداد الميزانية التخمينية ، وتقوم بمتابعة تنفيذها ، واقتراح المناقلات ، ومتابعة ما يتطلبه الصرف من المصرف والجهات المالية .

وتقوم باعمال الشعبة ثلاث موظفات .

الخـــدمات

يتابع موظف الاشراف على الابنية وصيانتها ومعالجة ما يطرأ عليها من خلل ويتابع موظف ثان صيانة الكهربائيات واصلاح ما يعرض لها من خلل او عطب ويشمل عمله متابعة عمل المحولة واجهزة الاضاءة والتبريد والمياه .

وقد احيل في هذه السنة ترميم سطوح بعض بنايات المجمع الى متعهدين للعمل وتم شـــراء عدد من المبردات والخزانات ، وبذلت جهود في اصلاح جهاز التدفئة .

ان اعضـاء المجمع وهيئاته ولجانه ومنتسبيه يعملون بتعاون لتحقيق اهدافه وتجاوز ما يعرقل مسيرته في سبيل خدمة الامة وانماء ثقافتها .

ومن الله التوفيــق

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

آراءٌ وَ أنباءٌ

أبو ربيعــة

الدكتور احمد مطلوب

من المحزن أن يودعنا اساتذتنا واحداً إثر واحد ونحن أحوج ما نكون اليهم علماً ومنهجاً ، وقدوة وارشادا . ففي ظهر يوم السبت الثامن عشر من رمضان عام ١٤٠٧ هـ الموافق للسادس عشر من أيار سنة ١٩٨٧ م لفظ الاستاذ الدكتور احمد ناجي القيسي أنفاسه الأخيرة في مستشفى الحميات بعد أن يئس منه الاطباء في مستشفى النعمان . وحمله اثنان الى المقبرة ودفناه في صمت دونه صمت القبور . وكنا نريد هذا الاستاذ الجليل أن يشيعه أصدقاؤه وطلابه ومحبوه تشييعاً مهيباً لا أن يدس في التراب كعابر سبيل . وكان هذا أفجع من موته لانه ينذر بتقطع الاسباب .

لقد آلمني هذا الموت الرهيب والتشييع الصامت وعادت بي الذكريات الى ما قبل ثلاث وثلاثين سنة ، ففي العام الجامعي ١٩٥٤ — ١٩٥٥ دخل علينا في كلية الآداب استاذ اللغة الفارسية وحيانا بأدب جم وكان قد عاد حديثا من بعثته . وبدأ الدرس فاذا به نهر يتدفق واذا به استاذ اتقن صنعته ، فانشددنا اليه واعجبنا به أيما إعجاب . وانقضى الدرس الأول وعرفنا ان استاذ الفارسية هو مؤلف « النحو الإعدادي » الذي حبب الينا اللغة العربية فعجبنا من رجل يجمع العلم بلغته كجمعه ويحيط باللغة الأجنبية وتدريسها كإحاطته . وازددنا قربا منه وكنا نجلس في مكتبه ونزوره في بيته ، وكان

فرحا بنا مسرورا يبذل كل جهده من أجلنا ويرافقنا في رحلاتنا وفي ذهابنا الى مكتبة المثنى لشراء الكتب .

وكانت للفقيد - رحمه الله - مواقف مشرفة ، فقد وقف معنا ونحن نستنكر العدوان الثلاثي في وقت كثر فيه العملاء ، وآزرنا ونحن نبحث عن عمل ، وقدّم لنا النصح ونحن نُقدم على الحياة . ولن أنسى وقفته معي فقد كان له فضل كبير في أن اشق طريقي وأن أسير في حياتي العلمية حتى يومنا هذا بعد أن تنكر لي كثيرون وخانوا الأمانة ولا أقول الاحسان .

وجاءت ثورة ١٩٥٨ فعملنا معا في التدريس والتأليف وكان أول عمل مشترك لنا هو « لغتي للصفوف الخامسة الابتدائية » و « لغتي للصفوف السادسة الابتدائية » وكنت أعجب من قدرته على أن يكون معلما للتلاميذ مثلما هو استاذ للجامعيين . واشتركنا في تحقيق كتاب « التمام في تفسير أشعار هذيل » لابن جني وكتاب « البخلاء » للخطيب البغدادي ، ولولا مشاغل الحياة لكان العمل المشترك أعظم ، فقد سافر - رحمه الله - الى القاهرة عام ١٩٦١ ليكمل الدكتوراه وظل هناك أربع سنوات يتابع مادة رسالته « فريد الدين العطار » حتى اكملها ، وعاد الى جامعة بغداد استاذاً فعميداً لكلية الشريعة .

لقد كانت رغبته في التعليم سببا من أسباب قلة بحوثه إذ لم يجد وقتا يسجل فيه ما لديه من علم يتدفق على لسانه وهو في قاعة الدرس فمضى ودفن معه العلم الغزير . ولم يكن مدعيا يتحدث عن علمه في المجالس بل كان متواضعاً يتحدث عنه زملاؤه وطلابه ويثنون عليه بما هو أهل له فاكتسب احترام العلماء وتقدير المنصفين في الوقت الذي سقط فيه كثير من الأدعياء والمدعين .

وكان رحمه الله شجاعاً صريحاً وقد آذته صراحته كثيراً وكان وطنياً يحمل في قلبه حب الارض والوطن ، ولن أنسى ما جرى له ولمن صدقوا ماعاهدوا الله عليه في العهد الشعوبي الأحمر فقد هدد بالقتل وسيق الى مراكز الشرطة حيث الاهانة والتوقيف وأبعد عن الجامعة وهو الاستاذ المقتدر والمخلص

الصادق . ولن أنسى يوم الانفصال عام ١٩٦١ فقد وجدته يبكي بكاءً مريراً ولكنه لم ييأس وظل معتصماً بعروبته حتى توفاه الله وهو ملء الاسماع والأبصار .

هذه نفثة أعزي بها نفسي فقد كان ابو ربيعة استاذاً باراً وأخا كريماً . وفي المجمع العلمي العراقي وثيقة جاء فيها : أنه ولد في بغداد عام ١٩١٩ وتخرج في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٤ ، وعين معيدا فيها سنة ١٩٤٦ . وحصل على الشهادة الجامعية الثانية في الأدب الفارسي من جامعة طهران سنة ١٩٥٣ فالماجستير عام ١٩٥٤ . وعاد الى بغداد مدرساً للغة الفارسية وآدابها ثم رقي الى مرتبة أستاذ مساعد عام ١٩٥٦ وحصل على الدكتوراه من كلية الأداب (جامعة القاهرة) بمرتبة الشرف الاولى سنة ١٩٦٥ واصبح استاذاً في كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٦٥ فعميداً لكلية الشريعة سنة ١٩٦٦ فعميداً لكلية الامام الأعظم للدراسات العلمية الى جانب عمادته لكلية الشريعة التي ظل فيها حتى اواخر عام ١٩٦٨ أي الى حين الغائها .

عين عضواً في المجمع العلمي العراقي مرتين : الاولى في عام ١٩٧٧ والثانية في عام ١٩٨٠ وظل فيه الى أن توفاه الله .

وله من الكتب والبحوث المنشورة :

١ ـ مقالة في أبي تمام نشرت عام ١٩٤٦ في كتاب « دراسات في الأدب العربي » .

٢ ـ قصة الابستاق نشرت سنة ١٩٥٦ في مجلة كلية الآداب .

٣ ـ فصلان من كتاب الفتوة لابن المعمار البغدادي الحنبلي نشر سنة ١٩٥٨ .

٤ ـ كتاب الفتوة لابن المعمار الحنبلي صدر سنة ١٩٦٠ م بالمشاركة .

٥ ـ كتاب « التمام في تفسير أشعار هذيل » لابن جني صدر سنة ١٩٦٢ بالمشاركة .

٦ ـ كتاب « البخلاء » للخطيب البغدادي صدر سنة ١٩٦٤ بالمشاركة .

٧ – الشيخ صنعان نشر عام ١٩٦٥ .

٨ – فريد الدين العطار وكتابه منطق الطير صدر سنة ١٩٦٨ وهو رسالة الدكتوراه .

وله – رحمه الله – كتب مدرسية أشهرها « النحو الاعدادي » وقد راجع بعض الكتب وأصلح ما فيها من خلل ، وأشرف على بعض الرسائل الجامعية وناقشها ، ولولا حبه للتعليم وانصرافه اليه لكان أكثر نتاجا .

رحم الله أبا ربيعة فقد كان كريما في حياته أبيا في موقفه متواضعا على جلالة قدره وعلمه ، وقد مضى وهو نقي الثوب فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا .

احمد مطلوب

١٩ – ٥ – ١٩٨٧

٢١ رمضان ١٤٠٧ هـ

الدكتور أحمد ناجي القيسي
في ذمـة الخلـود

الدكتور نوري حمّودي القيسي

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الطيبين.
والحمد لله على نعمائه وما حبانا به من نعم الحياة وهيأ لنا من أمرنا رشداً
والحمد لله على ما قَدَّر لنا من أقدار ووهبنا من الاعمار ما هو رهين بحكمته وموكول بارادته حيث قال تبارك وتعالى . .

كُلُّ نفسٍ ذائقة الموتِ . وقال : اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . .

الحمد لله الذي صَوَّرنَا بأحسن تقويم وافاض علينا من طيباته وبعد فان سُنةَ الحياة تقضي بما نؤول اليه : وان الدنيا فانية والآخرة باقية . وطَوبى لمن نال أجرها وثوابها وكان في عداد الابرارَ من عباد الله .

السادة الاعضاء :

خيرُ من المصيبة العوض منها ، والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره قال تبارك وتعالى : وبشّر الصابرين الذين إذا اصابتهم مُصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صَلواتٌ من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون .

إن في الله عزاءً من كُل مُصيبة وعَوضاً من كلّ مُرْزِيةٍ ودَرَكاَ من كُلّ فائت وخَلَفاً من كُلّ هالك وان الخَلق للخالق والشكرَ للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن ولا سبيل الى رجوع ما فات فقد مضت أصولٌ

نحن فروعها واحقّ الأشياء عند المصائب الصبر وأهل هذه الدنيا سَفر لايحطون الركاب الا في غيرها فما احسنَ الشكر عند النعم والتسليم عند الغير .

الى ابي ربيعة . .

(١)

ناجيتُ طيفَك حتى ملّني السهرُ
وروعتني المنايا وهي تنتظر
وعُجتُ اسأل عن صحبي وما حملت
كفُّ القضاء لهم والموتُ والقَدَرْ
وانني وروى الدنيا مُروّعةٌ
وكُلُّ خافية في صَمتها حَذَر
تشدُّنا في أقاصيها على مَهَل
وللقضاء – إذا جَدّ اللقا – سَفَر
فما لنا وعيون الموت ناظرة
ونحنُ في ليلة الساجيّ نعتصرُ
تردُنا وهي في أبهى مظاهرها
وتنقضي وهي في ألوانها صُورُ
ما كنتُ أعلم أن الليل ادركنَا
حتى تألق في احفاننا السهُرُ
واستوقفتنا على أعتابها نفراً
تلوي نواشرَه الأحداثُ والغيرُ

(٢)

ابا ربيعة والأيام والسفرُ
ولوعةُ الشوق في جنىً تحتضر
كتمتها والأسى يَطوي خوافقَها
كأنها من لهيب الحزّن تستعر

ألوي بهـا حَسَرّاتٍ كنت أحسبُها
لولا الحيـاءُ لجـادت أعيـن صُبُــرُ
طوتْ على البعد اضـلاعـاً مُـروَّعـةً
عاشت على مُقـل الأيـام تـذكـر

(٣)

ابا ربيعـة مـازلنـا على قَــــدَرٍ
تَظـلُّ في سـرِّه الايــام تختبـرُ
ما كان يومُـك الا أن قافلــةً
تقدّمت في خطاهـا وهي تفتخــر
وأن قافلةٌ أخرى على مَـهــــل
مسيرَهــا ولذاك النـاس والعــــدر
ففزت بالرحلــة الاولى بما كسبت
دنياك لاطولِ فيهـا ولا قِـصـرُ
هي المقاديرُ تُرضينـا بما حملت
ونحـن في ظلهــا نلهــو ونعتــذر
ونَرتضي من خفــاياهـا إذا حكمت
مـا كان في لـونـه من حالهـا أثـر

(٤)

ابا ربيعــة والدنيــا بقيَّتهــــا
عرفتهـا فاستقــام العُسْرُ واليُسُرُ
فكنت من عُتقـاء الشهر محتسباً
جزاءَ صبرك ما يُـرضي ويُنتظــر
عليك من رَحمــات الله اطيبَـهـا
ومن رضى الله ما يصبو لــه البشرُ

السابع عشر من رمضان
١٤٠٧

الكتب المهداة والواردة الى مكتبة المجمـع العلمي العراقي خلال الدورة المجمعية ٨٦ ــ ١٩٨٧

صباح ياسين الاعظمي
مدير مكتبة المجمع العلمي العراقي

العلوم الدينية

× الاعتبـار في الناسخ والمنسـوخ من الاثار • تأليف ، الامام الحافظ العلامة ، ابي بكر محمد بن موسى الحازمي تحقيق ، الدكتور عبدالمعطي امين قلعجي ، مطبعة دار الوعي ، حلب ١٩٨٢ •

× كتاب الاموال
تاليف ،حميد بن مخلد بن زنجويه ، تحقيق شاكر ذيب فياض منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية • الرياض ، ١٩٨٦ ، حـ١ ــ حـ٣ × ٣م •

× اصحاب الهجرة في الاسلام •
تاليف ، باقر امين الورد ، بغـداد ، ١٩٨٦ ، ٢٦٤ ص •

× ادب الفتيا •
تاليف ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور محيي هلال السرحان ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٣٢ ص ، ج٢ •

× اصول النظام الاجتماعي في الاسلام •
تاليف ، محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ، ١٩٨٢ ، ٢٣٨ ص •

× افعال العباد في القرآن الكريم •
تاليف عبدالعزيز المجذوب ، تونس ١٩٨٣ ، ٦٠٢ ص •

× الاهتداء والمنتخب من سيرة الرسول (ص) وائمة وعلماء عثمان •
تاليف ، ابو بكر احمد بن عبدالله بن موسى الكندي القيرواني ،
تحقيق ، سيدة اسماعيل كاشف ، القاهرة ١٩٨٥ ، ٣٧٧ ص •

× بغية الناصحين •
تاليف ، توفيق رضا ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ٧٣ ص •

× التعريف في اختلاف الرواة عن نافع •
تاليف ، ابو عمر عثمان بن سعيد الدلائي ، تحقيق الدكتور الباجي
راجي الهاشمي ، المغرب ١٩٨٢ ، ٤٧٤ ص •

× التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد •
تاليف ، ابن نقطة ، ابو بكر محمد بن عبدالغني ، الهند حيدر آباد
١٩٨٣ ، حـ١ ـ حـ٢ ×م٢ •

× دلائل النبوة •
تاليف ، البيهقي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، القاهرة ١٩٦٩ ،
حـ١ ـ حـ٢ × م٢ •

× العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية •
تاليف ، الامام الخليل امام الحرمين ابي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن
يوسف الجويني ، رواية ابو بكر بن العزي عن الغزالي عن المؤلف •
تحقيق احمد حجازي السقا • القاهرة ١٩٧٩ ، ١٣٤ ص •

× علم الهيئة الاسلامي (الهيئة السنية في الهيئة السنية) •
تاليف ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق انطون • م • هاينن منشورات
المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، بيروت ١٩٨٢ ، ٢٨٩ + ٧٧ ص •

× القواعد والفوائد (في الفقه والاصول والعربية) ٠
تاليف ، ابو عبدالله محمد بن مكي العاملي ، تحقيق الدكتور عبدالهادي الحكيم ، النجف ، ١٩٨٠ ، ط ــ حـ٢ × م٢ ٠

× كلمات في التصوف لشيخ الاسلام ابن تيميّة ٠
جمع وترتيب ، فيضي الفيضي ، الموصل ، بدون سنة طبع ، ٦٠ ص ٠

× المراسم في الفقه الامامي ٠
تاليف ، حمزة بن عبدالعزيز الديلمي الملقب بسلار ، تحقيق الدكتور محمود البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ٢٧٢ ص ٠

× المعارف الجليّة في تبويب اجوبة المسائل الدينية ٠ (التفسير والعقائد) ٠
تاليف ، عبدالرضا المرعشي الشهرستاني ، النجف ١٩٧٢ ، ٤١٣ ، ٢٢٤ ، حـ١ ــ حـ٣ × م٣ ٠

× مناقب الامام الشافعي ٠
تاليف الامام فخرالدين الرازي ٠ تحقيق الدكتور احمد حجازي السقا ٠ القاهرة ١٩٨٦ ، ٥٤٩ ص ٠

× نتائج الافكار ، تخريج احاديث الاذكار ٠
تاليف ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، حـ١ ، ٥٤٣ ص ٠

× النجاة ٠٠٠ !
تاليف ، الامام احمد الناصر لدين الله ، باعتناء فيلفرد ماديلونغ ، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، بيروت ١٩٨٥ ٠

× نخبة الاحاديث في الوصايا والمواريث ٠
تاليف ، محمد ابراهيم الكرباسى ، النجف ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢ ، جا ــ حـ٣ × م٣ ، ج٢ ٠

التربيــة وعلم النفس

× الابداع والشخصية (دراسة سيكولوجية) •
تاليف ، عبدالحليم محمــود السيد ، منشــورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ٤٤٢ ص •

× ابن خلدون والفكر العربي المعاصر •
اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٢ ، ٥٥٨ ص

× الاحصاء في التربية وعلم النفس •
تاليف ، الدكتور عبدالعزيز القوصي ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ٢٦٧ ص •

× الاختيارات الاسقاطية •
تاليف الدكتور سيد محمد غنام ، القاهرة ١٩٦٤ ، ٤٨٤ ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي •

× ادارة العلوم ، الاهداف والمهام •
منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ٣٠. ص •

× ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد الى السادسة •
تاليف ، الدكتور صالح الشماع ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، ١٧٩ ص •

× اسباب الرســوب المتعمد لطلبة الصفوف المنتهية في المدارس المهنيــة ومقترحات معالجتها •
اعداد ، اسامة عبدالقادر ملوكي • بغداد ، ١٩٨٦ ، رونيو •

× الاسس النفسية للتكامل الاجتماعي •
تاليف الدكتور مصطفى يوســف • منشــورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، مختلف الترقيم •

× اسس الصحة النفسية .
تاليف عبدالعزيز القوصي . منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ٤٤٧ ص .

× اصول علم النفس .
تاليف احمد عزة راجح .. القاهرة ١٩٦٨ ، ٥٣٢ ص .

× الالعاب الجــوية .
تاليف ، نيل وليامز ، ترجمة ، طارق الناصري ، منشورات الاتحاد العراقي للالعاب الجوية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ٣١٩ ص .

× العابنا الشعبية .
تاليف ، طارق الناصري ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ٤٨ ص .

× العاب المرحلة الأولى .
تاليف ، طارق الناصري ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ٧١ ص .

× اعرف نفسك .
تاليف ، الدكتور فاخر عاقل ، بيروت ١٩٧٩ ، ٣٣٥ ص .

× املاء وملاحظات حول الرياضة في المرحلة الأولية .
تاليف ، طارق الناصري ، بغداد ١٩٨٠ .

× ايها الولد ..
تاليف ، الامام الغزالي ، محمد بن محمد ، تحقيق الدكتور احمــد مطلوب . بغداد ، ١٩٨٦ ، ١٧٦ ص .

× البحث العلمي التربوي ، مستخلصات تربوية .
اعداد مركز البحوث والدراسات التربوية ، بغداد ١٩٨٧ ، طبع رونيو ، ٢١٦ ص .

× بنـاء منهـج للرياضيات للصفوف الاولى والثانية والثالثة للمدارس الابتدائية (دراسة تجريبية) •
اعداد ، الدكتور محمود احمد شـوقي ، الرياض ١٩٨٦ ، ١٤٩ ص
منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي •

× التربية وقضايا الطاقة ، الاهداف والممارسات العملية •
تاليف روونى ف ، آلن ، ترجمة الدكتور عبدالعليم مرسي • الرياض ،
١٩٨٦ ، ٩٥ ص ، ن٢ •

× التحليل النفسي والفن •

تاليف ، فرويد ، سيجمند ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ١١٨ ص •

× التحليل النفسي والسلوك الجماعي •
تاليف ، سول ، شيدلنجر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ٣٠٧ ص •

× تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق •

تاليف الدكتور عبدالمنعم عبدالعزيز المليجي • منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ٣٣٥ ص •

× التعليم العالي والبحث العلمي في دول الخليج •

منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٩٨٥ ،
٢٨ + ٣٠ ص •

× التفكير التأملي •

تاليف ، فيليب سمث ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ٣١٠ ص •

× التفكير التجريدي لدى العصابيين القهريين •
تأليف ، محمد سامي محفوظ هـنا ، القاهرة ١٩٦٤ •

× التقرير الختـــامي ، الحلقة الدراسية لتطوير مناهج وكتب الرياضيات
والعلوم في المرحلتين الأبتدائية والاعدادية في مراحل التعليم العام •
اعداد ، مكتب التربية لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٥ ، ن٢ •

× الحكم الخلقي عند الاطفال •

تاليف ، جان بياجيه ، ترجمة ، محمد خيري حربي • القاهرة ، ٣٧٥ ص •

× حقوق وواجبات اعضاء هيئة التدريس في جامعات دول الخليج العربي •
اعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ١٣ ص •

× حوادث العمل في ضوء علم النفس •

تاليف ، عباس محمود عوض ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ،
القاهرة ١٩٧١ ، ٢٠٧ ص •

× حياتي والتحليل النفسي •

تاليف ، فرويد ، سيجمند ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ٨٦ ص •

× الخدمة العامة في التعليم العالي (الممارسات والاولويات) •
تاليف ، باترينا ، هـ • كروسف ، ترجمة مكتب التربية العربي لدول
الخليج • الرياض ، ١٣٩ ص ، ن٢ •

× الدراجات •

تاليف ، طارق الناصري ، بغداد ، ١٩٧١ ، ٢٠٠ ص •

× دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف •
تاليف ، خليل ميخائيل معوض ، القاهرة ١٩٧١ ، ٤٣٣ ص •

× دراسة تقويمية لاعمال المؤتمر التربوي الفرعي ، الحادي عشر •

اعداو جانيت خضربنى ، وآخرون ، بغداد • وزارة التربية طبع رونيو •

× الذكاء ومقاييسه .
تاليف ،روكس ، نايت ، منشورات الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ١٢٢ ص .

× الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين ..
تاليف ، القابسي ، ابو الحسن على بن محمد بن خلف ، تحقيق ، احمد خالد ، تونس ، ١٩٨٦ ، ١٧٤ ص .

× الرياضة بدأت في وادي الرافدين .
تاليف ، طارق الناصري ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ١١٨ ص .

× الزعامة عند الطفل .
تاليف ، الدكتور ماهر كامل ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ١٩٢ ص .

× السينما والمسرح وامراض النفس .
تاليف ، الدكتور انيس فهمي اقلاديوس ، القاهرة ٢٧٥ ص .

× سيكولوجيات الاشـاعة .
تاليف ، الدكتور يوسف مراد ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ١٩٦٤ ، ٢٨٠ ص .

× السيكولوجيا والروح (وهل السيكولوجيا علم) .
تاليف ، ابو الخير ، احمد فهمي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٩٤ ص .

× الشخصية بين النجاح والفشل (مناقشة مختصرة في ضوء علم النفس والاجتماع) ..
تاليف ، عباس مهدي البغدادي ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ٢٣٧ ص .

× الطب النفسي الاجتماعي .
تاليف ، مكسويل جونز وآخرون . القاهرة ١٩٦١ ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، ١٩٧ ص .

× طرق التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية •
تاليف ، رولان دالبيز ، القاهرة ١٩٨٤ ، ٥٢٢ ص •

× علم الطباع •

تاليف ، الدكتور يوسف مراد ، منشورات جماعة علم النفس •
التكاملي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ٣٤٥ ص •

× علم النفس والاخلاق (تحليل نفس الخلق) •
تاليف • ح • أ • هاد فيليد ، القاهرة • بدون سنة طبع ، ٢٤٩ ص •

× علم النفس (الادب) •

تاليف ، سامي الدوبي ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ١٨٨ ص •

× علم النفس والتربية الحديثة •
تاليف ، س • ل ، برليس ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٣٩٨ ص •

× علم النفس والتربية الحديثة •

تاليف ، س • ل ، برليس ، ف • ب • رونبسون ، القاهرة ١٩٥٤ ،
٥٠٩ ص •

× علم النفس التربوي •

تاليف ، ج • ماكوتل ، وروبرت تشالمان • القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٣٠١ ص •

× علم النفس التربوي •

تاليف ، أرثر ، بيرسلون ، وماكونل ، وروبرت تشالمان ، القاهـرة ،
١٩٥٥ ، ٤٤٨ ص •

× علم النفس الجنسي •
تاليف ، شعبان بركات ، بيروت ، بدون سنة طبع ، ٣٢٠ ص •

× علم النفس الفردي •
تاليف ، اسحق رمزي ، القاهرة ، بدون سنة طبع ، ٢٨٩ ص •

× علم النفس الفردي ، اصوله ، وتطبيقاته •
تاليف اسحق رمزي ، منشورات جماعة علم النفس
التكاملي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ٢٩٤ ص •

× علم النفس قديماً وحديثاً •
اصدار ، الجمعية العربية للدراسات النفسية ، القاهرة • ٢٠١ ص •

× علل في المجتمع (اضواء على قضايا مجتمعنا العراقي) •
تاليف ، عبدالاله علي المخزومي الخالدي ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ١٠٢ ص •

× علوم التربية •
تاليف ، احمد شبشوب ، القاهرة ، ١٩٨٦ •

× الفرضية في السلوك الانساني •
تاليف ، كمال الدين عبد الحميد نايل ، منشورات جماعة علم النفس
التكاملي • القاهرة ، ١٩٥٥ ، ٢٥٠ ص •

× الفكر التربوي عند العرب •
تاليف ، ابراهيم النجار والبشير الزريبي ، تونس ١٩٨٥ ، ٨١٥ ص •

× الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون •
تاليف ، عبدالله شريف ، تونس ، ١٩٨٤ ، ٦٨٠ ص •

× الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع •
تاليف ، الدكتور ناجح التكريتى ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٤٨ ص •

× في علم النفس اصول التفكير عند الطفل •

تاليف ، هنري مالون ، القاهرة ، ٣١٥ ص •

× الكتاب السنوي في علم النفس •

تاليف ، الدكتور يوسف مراد ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ٥٢٤ ص •

× الكتاب العلمي السنوي للاذاعات العراقية •

منشورات وزارة الثقافة والاعلام • بغداد ، ١٩٨٧ ، ٢٣٧ ص

× مافوق مبدأ اللّذة •

تاليف ، فرويد ، سيجمند ، منشورات مفتبة التحليل النفسي القاهرة ، ١١١ ص •

× المجمل في التحليل النفسي •

تاليف ، دانييل لاجاش ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ٢٣٣ ص •

× مجموعة سيكولوجية العلاقات الانسانية (جنون الفصام) •

تاليف ، احمد فؤاد فايق ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ١٧٤ ص •

× مجموعة سيكولوجية (العلاقة الانسانية ، نظرية الانفعالات) •

تاليف ، جان بول سارتر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ٩٥ ص •

× مجموعة سيكولوجية العلاقات الانسانية (علم النفس الاجتماعي في الصناعة) •

تاليف ، أ • براون ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ٣٤١ ص •

× محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي •

تاليف ، فرويد سيجمند • القاهرة ، ١٧٦ ص •

× مدارس علم النفس المعاصرة •

تاليف ، روبرت • وادورن ، القاهرة • ١٩٨٤ ، ٣٨٦ ص •

× المديات المتاحة في مجانية التعليم وبعض الظواهـر السائدة بين الطلبة وسبل التطوير ، تجاه مستلزمات التعليم .
اعداد لجنة بوزارة التربية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

× المرشد النفسي الى الحياة السوية .

تاليف ، محمد مصطفى زيدان ، القاهرة ، ٢٧١ ص ، بدون سنة طبع .

× المرشد التربوي لمعلمات رياض الاطفال بدول الخليج العربي .
تاليف ، الدكتور خضر سعود الخضر ، الرياض ، ١٩٨٦ ، ٢٦٥ ص .

× مشكلات الاطفال اليومية (كتاب في اصول الصحة النفسية)
تاليف ، الدكتور اسعد رمزي ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ٢٩٢ ص

× مشكلات الانتحار .

تاليف ، مكرم سمعات . منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ١٩٧٤ .

× مشكلة السلوك السيكوباني .

تاليف الدكتور صبري جرجيس ، منشورات علم النفس . التكاملي ، القاهرة ، ٣٢٧ ص .

× المعتزلة بين الفكر والعمل .

تاليف ، علي الشابي وابو لبابة حسن عبد المجيد النجار .
تونس ١٩٨٦ ، ١٩٤ ص .

× المغراوي وفكرة التربوي (من خـلال كتابه جامع جـوامع الاختصـار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان ، تحقيق الاسـتاذ عبد الهادي التازي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ١٤٤ ص .

× مقدمة في التحليل النفسي •

تاليف ، فرويد ، سيجمند ، القاهرة ١٩٥٧ ، ١٥٦ ص •

× مكتبة التحليل النفسي (السباب الجامح) •

تاليف ، الدكتور اسعد رمزي ، القاهرة ، ٢٦٥ ص •

× مناهج البحث في علم النفس .•

تاليف ، ث • ج • اندروس ، ترجمة ، الدكتور يوسف مراد ، القاهرة ١٩٥٩ ، جا — ج٢×م٢ •

× مؤشرات النظم التعليمية •

تاليف ، جيمس • ن • جونسون ، ترجمة مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٦ ، ٤٧٥ ص •

× ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية •

تاليف ، ج • ب • جيلفورد • القاهرة ، ١٩٥٥ ، جا — ج٢×م٢ •

× النساء المسلمات والتعليم العالي (من اجل اقامة مؤسسات منفصلة للنساء) .•

منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨٧ ، ١١٨ ص •

× نظرية التدريب الرياضي •

تاليف ، تاديوس بولتوفسكي ، ترجمة طارق الناصري • بغداد ، ١٦٥ ص •

× النفس انفعالاتها وامراضها وعلاجها •

تاليف ، الدكتور علي كمال ، بغداد ١٩٦٧ ، ٤١٩ ص •

× الوضع التعليمي للطفل في دول الخليج العربي في ضوء الاعلان العالمي لحقوق الطفل .

تأليف ، الدكتور احمد محمد منصور ، الرياض ١٩٨٦ ، ١٠٣ ص .

× وقائع الاجتماع الثاني لمسؤولي البحث العلمي في اقطار الخليج العربي

اصدار ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٦ ، ٤٤٨ ص

× وقائع ندوة اعداد المعلم بدول الخليج .

اعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج ، قطر ١٩٨٥ ، ٤١٦ ص .

× وقائع ندوة التصورات المستقبلية لجامعة الخليج العربي (البحوث والدراسات والتوجيهات) .

اعداد مكتب التربية لدول الخليج العربي ، الرياض ١٩٨٦ ، ٤٠١ ص ، ن٢ .

× وقائع الندوة الفكرية الثانية لرؤساء ومديري الجامعات في الدول الاعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج ،

اعداد ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٧ .

× وقائع ندوة النظم الاسلامية .

منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٧ ، جا — ج٢×م٢ .

اللغة ـ النحو ، الصرف والبلاغة

× ارتشاف الضرب من لسان العرب .

تاليف ، ابو حيان الاندلسي ، تحقيق ، مصطفى احمد النحاس ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ٥٦٨ ص ، جا .

× اثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج ٠
تاليف ، الدكتور مسعود بوبو ، دمشق ١٩٨٢ ، ٤١٥ ص ٠

× الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادىء والاعلام ٠
تاليف ، ميشال زكريا ، بيروت ١٩٨٣ ، ٣١٩ ص ٠

× البنية الصوتية للكلمة العربية ٠
تاليف ، عبد القادر جديدي ، تونس ١٩٨٥ ، ٢٢٤ ص ٠

× النبوية وعلم الاشارة ٠
تاليف ، ترنس هوكز ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ١٧٥ ص ٠

× تبسيط العروض ٠
تاليف نور الدين محمود ، تونس ١٩٨٦ ، ٣٠٨ ص ٠

× تحفة نجباء العصر في احكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر ٠
تاليف ، زين الدين بن يحيى الانصاري ـ تحقيق الدكتور محي هلال السرحان ، بغداد ١٩٨٦ ٠

× التطور اللغوي ، مضاهره وعلله وقوانينه ٠
تاليف ، الدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨٣ ، ١٤٣ ص ٠

× تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الاخير ٠
منشورات اتحاد المجامع العلمية العربية ٠ الرباط ، ١٩٨٥ ، ١٦٨ ص ٠

× تعليم اللغة العربية في ربع القرن الاخير ٠
تاليف الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، الرباط ١٩٧٨ ، ٢٦٥ ص ٠

× التكملة وشرح الابيات المشكلة من ديوان ابي الطيب المتنبي ٠
تاليف أبي علي الحسين بن عبدالله المغربي ٠ الاردن ١٩٨٥ ، ٢٠٩ ص

× تيجان البيان في مشكلات القران ٠
تاليف ، محمد امين بن خيرالله العمرى ، بغداد ١٩٨٥ ، ٣٦٥ ص ٠

× تيسير العربية بين القديم والحديث •

تاليف ، الدكتور عبد الكريم خليفة ، الاردن ، عمان ١٩٨٦ ، ن٢ •

× دقائق التصريف •

تاليف ، القاسم بن سعد المؤدب ، تحقيق الدكتور احمد ناجي القيسي وحاتم صالح الضامن والدكتور حسين تورال ، بغداد ١٩٨٧ ، ٧٣٢ ص

× رسالة (أي المشدّدة) •

تاليف الشيخ عثمان النجدي الحنبلي ، تحقيق الدكتور عبـــد الفتاح الحموز ، الاردن ــ عمان ١٩٨٦ ، ٧٢ ص •

× شرح الاجروميه •

تاليف الدكتور على موسى الشوملي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ٣١٤ ص

× ظاهرة القلب المكاني في العربية ، عللها وادلتها وتفسيراتها وانواعها •

تاليف ، الدكتور عبد الفتاح الحموز ، عمان ــ الاردن ، ١٩٨٦ ، ٢١٤ ص

× علم اللغة النظري •

تاليف محمد علي الخولي ، لبنان ــ بيروت ١٩٨٢ ، ٤٠٠ ص •

×عيوب الابنية •

تاليف ، م • أيوب عيسى ابو ديّة • الاردن ، عمان ١٩٧٦ ، ٣١٦ ص •

× كتاب الفرق •

تاليف ، ابن فارس اللغوي ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب • القاهرة ١٩٨٢ ، ١٣٢ ص •

× فهرس شواهد المفصل •

اعداد عبدالاله نبهان ، فصلة من مجلـــة مجمع اللغة العربية بدمشق جا ــ ج٣ ، دمشق ١٩٨٦ •

× القراءات بأفريقيا من الفتح الى منتصف القرن الخامس الهجري •
تاليف ، هند شلبي ، تونس ١٩٨٣ ، ٤٣٠ ص •

× اللسانيات في خلال النصوص •
تاليف عبدالسلام المسدي ، تونس ١٩٧٤ ، ١٨٨ ص •

× اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث •
تاليف ، الدكتور عبدالكريم خليفة ، عمان ــ الاردن ١٩٨٧ ، ٢٩١ ص •

× لغتنا الجميلة •
تاليف فاروق شوشة ، القاهرة ١٩٨٢ ، ٢٤٥ ص •

× مسألة الحكمة في تذكير قريب في قوله تعالى (ان رحمــة الله قريب من المحسنين •
تأليف ، ابن هشام الانصاري ، الاردن ، ١٩٨٥ ، ٩١ ص •

× مصطلح الحديث واثره على الدرس اللغوي عند العرب •
تأليف ، شرف‌الدين علي الراجحي • بيروت ١٩٨٣ ، ٣٠٦ ص •

× الموسوعة العربية في الالفاظ العذبة والشذرات اللغوية •
تأليف ، محمد بن محمــد بن عبدالجبــار اليماني ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٣٢ ص •

× نظم الفرائد وحصر الشرائد •
تأليف ، الامام مهــذب الدين ، مهلب بن حســن بن بركات ، تحقيق عبدالرحمن سلمان العثيمني ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٣١١ ص •

كتب الادب

× احمد الصافي النجفي شاعر العصر •
تأليف ، سلمان هادي الطعمة ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٩٢ ص •

× الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين •
تأليف ، عادل اسماعيل الكبيسي ، النجف ، ١٩٧٢ ، ٣٣٦ ص •

× بغداد في الشعر العربي ، من تاريخها واخبارها الحضارية •
تأليف ، جمال الدين الالوسي ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٣٣ ص •

× بناء الصورة الفنية في البيان العربي ــ موازنة وتطبيق •
تأليف ، الدكتور كامل حسن البصير • بغداد ١٩٨٧ ، ٥٧٢ ص •

× تجريد الاغاني •

تاليف ، الدكتور طه حسين وابراهيم الابياري ــ القاهرة ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ ، حـ١ ق١ ــ ق٢ ، حـ٢ ق١ ــ ق٢ ، حـ٣ ــ ق١ ــ ق٢ ×م٦ •

× تدابير القدر •• (قصص واقعية هادفة) •
تاليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ١٩٨٥ ، ٩٥ ص •

× التذكرة الفخرية •

تأليف الصاحب بهاءالدين المنشىء الاربلي المتوفي سنة ٦٩٢هـ •
تحقيق ، الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد ، ١٩٨٤ •

× الجراب الجامع لاشتات العلوم والاداب •

تأليف ، عبدالصمد كنون ، تونس ١٩٨٦ ، ٣٧٥ ص •

× ديوان ابي ولامة الاسدي •

تحقيق رشيد علي حسين ، بيروت ١٠٩٨٥ ، ١٠٤ ص •

× ديوان الفجر •

شعر ابراهيم عزة الأبين ، النجف ١٩٥٦ ، ١٧٢ ص ، جـ١ •

× ديوان الفجر •
شعر ابراهيم عـزة الامين (نسخة بخط هاشـم الخطاط البغدادي (مصورة) بغداد ١٩٣٩ ، ١٣٣ ص ، ج٢ •

× ديوان المفتي عبداللطيف فتح‌الله •
تحقيق زهير فتـح‌الله ، بيروت ٩٨٤ ــ ١٩٨٥ ، حا ــ ح٢ × م٢ •
منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية بيروت •

× ديوان الموشحات الاندلسية •
تأليف ، سيد غازي ، الاسكندراني ١٠٩٧٩ • ج١ ــ ح٢ × م٢ •

× ديوان النابغة الذبياني •
تحقيق ، محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ، ٢٦٨ ص •

× الرثاء في الشعر العربي (جراحات القلوب) •
تأليف ، محمود حسين ، بيروت ١٤٠٢هـ ، ٤٢٩ ص •

× شخصية يوسف عزالدين الأدبية •
تأليف ، عبدالرزاق شاكر البدري ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ١٢٣ ص •

× شعر احمد السقاف •
أحمد السقاف ، بيروت ١٩٨٦ ، ٤٣٢ ص •

× الشفا في بديع الاكتفا •
تأليف ، العلامة شمس‌الدين محمد النواجي الشافعي • تحقيق محمود حسين ابو ناجي ، بيروت ، ١٠٥ ص •

× الصورة في شعر الاخطل الصغير •
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب • عمان ــ الاردن ١٩٨٥ ، ١٩٧٤ ص •

× عدالة السماء (قصص واقعية هادفة) •
تأليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ١٩٨٥ ، ٧٥ ص •

× علية بنت المهدي ، حياتها وشعرها •
تأليف ، كمال عبدالرزاق العجيلي ، بغداد ١٩٨٦ ، ٧٠ ص •

× الفتح علي ابي الفتح •
تأليف ابن فورجة ، محمد بن احمد ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ٣٥٩ ص •

× فن المقامة بين الاصالة العربية والتطور القصصي •
تأليف ، الدكتور عباس مصطفى الصالحي ، بغداد ١٩٨٤ ، ١٢٦ ص (سلسلة الموسوعة الصغيرة) •

× قراءة عروضية في المعلقات العشر •
تأليف الدكتور عبدالمنعم احمد صالح ، بغداد ١٩٨٦ ، ٣٨٠ ص •

× القروي شاعر العروبة في المهجر •
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب ، عمان ١٩٨٥ ، ١٩٨ ص •

× كناشة النوادر •
تأليف ، الدكتور عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٨٥ ، ١٧٦ ص •

× الممتع ••• !
تأليف ، عبدالكريم النهشلي القيرواني ، تحقيق منجي الكعبي ، ليبيا ، ٦٤٩ ص •

× نور من الشرق (ديوان شعر) •
شعر عطا الحاج حمدي الاعظمي ، الموصل ١٩٥٣ ، ١٠٨ ص •

× الورطة ــ رواية •
تأليف ، شريف الراس ، بغداد ١٩٨٦ ، ٦٧ ص •

× الهجاء والهجاؤون في الجاهلية •
تأليف ، محمد محمد حسين ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٦٨ ص •

× همسات حب مطوبة •
شعر يوسف عزالدين ، القاهرة ١٩٨٧ ، ٢١٠ ص •

كتب العلوم

× ابن التلميذ الطبيب الصيدلاني وقيمه الاخلاقية •
تأليف ، الدكتور راجي عباس التكريتي بغداد ١٩٨٦ ، ٣١ ص •

× اسس علم الوراثة •
تأليف ، اردين هـ • هيبر سكوفيتش ، ترجمة جبرائيل برصوم عزيز ، الموصل ، ٦٩٠ ص •

× اشكال التأسيس (شرح قاضي زادة) •
تاليف ، الحسيني ، محمد بن اشرف السمرقندي ، تحقيق محمد سويسي ، تونس ١٩٨٤ ، ١٨٦ ص •

× التسمم الغذائي •
تأليف الدكتور خلف الدليمي ، بغداد ١٩٧٦ ، ٢٢٩ ص •

× دراسات في تعليم الرياضيات ، تدريس العلوم الاساسية الرياضيات ، منشورات مكتب التربية العربية لدول الخليج ، الرياض ١٩٨٧ ، ٤٠٧ ص •

× زراعة النباتات الطبية في العراق •
تأليف ، عبدالحميد اليونس وعبدالستار عبدالله ، بغداد ١٩٧٧ ، ٤١ ص •

× الطب العربي •
تأليف ، ادوارد ، ج • براون ، ترجمة احمد شوقي حسن القاهرة ١٩٦٦ ، ١٥١ ص •

× الطب عند العرب .
تأليف ، الدكتور عبداللطيف البدري ، بغداد ١٩٧٨ ، ١٥٠ ص

× الطب النبوي .
تأليف ، شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، بيروت ١٩٨٥ ، ٣٣٤ ص .

× عالم النبات .
تأليف ، هـ . فولارد واخرون ، ترجمة قيصر نجيب وعبدالهادي صالح السلطان والدكتور عبدالمطلب سيد محمد . الموصل ١٩٧٧ ، حـ١ ـ حـ٢ × م٢ .

× علم الخلية .
تأليف . ج . ب ، ويلسون وآخرون ، ترجمة جبرائيل برصوم عزيز ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ٣٤٤ ص .

× الفترة المغفلة في التراث الصيدلاني العربي .
اعداد ، الدكتور حسين علي محفوظ ، بغداد ، ٢٠ ص .

× فرضية فيزيائية (الانسان والاحياء وتكوين مرض السرطان) .
تأليف ، انور خضر عبودي ، بغداد ١٩٨٢ ، ٢١٠ ص .

× فضل العرب في الطب على الغرب .
منشورات مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداو ١٩٨٧ .

× القياسات والمقاييس الالكترونية .
تاليف ، الحسين طه الشربيني وسعيد عبد الوهاب الشعبان .الموصل ١٩٨٦ ، ٥١٥ ص .

× ميكانيك السيارات .
تاليف ناصر محمد احمد ناصر ، الموصل ١٩٨٦ ، ٦٨٩ ص .

× ندوة اصالة الطب العربي •
منشورات مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداد ١٩٨٧ ، ٥٤ ص •

× نظرية علمية جديدة في هندسة الكون مافوق الفيزياء •
اعداد المركز القومي للمختبرات الانشائية ، بغداد ١٩٨٧ •

× نوبات الالة المغربية المدونة بالكتابه الموسيقية •
تاليف ، عبد الوهاب بن منصور ، المغرب ١٩٨٤ ، ٢٠٧ ص •

كتب السياسة والاقتصاد والقانون

× اتجاهات المشرع العراقي في ضريبة الدخل ، شرح قانون ضريبة الدخل رقم ٩٥ لسنة ١٩٥٩ •
تاليف ، هشام محمد صفوة العمري ، بغداد ١٩٧٩ ، ٤٠٧ ص •

× اساسيات هندسة الانتاج •
تاليف الدكتور احمد فؤاد راشد واخرون ، السعودية • ١٩٨٦ ، ٥٥٢ص

× اسهامات العرب في العلوم الزراعية •
اعداد مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداد ١٩٨٧ •

× اصالة المعالجات المعمارية التخطيطية عند العرب •
اصدار مركز احياث التراث العلمي العربي ، بغداد ١٩٨٦ •

× اقتباس النظام العسكري في عهد النبي •
تاليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ومحمــد جمال الدين على محفوظ ، قطر ١٤٠٠ هـ ، ٢٨٢ ص •

× الاقتصاد فيما يتعلق بالاقتصاد •
تاليف ، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، النجف ١٩٧٩ ، ٤٧٢ ص •

× انتقال الالتزام بين الاحياء (دراسة مقارنة) •
تاليف ، الدكتور محمود عباس السامرائي ، بغداد ١٩٨٠ ، ٥١٥ ص •

× الانيق في المجانيق •
تاليف ، ابن أرنبغا الزردكاش ، تحقيق احسان هندي ، حلب ١٩٨٥ ، ٢٨٨ ص •

× اواسط اسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني •
تاليف ، محمد حسن العيلة ، ١٩٨٦ ، ٣٧٦ ص •

× الخليفة السياسية والاجتماعية للاوضاع التى كان يطبق في ظلها دستور ١٩٢٥ في العراق .•
تاليف ، احلام حسني جميل ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٠٧ ص •

× دراسة في جغرافية العراق الزراعية ، ظواهر التركيز والتنوع الزراعي للمحافظات الجنوبية •
تاليف عبد الرزاق محمد البطيحي ، بغداد ١٩٧٢ ، ٢٠٧ ص •

× الدفع بعدم المسؤولية بسبب الجنون في جرائم القتل •
تاليف ، جي ، كينون ، بيروت ، ٢٧١ ص •

× دليل الاستثمار العربي في العراق •
اعداد البنك المركزي العراقي ، بغداد ١٩٨٧ ، ١١٦ ص •
تاليف ، الدكتور عبد الحميد اليونس ، وعبد الستار عبدالله • بغداد ١٩٧٧ ، ٢٠٤ العسكرية •
تاليف ، محمد عاطف السعيد ، منشورات جماعة علم النفس • التكاملي القاهرة ١٩٦٢ ، ١٤٨ ص .•

× صناعة النسيج في الموصل •
تاليف ، سعيد الديوه‌جي ، الموصل ١٩٨٧ •

× الطلب على النقود في العراق (دراسة نظرية وعلمية) •
تاليف ، ذكاء محمد مخلص الخالدي ، بغداد ١٩٧٦ ، ١٦٠ ص •

× العدد الصهيوني والاسلحة المتطورة •
تاليف ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، بغداد ١٩٨٧ ، ٢٥٠ ص •

× في الاصلاح الزراعي (دراسة مقارنة في العراق سوريا ومصر) •
تاليف ، الدكتور عبد الواحد كرم ، النجف ١٩٧٢ ، ٢١٣ ص •

× القانون الدولي والحق العربي في منع الملاحة الاسرائيلية في المياه الاقليمية العربية •
تاليف ، الدكتور محمد سعيد الخطيب ، بغداد ١٩٧٩ ، ٢٩٨ ص •

× مبادىء المحاصيل الحقلية •
تاليف ، مجيد محسن الانصاري والدكتور عبدالحميد اليونس ، بغداد ١٩٨٠ ، ٢٨٠ ص •

× محاصيل الحبوب •
تاليف ، الدكتور عبدالحميد اليونس ومحفوظ عبدالقادر وزكي عبد الياس • الموصل ١٩٨٧ ، ٣٦٨ ص •

× محاصيل حبوب وبقول (نظري وعملي) •
تاليف الدكتور عبد الحميد اليونس ، وفقي شاكر الشماع ، بغداد ١٩٨٢ ، ١٣١ ص •

× معدات الوقاية الشخصية في العمل •
تاليف ، باسل عياش العاني ، بغداد ١٩٨٦ ، ٨٦ ص •

× مع وفد المملكة المغربية في مؤتمر القمة الخامس للدول الاسلامية المجتمع بالعاصمة المغربية ، الرباط •
اعداد ، عبد الوهاب بن منصور ، الرباط ١٩٨٧ ، ٢٤٣ ص •

× مقدمة في علم المالية العامة في العراق •
تاليف الدكتور عبدالعال الصكبان ، بغـداد ١٩٧٢ ، ٥٠٣ ص •

× ملكية الشقق والطوابق •
تاليف ، الدكتور غازي عبد الرحمن ناجي ، بغداد ١٩٨٧ ، ١٥٩ ص •

× موسوعة الحرب العراقية الايرانية •
تاليف ، العميد عبد الرزاق محمد اسود • بيروت ١٩٨٤ ، م١ — م٥×م٥

× موسوعة العراق السياسية •
اعداد ، عبد الرزاق محمد اسود ، بيروت ١٩٨٦ ، ج١ — ج٧×م٧ •

× النباتات والمنتجات النباتية ذات الاهمية الاقتصادية •
اصدار منظمة الاغذية والزراعة في الامم المتحدة • القاهرة ١٩٨٣ ، ٣٣٩ ص •

× ندوة الري عند العرب •
اعداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، بغداد ١٩٨٦ •

× نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام •
تاليف ، محمد جلال شرف ، بيروت ١٩٨٢ ، ٣٠٧ ص •

× النظام المحاسبي الموحد في الوحدات الاقتصادية العامة •
تاليف ، عبدالرزاق خالد الحيالى ولويس شكوري دانو ، بغداد ١٩٧٨ ، ٤٦٠ ص •

× الهندسة الرقمية وهندسة المعامل الدقيق •
تاليف ، س • ج كاهل ، ترجمة الحسينى طه الشربيني • وصادق باقر حسين ، الموصل ١٩٨٦ ، ٦٧٢ ص •

× الوحدة النقدية العربية •
تاليف ، الدكتور عبد المنعم السيد علي • بيروت ١٩٨٦ ، ١٦٦ ص •

كتب التاريخ والجغرافية والتراجم

× ابحاث المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ــ القدس)
اعداد الجامعة الاردنية ، عمان ١٨٩٣ ، ٣٤٤ ص ، ١م •

× ابو يوسف ، حياته ، وآثاره ، وآراءه الفقهية •
تاليف ، الدكتور محمود مطلوب ، بغداد ١٩٧٢ ، ٤٦٥ ص •

× الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية •
تاليف ، سليمان باشا الباروني ، عمان ١٩٨٧ ، ج٢ ، ٣٨٨ ص •

× الاستبصار في عجائب الابصـار •
تاليف ، سعيد زغلول عبد الحميد ، المغرب ١٠٩٨٥ ، ٢٥٢+١٩ ص •

× اسرار مقتل الفريق بكر صدقي العسكري •
تاليف ، كاتب عراقي ، بيروات ، بدون سنة طبع ، ٤٦ ص •

× اسرار ووثائق الثورة اليمنية •
تاليف ، لجنة من تنظيم الضباط الاحرار ، بيروت ١٩٧٨ ، ٢٣٨ ص •

× اطلس فيلبس العالمي الملون (٧٥) •
اعداد ، راند مكنلس وشركاه ، هولندا ، ١٩٦٦ ، ٤٨ ص •

× الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندسية •
تاليف ، اسماعيل العريبي ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٥٧ ص •

× اكراد الامبراطورية العثمانية •
تاليف ، الدكتور خليل جليل ، بغداد ١٩٨٧ ، ٧٨ ص •

× الاندلس في عهد الطوائف الاولى (دراسة في السياسة الداخلية) •
تاليف ، عواد صالح محمد ، بغداد ١٩٨٦ ، ١٨٢ ص •

× ايام بغداد •
اصدار اللجنة الوطنية العراقية للموسيقي ، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٥٥ ص •

× اِيليغ قديما وحديثا •
تاليف محمد المختار السوسي ، الرباط ١٩٦٦ ، ٣٦١ ص •

× بحوث جامعة المغرب العربية في عصر ابي عنان المريني •
تاليف ، علي حامد المجي ، المغرب ١٩٨٦ ، ٣٢٠ ص •

× بدائع الزهور في وقائع الدهور (الفهارس) •
تاليف ، محمد بن احمد بن اياس ، اعداد محمد مصطفى ، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، بيروت ١٩٨٤ ، ج١ — ج٣ •

× البرديات العربية •
تاليف ، عبد العزيز الدالي ، القاهرة ١٩٨٣ ، ١٤٤ ص •

× بواكير الثقافة الاسلامية وحركة الترجمة •
تاليف ، عصام الدين محمد علي ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢١٧ ص •

× البيوتات العلوية في كربلا •
تاليف ، ابراهيم شمس الدين القزويني ، بغداد ١٩٨٥ ، ٢٠ ص •

× تاريخ بلاد الشام من القرن السادس الى القرن السابع عشر •
اعداد الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٤ ، ٥٦٥ ص •

× تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان ، مقتطف من كتاب نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان •
تاليف ، محمد بن عبدالله التنسي ، الجزائر ١٩٨٥ ، ٣٥٦ ص •

× تاريخ التقويمين الهجري والميلادي ومبادئها •
تاليف ، سلمان ابراهيم الجبوري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٦٣ ص •

× تاريخ جامعة الامام الاعظم ومساجد الاعظمية .
تاليف ، الشيخ هاشم الاعظمي . بغدا ١٩٦٥ ، ٣٨٢ ص .

× تاريخ الحروب العربية . أو حرب البسوس .
تاليف ، محمد بن اسحق بن يسار المدني ، مصورة عن النسخة الاصلية ، ١٩١ ورقة ، جا .

× تاريخ حضارة وادي الرافدين .
تاليف ، الدكتور احمد سوسة ، بغداد ١٩٨٦ ، ٤٢٢ ص .

× تاريخ القوات المسلحة العراقية .
اصدار ، مديرية التطوير القتالي بوزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، جا ـ ج٢×م٢ .

× تاريخ مدينة الرمثا ولوائها (دراسة تاريخية واقتصادية انثربولوجية)
تاليف ، فاروق نواف سريحين ، الاردن ١٩٨٥ ، ٣٣٠ ص .

× تاريخ المغرب الكبير ، ج١ (العصور القديمة اسسها التاريخية الحضارية والسياسية) .

× ج٢ ، العصر الاسلامي . دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية .

× ج٣ ، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار .

× ج٤ ، الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال .
تاليف ، رشيد الناضوري وعبد العزيز السالم ، وجلال يحى .
بيروت ١٩٨١ ، ٣٨٤ ، ٩٦٩ ، ٨٤٥ ، ٤٥٢ ص .

× تاريخ الملك الظاهر .
تاليف ، ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم .
تحقيق ، احمد حطيط ، بيروت ١٩٨٣ ، ٤٤٧ ص .
منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية ـ بيروت .

× التاريخ والمنهج التاريخي ـ لابن حجر العسقلاني •
تاليف ، محمد كمال عز الدين ، بيروت ١٩٨٤ ، ٥٦٠ ص •

× تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي •
تاليف ، عبدالاله بن علي الوزير ، بيروت ١٩٨٥ ، ٤٢١ ص •

× التدوين في اخبار قزوين •
تاليف ، عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني • حققه الشيخ عزيزالله العطاردي ، طبع في الهند ، م١ ـ م٤×م٤ •

× جامع ابي الحسن البسيوي •
تاليف ، الشيخ ابو الحسن علي بن محمد البسيوي ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافي ، سلطنة عمان ١٩٨٤ ، ج١ ـ ج٤ × م٤ •

× جعفر العسكري ، دوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام ١٩٢٦ •
تاليف ، علاء جاسم محمد ، بغداد ١٩٨٧ ، ٣٠٤ ص •

× حبزبوز في تاريخ صحافة الهزل والكاريكتير في العراق •
تاليف ، جميل الجبوري • بغداد ١٩٨٦ ، ٤١٣ ص •

× حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام •
تاليف ، الدكتور ـ ممدوح سالم الروسان ، الاردن ، ٩٤ ص •

× الحمزة بن عبد المطلب ـ سيد الشهداء واسد الله •
تاليف ، جميل ابراهيم حبيب ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٩٦ ص •

× حياتي في نصف قرن •
تاليف ، الدكتور احمد سوسة ، بغداد ١٩٨٦ ، ٢٥٨ ص •

× خريف الغضب ، قصة بداية ونهاية عصر السادات •
تاليف ، محمد حسنين هيكل ، بيروت ١٩٨٥ ، ٥٧٥ ص •

× خطط بغداد وانهار العراق القديمة (دراسة خططية تاريخية) .
تاليف ، مكسمليان شتريك ، ترجمة خالد اسماعيل على . بغداد ١٩٨٦ .

× خطط الكوفة وشرح خريطتها .
تاليف ، لويس ماسينيون ، ترجمة تقي محمد ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، النجف ١٩٧٩ ، ٢٤٥ ص .

× كتاب الخيل (مطلع اليمن والاقبال في انتقال كتاب الاحتفال) .
تاليف ، عبدالله بن محمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي (القرن الثامن الهجري) تحقيق ، محمد العربي الخطابي ، بيروت ١٩٨٦ ، ٣١٧ ص .

× دراسات في تاريخ بابان وسوران ويوتان .
تاليف ، الدكتور كاوس قفطان ، بغداد ١٩٨٥ .

× دراســات في تاريخ الدولة العربية ــ عصــور الجاهلية ، والنبــوة والراشدين ، والامويين .
تاليف ، مصطفى ابو ضيف احمد ، المغرب ١٩٨٦ ، ٥٩٢ ص .

× ذيل تاريخ بغداد .
تاليف ، ابن النجار ، محب الدين ابي عبدالله ، طبع في الهند ١٩٧٨ ، جا ــ ج٢×م٢ .

× الربذة (صورة للحضارة الاسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية.
تأليف ، الدكتور سعد عبدالعزيز الرائد . الرياض ، ١٨٣ ص .

× رحلة ابن حمادوش الجزائري ــ المسماة ــ (لسان المقال في النبأ النسب والحال ، الجزائر ١٩٨٣ ، ٣٦٦ ص .

× السوقية عند العرب (دراسة تاريخية عسكرية) .
تأليف ، فهد مقبول . بغداد ١٩٨٣ ، ٨١ ص .

× السير والجوابات لعلماء وائمة عمان •
تحقيق وشرح ، سيدة اسماعيل كاشف ، عمان ١٩٨٦ ، ٤٢٩ ص •

× سيرة الزبير بن العوام ومواقفه من معارك التحرير والفتوحات العربية الاسلامية •
تأليف ، جميل ابراهيم حبيب ، بغداد ١٩٨٥ ، ١٩٢ ص •

× صفحات من حياة الدكتور محمد حسن سلمان •
بغداد ، ١٩٨٥ ، ٣١٥ ص •

× صور عربية من المهجر الجنوبي •
تأليف ، الدكتور احمد مطلوب ، بغداد ١٩٨٦ ، ٢٥١ ص •

× العلاقات بين الحضارتين العربية والاوربية ، وقائع ندوة هامبورج (الحوار العربي الاوربي) تونس ١٩٨٣ ، ٤٥٨ ص •

× فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية •
تأليف ، طه ندى ، بيروت ١٩٨٦ ، ٢٠١ ص •

× فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة •
تأليف الدكتور محمود ابراهيم ، الكويت ١٩٨٥ ، ٦٣١ ص •

× الكوفة في ثورة العشرين (موسوعة تاريخ الكوفة) •
تأليف ، كامل سلمان الجبوري ، ١٩٧٢ ، ٢٦٠ ص •

× مختارو بغداد •
تأليف ، محمد احمد حسن الجابري • بغداد ١٩٨٥ ، ١٧٦ ص •

× مدخل الى تاريخ نشر التراث العربي ، مع محاضرة عن التحريف والتصحيف •
تأليف ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة ١٩٨٤ ، ٤٠٦ ص •

× مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي •
تأليف ، الدكتور عبدالعال عبدالمنعم الشامي ، الكويت ١٩٨١ ، ٩٠ ص •

× معارك خالد بن الوليد ضد الفرس (دراسة تاريخية عسكرية) •
تأليف ، عبدالجبار محمود السامرائي ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ١٧٢ ص •

× المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠هـ ـــ ١٣٦٠هـ
تأليف ، محمد رؤوف السيد طه الشيخلي ، بغداد ١٩٨٥ ، ٢٩٦ ص •

× معجم مقيدات ابن خلكان •
تأليف ، الدكتور عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٨٧ ، ٤٤٧ ص

× معجم المدن والقبائل اليمنية •
تأليف ، ابراهيم احمد المتحفي ، المغرب ١٩٨٥ ، ٤٧٩ ص •

× معركة اليرموك .•
تأليف الدكتور يوسف غوانمه ، الاردن ١٩٨٥ ، ١٠٠ ص •

× المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتصار ثورات الخوارج •
تأليف ، موسى لقبال ، الجزائر ١٩٨١ ، ٢٢٩ ص •

× المغرب العربي (من كتاب نزهة المشتاق للادريس) •
حققه ونقله الى الفرنسية محمد حاج صادق ، باريس ١٩٨٣ •

× مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المحفوظات بين النظرية والتطبيق •
تأليف ، اسماعيل حلاق . بيروت ١٩٨٦ ، ٤٥٠ ص •

× الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي •
تأليف ، الدكتور لطفي احمد فرج ، بغداد ١٩٨٧ ، ٢٨٨ ص •

× مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين .
تأليف ، رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٤٣٦ ص .

× من تاريخ المغتربين العرب في العالم (قسم العراق) .
تأليف ، عقيد اركان ، حسن حدة ، بغداد ١٩٧٢ ، ٤٦٤ ص .

× المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (جغرافية فلسطين وحضارتها ، المجلد الثاني .
اعداد ، الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٨٣ ، ٥٩٤ ص .

× الموجز لمراجع التراجم والبلدان والمصفات وتعريفات العلوم .
اعداد الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٨٣ ، ٨٤٢ ص .

× الموجز مراجع التراجم والبلدان والمصفات وتعريفات العلوم .
تأليف ، محمود محمد الطناحي ، القاهرة ١٩٨٥ ، ١١٨ ص .

× نظرة عربية على غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نورالدين .
تأليف ، تيسير بن موسى ، الدار العربية للكتاب ـ تونس ، ١٨٣ ص .

× نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية .
تأليف ، عبدالرزاق احمد النصيري ، بغداد ١٩٨٧ ، ٤٠٦ ص .

× وصايا الحرب في التراث .
تأليف ، الدكتور على المياح ، بغداد ١٩٨٦ ، ٦٣ ص .

× وصف مصر .
ج١ ـ المصريون المحدثون .
ج٢ ـ العرب في ريف مصر وصحراواتها .

ج٣ ـ دراسات عن المدن والاقاليم المصرية .

ج٤ ـ الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر .

ج٥ ـ الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر (النظام المالي والاداري) .

ج٦ ـ الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر . (الموازين والنقـود) .

ج٧ ـ الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين .

ج٨ ـ الموسيقى والغناء عند المصريين المحدثين .

ج٩ ـ الالات الموسيقية المستخدمة عند المصريين المحدثين .

تأليف ، علماء الحملة الفرنسية ، ترجمـة زهير الشـايب .
منشورات مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٨٦ ، حـ١ ـ حـ٩ × ٩م .

× الوافي بالوفيات .

تأليف ، صلاح الدين بن ايبـك الصفدي ، تحقيق محمد الحجيري ، ديد رينـغ ، بيرند راتكة ، وداد القاضي ، دوروثيـا كرافولسكي ، ورمزي بعلبكي ، حـ١٣ ، حـ١٤ ، ج١٥ ، حـ١٦ ، حـ١٧ ، حـ٢٢ ، بيروت ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤ ، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية بيروت .

× اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة .
تأليف ، عدنان ترسبي ، بيروت ، ٣١٩ ص

كتب الفهارس

× اعلامات ببيلوغرافية ٠
اصدار وزارة الشؤون الثقافية ، تونس ١٩٨٦ ٠

× ببليوغرافيا حرب التحرير الوطني (حرب التحرير في الادب والسمعيات والبصريات) اصدار المكتبة الوطنية الجزائرية ، ١٩٨٤ ، ٢١٧ ص ٠

× الببليوغرافيا القديمة التونسية ٠
اعداد ، وزارة الشؤون الثقافية ، دار الكتب الوطنية ، تونس ١٩٨٦ ، ج١ ــ حـ٢ × م٢ ٠

× تاريخ الطباعة والمطبوعات العراقية ٠
تأليف بهنام فضل عباس ، بغداد ١٩٨٥ ، ٣٧٩ ص ٠

× تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية ٠
تأليف ، الدكتور محيي هلال السرحان ، بغداد ١٩٨٤ ، ٣٧٨ ص ٠

× التشريعات الوثائقية (تشريعات الوطن العربي) ٠
تأليف ، سالم الالوسي ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ٨٨ ص ٠

× التقرير السنوي لعام ١٩٨٦ ٠
منشورات غرفة تجارة بغداد وصناعة بغداد ، شعبة الدراسات والاحصاء ، بغداد ١٩٨٧ ٠

× ثقافة الاطفال وكتبهم ، ببليوغرافيا مختارة ٠
اعداد ، شكري العناني ، الرياض ، ٢٣٢ ص ٠

× دليل الدوريات المغربية (المجلات ، الصحف الجارية التى تصدر حتى تاريخها •

اعداد وزارة الشؤون الثقافية ، المغرب ١٩٨٥ •

× دليل الناشرين في دول الخليج العربي •

اصدار مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج ، بغداد ١٩٨٤ ، ١٧١ ص •

× فهرس المخطوطات المصورة (ملحق) في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب .•

اعداد ، محمد عزة عمر ، حلب ١٩٨٦ ، ٢١٥ ص •

× فهرس الوثائق باللغة العربية المحفوظة في القسم الشرقي لدى المكتبة الوطنية (كيرل وميتودي صوفيا) (القرن ١٣ ــ ٢٠) صوفيا ١٩٨٤ •

× الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الاردني •

اصدار المجمع اللغوي الاردني ، عمان ١٩٨٦ ، ١٦٧ ص •

× هل كلمة ارشيف عربية الاصل (رأي للمناقشة) •

تأليف ، سالم الالوسي . بغداد ، ١٩٨٧ ، ٥ ــ ١٩ ص •

× الموسوعة القانونية العراقية •

اصدار الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، بدون سنة طبع •
م١ ــ م٢٣ × م٢٣ + الفهرس والفهرس الابجدي •

× قواعد اعداد نصوص الرسائل الجامعية (العرض والنشر) •

اعداد ، جي فالد روبورغ ، ترجمة محمود سيد محمد ، الرياض ١٩٨٦ ، ١٩٤ ص •

× كشاف تحليلي بنتاجات مركز البحوث القانونية ، منذ تأسيسه حتى نهاية ١٩٨٥ .

اعداد ، الدكتورة زكية فتاح ، بغداد ١٩٨٦ ، ٧٣ ص .

المصطلحات

× القاموس الرياضي الموسع .

تأليف ، طارق الناصري ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ٧٩٧ ص .

× قاموس سرياني عربي .

تأليف ، رونبس دوفيل ، باريس ٩٨٤ + ٢٠٩٨ ص ، حـ١ ــ حـ٢×م٢ .

× قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح .

تأليف عبدالسلام المدني ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢٥٠ ص .

× المصطلحات العسكرية ، مصطلحات سلاح الهندسة .

اصدار ، المجمع اللغوي الاردني ، عمان ١٩٨٧ ، ٨١ ص .

× مصطلحات الكومبيوتر والمعلومات .

تأليف ، ا . و . حداد ، لبنان ١٩٨٧ ، ٤٢٠ ص .

× معجم المصطلحات الرياضية والكشفية .

تأليف ، طارق الناصري ، بغداد ١٩٧٦ ــ ١٩٧٧ ، حـ١ ــ حـ٢ × م٢ .

× معجم مصطلحات العلوم الادارية الموحدة .

تأليف ، الدكتور بشير عباس العلاق ، بيروت ١٩٨٣ ، ٦٢٨ ص .

× معجم مصطلحات المحاسبة .

تأليف ، الدكتور بشير عباس العلاق ، بيروت ١٩٨٢ ، ١٨٤ ص .

× المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية للهندسة والتكنولوجيا والعلوم .

اصدار ، اتحاد المهندسين العرب ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، حـ١ ــ حـ١١ × م١١ ، الكويت ١٩٨٦ .

× موسوعة المصطلحات الاقتصادية والاحصائية .

تأليف ، عبدالعزيز فهمي هيكل ، بيروت ١٩٨٦ ، ٩١٢ ص .

صدر من مطبوعات المجمع

١ ـ بغداد مدينة السلام — الدكتور صالح أحمد العلي

٢ ـ خطط البصره ومنطقتها — الدكتور صالح أحمد العلي

٣ ـ بغداد في الشعر العربي — تأليف : جمال الدين الآلوسي

٤ ـ بناء الصورة الفنية في البيان العربي تأليف : الدكتور كامل حسن البصير

٥ ـ مصطلحات بلاغيه(ثلاثة أجزاء) — تأليف : الدكتور أحمد مطلوب

٦ ـ دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب

تحقيق

الدكتور أحمد ناجي القيسي

الدكتور حاتم صالح الضامن

الدكتور حسين تورال

٧ ـ خطط بغداد وانهار العراق القديمة ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي

٨ ـ مصطلحات علمية (الجزء الخامس)

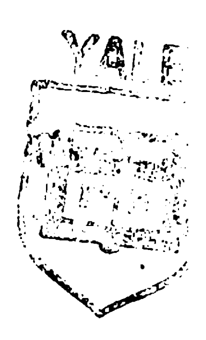
الفهرس

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

(تدفع قيمة الاشترك سلفاً)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٧

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 38

Part (4)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1 9 8 7